

دكتورة نغمات احمد فؤاد

الحيروا كتابه الشيخ

دار الشروق

أعبدوا كتاباً النافع

الطبعة الاولى

يونيو ١٩٧٤

دارالشروق

القاهرة : ١٦ جواد حسنى ت ٥١٢١٤ برتيا : شروق القاهرة
بيروت : ص. ب ٨٠٦٤ ت ٢٢٣٨٣٨ برتيا : داشروق بيروت
جدة : ص. ب ٤١٤٦ ت ٢٦٦١٠ برتيا : شوركورب جدة

دكتورة نعامت أحمد فؤاد

أفيد كتابه التاريخ

دار الشروق 

من مؤلفات الكاتبة

* شخصية مصر

* النيل في الأدب المصرى

* قمم أدبية

* أدب المازنى

* فى بلادى الجميلة

* خصائص الشعر الحديث

الغلاف للفنان مصطفى حسين

مقدمة

فى هذا الكتاب مواجهة فاحصة للمفاهيم الخاطئة فى تفكيرنا ، للأوضاع الدائمة فى حياتنا بالتفصيل والاستقصاء والغوص عن الاسباب الجذرية ... فطالما كتبت عن شخصية مصر وكنت فى انسحاق الهزيمة ، اتعمد أن أجلو إيجابيات هذه الشخصية وعطائها فى ماضيها الطويل لاعطى الأمل للنفس المصرية ، وأنفض بعضاً من أحمال وأوحال اليأس التى رزحت تحتها حتى كادت تختنق كمدا وهوانا

أما وقد انجابت الظلمات وتنفس المصبح فلا ضير بل لأبد من كشف السلبيات لا شهوة فى النقد أو السادية أو تحطيم أشخاص فإن هدف المصرى العابد أكبر من هذا وأكرم وأرفع ... ملك الأمر عندي ألا تتكرر المأساة اذا لم نستقد من الأخطاء ، ونتب عن الخطايا ... وهنا تكون المواجهة ضرورة وفرضا ...

ان أى حاكم لا يقع الجرم عليه وحده ، ولا بالقدر الأكبر لانه لولا من يتبل الجور ما كان من يجور . ولهذا ينصرف أغلب ما فى هذا الكتاب من النقد ، الى الشعب لان الحاكم عادة فى البدايه يكون متهييا يتلمس مواطن رضاه فلما وجده يتهافت عليه ويفرق فى محبه ثم تأليه ، استخف به ...

ان هذا الكتاب صيحة في وجه هواة الملق ودق الطبول ، الذى بدأ بالفعل نفاثهم الرخيص لا فى الظهور بل فى النـمـو والاستفحال ... الكتاب صيحة فى وجه من نظموا الكواكب عقود مدح بالامس ، ويعاودون الكرة اليوم بلا خجل ... حتى لا يؤذوا حاكمها لديه الاستعداد للاتصال والصلاح .

هذا الكتاب يتغيا مصر وحدها ... مصر البسيطة السمجة المؤمنة المعطاء دون نظر الى الالوان والمذاهب والايديولوجيات المختلفة فما احبت مصر يوما التمثذهب او التطرف الى اليسار او اليمين وكل من حاول صبغها بلون صارخ او صاخب نفرت واستعصت عليه .. وسخرت منه فى النهاية حين يجد نفسه بعد الجهد والعناء يقف وحده وهى فى مكانها لا تريم .

لقد حاولت الدولة الفاطمية ان تمكن لنفسها فيها مائتى سنة ثم دالت الدولة الفاطمية فقلبت مصر الصفحة وكان لم يك بها شئ اسمه الشيعة والشيعة ...

وجاء دور الدولة الايوبية لتحاول فلم يكن نصيبها من تتبيع مصر اوفى حظا من غريمها ...

لقد آمنت مصر بالاسلام فى صورته الاولى المصفاة التى توافق طبيعتها هى .

وآمنت بالمسيحية ، قبله ، بطريقتها هى فصارت المسيحية فيها دون غيرها من البلاد ، قبطية .

هذا هو موقف مصر من الاديان فكيف الحال مع من لا يرقى الى هذا الافق الاعلى ؟ مهما اختلفت اسماء .

مصر هى مصر وكفى .

وأنا في هذا الكتاب في كل كلمة .. في كل نبضة مصرية وكفى ..
لها .. وعنهما .. ومنها ينبع رأيي وسخطي ورضاي ... فلا
أعرف غيرها ولا أدين بعد الله وكتبه ورسله إلا بها ... أرى
الأشياء والأفعال والمعاني من خلال رؤيتها هي على مسار تاريخها
الذي درستته ، ودينها الذي اعتنقته ، وأدبها الذي عشته وفكرها
الذي سافرت فيه بالعقل والروح .

من هنا كتبت فصلا ضافيا عن الدين .

ومن هنا كتبت فصلا عن الفن .

لأن مصر لها في الدين والفن مفهوم خاص وافق أرحب ..

ومن هنا ناقشت الأفكار الثابتة أو المفاهيم الثابتة التي نتوارثها
بدون نقاش أو اقتناع أو اقتناع . وغير هذا أسلوب مصر في الأخذ
والعطاء ...

ومن هنا وقفت عند الدعوة إلى الدولة العصرية لأرثى الضوء
على خطاها في الطريق الذي تختار بعد روية وتفكير .

فالكتاب في فصوله كلها يدور ، شمعة ، حولها .. يستوحىها
الفكرة ، ويستهديها المعنى ، ويفسح لها الطريق لتسير .

بنور من الله

ونخر من العلم

وهدى من الدين

فما رشدت مسيرتها يوما إلا بكشف من هؤلاء .. وعطاء .

ومن هنا نريد :
الدين لله
والوطن للجميع
والعمل لذى الخبرة فيه
والأمر بيننا شورى
ليصلح آخرنا بها صلح به أولنا .. وهيئات أن يصلح الله
ما بنا حتى نصلح ما بأنفسنا .. وكيفما نكن يول علينا ..
هذا الكتاب مرحلة أخرى من الرؤية لشخصية مصر ..
في محاولة موصولة للوفاء
بها
ولها
فאלلهم اشهد ... ٩

دكتورة نعامت احمد فؤاد

أعيدوا كتابة التاريخ

مهما كتب الكاتيون أو تحدث المتكلمون عن (العبور) فإن الآن، تسمع وتقدر وتعنى لأن العمل صنيع شعب ومولد أمة من جديد... ورد اعتبار لا عن هزيمة عسكرية فحسب ولكن عن جيل كامل كان يعيش ولا يحيا .

(العبور) بارادته ، وإدارته ، وأعجازه كان رد اعتبار عن حقبه من الفسولة والقمءاء والعجز الاضطرابى فلم تمارس ملكات الشعب المصرى وطاقاته قدراتها الحقيقية حين أسقط من الحساب وعجز عن الحساب فلم يكن له رأى ولم تتح له فرصة وان كان فى أول الأمر - أحس بغير قليل من الزهو القومى حين توهم بعد سقوط الملكية ومحاولة الاستعمار ، انه صاحب الأمر من خلال مصرية الحاكم القحة، فاذا به توسم الخير ، من طيبة قلبه فلما وقعت الواقعة ، أعطى الوعى للرجال حق التخطيط بما علموا ، فأعطى بدوره كل قادر وعالم عطاء كاملا .

وهنا وجد الشعب نفسه ، ووجدته الدنيا حوله ، على حقيقته عندما أتحت له الفرصة ، واشترك فى الرأى واضطلع بالعمل...

وهو درس من دروس (العبور) يجب أن نعيه ونتخذة منطلقا لالوان أخرى من العبور فى نواحي حياتنا كلها .

وهنا نقول : أعيدوا كتابة التاريخ .

توقفوا عند انجازات الطوب والاحجار واسألوا أنفسهم عما وراءها ان كان وراءها شيء له قيمة باقية ... فليس الحاكم مقاولا لتقيسه بما تم على يديه من بيان وصروح مما قام في الحقيقة على اكتاف « الانفجار » و « الفعلة » الذين رماهم بؤسهم أو خوفهم ففرضت عليهم لقمة العيش المرير أن يأتروا بأمره ليسبح في عرقهم ولو غرقوا صرعى .

ان العصر التاريخي أو عصر الحاكم يجب أن يقاس بقيمة الانسان فيه ... هل قال الفرد كلمته أو عبر عن رأيه ؟ هل فيه حرية وأحرار ومفكرون ؟

ولناخذ تجربة قريبة من تاريخنا الحديث ... في العشرين الاخيرة من القرن التاسع عشر وفي الخمسين الاولى من القرن العشرين كانت مصر ترزح تحت الاحتلال البريطاني الذي قلنا فيه الكفاية من اوصاف السوء ، وبحق . فلندع التشنجات اللفظية ونهض في تحليل الظاهرة ...

فقدت مصر حريتها السياسية وهي ليست بالقليلة أو الهينة . ولكنها أيضا ليست انكى انواع الفقد اذا أخذنا في الاعتبار أن الفقد هنا عارض محكوم عليه بالزوال وقد حدث بالفعل بل لعل الفقد هنا لو جاز أن له وجهاً آخر ، يوقظ جوهر الشعب ويحفز عزائمه الى التفاعل والعمل في محاولة الخلاص منه ...

في عهد الاحتلال البريطاني وفي أوجه أى في أعقاب فرض الحماية على مصر أراد الجنرال مكسويل بصفته حاكماً عسكرياً عاماً ، أن يفرض الحراسة على أموال المصريين الموالين للخدوي عباس ممن نفوا خارج البلاد فاعترض عليه رئيس الوزراء المصري وقتئذ حسين رشدي بأشأ مستندا الى القانون العام الذي ينص على أن الحراسة لا تفرض الا على الاعداء وفي زمن الحرب .

وحين عاود الجنرال اللنبى المحاولة عام ١٩٢٢ بالنسبة لسعد زغلول وصحبه اعترض عليه هذه المرة رئيس الوزراء الانجليزى نفسه لويد جورج !!

ولكننا عام ١٩٦١ بعد نصف قرن تقدمت فيه الدنيا ، فرضت مراكز القوى على مصريين الحراسة بشكل هيجى للارهاب المادى والمعنوى . وجرى من المآسى والمخازى ما سجلته (لجنة الاقتراحات البرلمانية) التى تشكلت عام ١٩٧٢ .

هذا عن حرية العيش . اما حرية الراى ففى عهد الاحتلال البريطانى نادى لطفى السيد **بالمصرية** ، ونادى طه حسين بحرية الفكر والتحلل من الغيبات والهالات الصناعية نحيط بها كل قديم لمجرد القدم حتى ولو كان صادرا عن غير أصحابه الظاهرين ... ناقش طه حسين الشعر الجاهلى فى عقلانية وانفتاح كما ناقش مستقبل النقاسفة فى مصر ... ولا اريد أن اتول ان كل كلمة قالها صواب محض فليس هذا هو المهم ولكن **الهام والأهم هو مبدأ حرية الراى والتفكير والقول والكتابة والنشر ...**

عبد العزيز فهمى وجد من نفسه وعصره ، الشجاعة ، على الجهر باسبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ... ومرة أخرى أقول انى لا ارى التصويب أو التهجين فى هذا الراى ولكنى ارى أولا حرية صاحبه فى اعتناقه والدعوة اليه .

على عبد الرازق تكلم ولف عن اصول الحكم .

أمين الخولى تكلم عن مصرية الادب والتفسير النفسى للقرآن والبلاغة الحقيقية .

العقاد والمبازنى انهالا على أدب التشريفات والمدائح التسولية
وامتهان كرامة الانسان والفنان بالتبعية والتقامؤ والنفاق .
انهالا على النظرية العتيقة المقدسة « بيت القصيد » .

الدكتور منصور فهمى ، مصيبا أو مجانبيا للصواب تكلم عن
حرية المرأة فى الاسلام .

الدكتور أحمد أمين تكلم عن أدب المعدة وأدب الرأس
والعقل ... وتكلم عن العامة وأمثالها ومضامينها وجذورها
ودلالاتها .

تكلم عن الحياة العقلية للعرب فى فجر الاسلام وضحى الاسلام
وظهر الاسلام بما يشكل موسوعة جامعة .

محمود عزمى والتابعى استننا السهولة والخفة والسرعة فى
الكتابة ، والزيات دافع عن البلاغة ..

ارتاد الحكيم والمبازنى وهيكلا واضرابهم طريق القصيدة
والرواية والمسرحية .

ترجم محمد بدران وزكى نجيب محمود قصة الحضارة .

نزل أحمد فؤاد « صاعقة » على ألوان الفساد الموجودة فى
أيامه وكأنها مسامير النديم ...

ألف إبراهيم عبده (الطور فى متحف الخزف) .

صدرت فى حقل الثقافة ، مجلات البيان والرسالة والثقافة
والهلال والمقتطف ولواء الاسلام .

لم تترك الرسالة بلدا عربيا الا دخلته بل لقد كانت المحلة
الوحيدة التى يقرعونها ويكتبون فيها حتى لقد كان السوريون

يسمون يوم الثلاثاء الذى كانت الرسالة تصل اليهم فيه ، يوم
الرسالة ، ولا يقول قائلهم يوم الثلاثاء

كما كان الاديوب من كتاب الرسالة عندما يزور بلدا عربيا ،
لا يميزونه باسمه بل بهذه الصفة فكان كتاب الرسالة فى هذه
الظاهرة كاهل بدر .

كانت الكتابة فى الرسالة شهادة للكاتب ترفع من اسمه وتعالى
بين الكتاب مكانه .

كانت الرسالة مدرسة ربت جيلا وربطت شعوبا ووصلت
بلادا ووثقت علائق ونهجت سبلا . كانت ريادة ومثعلا وسفارة
لمصر لم تعمل عملها السفارات .

ومن الغريب أو العجيب أن الرسالة والثقافة اللتين ولدتا
وعملتتا بانفتاح ومقدرة فى ظروف عاصفة جثم فيها الاستعمار على
حياتنا ، احتجبتا فى عهد الاستقلال ! : الرسالة فى فبراير
عام ١٩٥٣ ، وقبلها « الثقافة » فى يناير عام ١٩٥٣ !!

وقامت بعدهما مجلات عدة تتعلق باسمهما تشبها ، أو لعله
تبركا ولكن واحدة لم تغن غناءهما أو تعمل عملهما أو تقف وقفتها .

لقد كانت الرسالة تخوض المعارك معارك الراى والوطنية .
وبعض هذا: مقال الزيات المدوى (فلاحون وأمراء) على أثر اهانة
الأمير عمرو إبراهيم لأحد الأعضاء المصريين بنادى محمد على
ومقاله (الامتيازات والدين) ...

وحين فزع السادة أمراء ذلك العصر ذهب جمعهم الى محمد
محمود باشا رئيس الحكومة وقتئذ فنظر اليهم فى شموخه المعروف
وقال لهم : أنا معه بل ذهب الى القصر مهتاجا ..

وارتطم صاحب الرسالة بالقصر بعد هذا في مقاله (ليس بعد الدين وازع) على اثر زواج فتحية من رياض غالى ... وفزع القصر لولا ان توسط في الأمر محمد حسن يوسف وكيل الديوان وتتئذ ..

وهكذا كانت الرسالة مجلة أدب وثقافة ومبدأ وهدف وأسلوب وغاية ...

والى جانب الرسالة والثقافة كان مجلة (الهلال) تعنى بالتاريخ ، و (المقتطف) يحتفل بالعلم و « الكتاب » يحتفى بالأدب ، و « الكاتب المصرى » تعنى بالترجمة ، كانت هذه المجلات تهتم بالفكر وكأنها الصورة الجديدة لمجلة « البيان » التى صدرت سنة ١٩١١ .

ماذا بقى لنا ؟

أو ماذا عندنا ؟

عدمت الريادة يوم عدمت الحرية الداخلية وكانت موجودة بل سبائة محتقة والحرية الخارجية مكبلة ترهتها انجلترا ، وتجرحها الامتيازات الأجنبية . اليس هذا عجيبا ومذهلا ؟

ومن الغريب اننا حين اطلقت الحريات لم يوجد الكتاب الاحرار لان الكتاب لم يترسوا فى ثيبابهم بالحرية فلما فتح بابها عليهم لم يفتح عليهم القلم بشيء !!

ماذا حدث ؟

تشارك كل شيء فى مصر أى صار اشتراكيا !! لا عن عقيدة اذن لساغ الأمر ولكن عن مدهنة . فاستاذ الاقتصاد كتب عن الاشتراكية .

وأستاذ التاريخ السياسى كتب عن الاشتراكية .

وأستاذ التاريخ الطبيعى أيضا كتب عن الاشتراكية .

والادب كتب عن الاشتراكية .

حتى علماء الدين كتبوا عن الاشتراكية !

الكل التقط مانشيتات الصحف وراح يرددها فى ببغاوية مضحكة
الضحك الذى يوصف بأنه كالبكاء .

تعدى السلطة أمريكا فتسحب العداوة فى درجات السلم
الهرمى على كل ما هو أمريكى حتى الفكر والثقافة مع أن الدين
يقول بأخذ الحكمة ولو من أهل النفاق، ويطلب العلم ولو فى الصين .

وقبل هذا عادت الملكية ، الشيوعية ، فاذا بكل ما هو روسى ،
منفر يثير الذعر حتى القصص على عالميته ...

رسمت **قومية عربية** ، فسار الكل وراءها يرددون
كأنها حلقة ذكر غير انها لم يذكر فيها اسم الله أو اسم
الوطن ...

مسخت حياتنا مسخا مشوها فلا هى الى الشرق ولا هى الى
الغرب .. فصبت من الماضى وعزلت عن الحاضر .

غامت الرؤيا وانبهم الهدف

ان رواد الخمسين الاولى وأعلامها ، لو تأملنا مسيرتهم ، نجد
أن فترة الخصب العقلى والابتكار عندهم فى أعمالهم ، كانت
العشرين أو الثلاثين سنة التالية لفترة التحصيل أى التى تقع بين
الثلاثين والستين .

فماذا صنع شباب الخمسينات من هذا القرن ؟ داروا فى الساقية
أو انخرطوا فى الطاحون .

ضاع البريق *

لا رأى يهز ، ولا فكر يجدد ، ولا ابتكار يرتاد ، ولا جدية تنال ، ولا اسم يتألق .

سادت الوصولية والانتهازية والبيفافية والحرباوية ...
وبالطبع الأمية .

وكانت النتيجة أن ضاق كل شيء بكل شيء كما يقول نجيب محفوظ حتى الضيق ضاق بالضيق ...

وهنا لم يملك الأدب الا الرمز ليعبر عن تمرده أو يبرىء ذمته ولو بأضعف الايمان .

فماذا وراء الرموز ؟

فتح الأدب بنكا للقلق ... يقول توفيق الحكيم « في وعي »
ما من أحد الآن في حالة طبيعية لأن القلق منتشر بل سائد
بشكل وبائي عند كل الناس حتى الذي يملك مائة فدان يعيش في
حالة قلق !

لماذا ؟

في بنك القلق أكثر من جواب :

« ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » .

« كل انسان في حاجة الى أن يتكلم وأن يصيح وأن يوافق
وأن يعارض » .

« كل ما يخشاه — الانسان — هو أن يرغب على قبول شكل
في الحياة يسجنه » .

« أصبح الواحد منا يتخبط اليوم في بحر واحد من قلق شامل
لا يطلق » .

« — الانسان المصرى المعاصر — يعيش فى مجتمع هش ليس
بداخله ايمان حقيقى بشئ أكثر من اقتناص المغانم ! » .
مجتمع برجوازى داخل قهاط اشتراكى .

والشباب . . . « الشباب أغرقوا أنفسهم فى كل بلاد العالم
فى خبط الجاز والروك أندرول والخنافس وما شابه ذلك من ألوان
الضجيج والحركة العنيفة والأصوات المزعجة ! .. ليواجهوا خبط
الكبار فى ضجيج الحرب والقمع والمؤامرات والمخابرات ! صخب
عام فى حانة كبرى ، ضمت الكبار والصغار . . . وان اختلفت
ادوات الزياط وألوان الخمر ! »

بنك القلق اذن « مكان للتنفيس . . . رئة يخرج منها الزفير
الفساد ! خير من أن يكتم هذه هى جوهر فكرة هذا
البنك » .

وهدف بنك القلق (ترك الناس تتكلم . . . أقصد اتاحة الفرصة
للزبون يفضى بكل ما فى صدره .. يكشف عن بواطن نفسه
عن أسباب قلقه) وقد تكلم توفيق الحكيم نفسه فى (شمس
الفهار) و (السلطان الحائر) ولو أن دور سلطان العلماء الشيخ
عز الدين عبد السلام فى التاريخ أكبر وأرسخ من دوره على
المسرح .

والفنان وسط هذا الزحام (هو الوحيد فى القرية الذى أدار
ظهره لحركتها «الدائبة» وانفلت من المحاريث السائرة والفوارج
الدائرة والسواقى الناعرة وذهب الى شط الترعة يقطع سيقان
البوص ويصنع منها مزامير . . .)

ولكن المزامير وحدها لا تكفى . . . وقد أحس الفنان نفسه
بهذا لأن الامة المطحونة لا يطب لها الفناء وحده . . . بل انها

في حاجة الى من يعيش مشاكلها وينفض همومها بالتعبير عنها
وطرح علاج لها وتنفيذه ... ولهذا دخل الادب في مرحلة جديدة
لم تخطئها حتى عين العدو فيها يقوم به من دراسات على الادب
العربي بعد عام ١٩٦٧ مما فصله كتاب الهلال « الادب الصهيوني
المعاصر » .

في الستينات بدأت القصة المصرية تتحول عن الواقعية الى الرمزية
وسفرت هذه الظاهرة بشكل خاص عند الروائي الاديب
نجيب محفوظ الذي يمر الآن بمرحلة جديدة من مراحل الفنية .

نجيب الآن مباشر يركز على الحوار المتشعب بالأفكار الفسوفية
التي تتواكب في توال كطرقات المطرقة النشيطة في أسلوب مدبب
الفاظه شوكية في قصته (ثرثرة فوق النيل) .

هل يعد الضياع عذاب ؟ (فيا أي شيء افعل شيئاً فقد
طحنا اللاشيء) .

في قصة نجيب محفوظ ظاهرة هروب المثقفين الذين يعون
حركات التاريخ لا الى العوامة وحدها ولكن الى شريط التاريخ
القابع في رؤسهم . وهي ظاهرة ملموسة اليوم في أدبنا القصصي
والمرحى — فيفرون محفوظهم أو يستعرضون الشريط كلما
تشابهت المواقف أو الظلمات وكأن الأمر (توارد خواطر) .

مجمود الروتين وبلادته وتحجره في غباء ، وعبثه في لا مبالاة ،
يورث الدوار . وفي (غيبوبة الدوار تختفي جميع الأشياء الثمينة ...
من بين هذه الأشياء الطب والعلم والقانون والكلمات المشتعلة
بالحماس) وفجأة يتذكر الانسان جرائم المهالك الذين كانوا
(يطلقون الحى ويثيرون الغبار ويفرحون بالأبهة والتعذيب) .

ولكن البغاة راحوا ... انداحوا ... وبقيت مصر .. مصر
البسطاء الذين يقومون بالأعمال التي تبدو بسيطة وهي في الواقع

ملاك الأمر وسره . فهي كالعوامة والرجل البسيط كعم عبده هو كل شيء . . انه العوامة ، لانه الحبال والفناطيس واذا سها عما يجب ، لحظة ، غرقت وجرفها التيار .

ما هي الاسباب التي حولت طائفة من المصريين الى رهبان ؟ والسؤال هنا استقطب الزمن ليصل الى مصر المسيحية حين اليأس من عدالة الارض واللياذ بكنف السماء ثم الصحراء

في القصة عملية تشريح للأخلاق والسمات والأقنعة الخارجية التي سقطت الواحد تلو الآخر في قاع النيل .

نفى القصة سخرية من المظاهر والاطارات والشعارات والتقاليد .

سخرية من سقوط الفلسفة .

سخرية من التمثيليات الهادفة .

سخرية من موقفنا من الأحداث وكأننا (أحمد نصر) أو عم عبده الذي يطل على المعمة من أعلى البرافان على سبيل الفرجة أو التسلية .

سخرية من النفاق .

سخرية من لويس السادس عشر الذي لا يدري شيئا عما يدور في الخارج .

سخرية من الفزاة الذين يتحلون بقسوة حادة كالدرع .

سخرية من الهاربين من لاشيء الى لا شيء والمقتولين بالسم البطيء والقاتلين على السواء .

سخرية من المخبرين الذين يراقبون المفيقين لا المساطيل .

سخرية من المتعالمين (ذرية علماء النحو) .

سخرية من (أخذ الأصوات في ديمقراطية دامية)

سخرية من الخوف من كل شيء حتى يفدو صاحبه لا يخاف شيئاً .

، سخرية من العوامة التي تشيع فيها النكتة كحركة تغطية نفسية
ثم تنعدم حين تصبح الحياة فيها نكتة سمجة ، أشنع تهمة فيها
هي الرجعية . فكل قلم يكتب عن الاشتراكية (على حسين
تحطم أكثرية الكاتبين بالاعتناء والاثراء وليالى الأنىس في المعمورة) .

ضاق كل شيء بكل شيء حتى الضيق ضاق سراً بالضيق .

وفي زحام (الثثرة) تبرق هذه العبارات :

(ان السفينة تسير دون حاجة الى رأينا أو معاونتنا وإن التفكير
بعد ذلك لن يجدى شيئاً ، وربما جر وراءه النكد وضغط الدم)

— (نحن نعيش فوق الماء فنهتز لوقع أى قدم) .

— (ليس الانجليز وحدهم الذين يقتلون بالسم البطيء) .

— (راحوا يتساعلون عن كيف يبدأون ، وكيف ينظمون أنفسهم ،
وكيف يحققون الاشتراكية على همس شعبية ديمقراطية
لا زيف فيها ولا قهر)

— (تدارسوا) العراقيين المتحدية ، والأخطار التي قد تحقق بهم
كمصادرة الأرزاق والاعتقال والقتل) .

— (الخيام الذي كان مدرسة أمسى فندقاً للملذات) .

— (أيها الحكيم القديم « أيو — ور » أقدم بعصرك الذي اضمحل
فيه كل شيء الا الشعر وأسمعنا الفناء . حدثني ماذا قلت
لفرعون . أقبل الحكيم « أيو — ور » وهو ينشد) :

ان ندماءك قد كذبوا عليك
هذه سنوات حرب وبلاء
قلت أسمعنى مزيدا أيها الحكيم ! فأنشد :
ما هذا الذى حدث فى مصر
ان النيل لا يزال يأتى بفيضانه
ان من كان لا يملك أضحى الآن من الأثرياء
يا ليتنى رُمعت صوتى فى ذلك الوقت
قلت ما ذا. قلت أيضا أيها الحكيم (ايبو — ور) فقال :
لديك الحكمة والبصيرة والعدالة
ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد
انظر كيف تتهن أوامرك
وهل لك أن تأمر حتى يأتىك من يحدثك بالحقيقة .

نجيب محفوظ الآن يلتزم قضية شعبه يحس بضغط همومه
ويعبّر عنه ففى قصة « ميرamar » عالج انتفاض البسطاء المطحونين
— من خلال زهرة — الذين يعيشون مع الغالبية فى أيام (منحوتة
من العسر والصخر) . «الأيام التى تسبق مباشرة يوم القيامة» . . .
كشف الادعاء فان كثيرين من محترفى السياسة والاهمية
والمشغولية كسرحان البحيرى (لا يعرف الفارق بين الوفد والنادى
الاهلى) . . . كسرحان لا يهتم فى فى أعماقه بالسياسة رغم نشاطه
الموفور فيها أو كشعبان بنك القلق (اشتراكى مائة فى المائة ؛
وان كان بينى وبينك لا يعرف ما هى الاشتراكية) .
نفاق ومتع كما يشول نجيب محفوظ أو (اشتراسمى) كما
يقول الحكيم فى « بنك القلق » . . .

والأجيال عند نجيب محفوظ في « ميرamar » متواكبة فهي يكمل بعضها بعضا ولولا الجيل السابق لما تحقق للجيل اللاحق وجود ...

وهو مذعور من فكرة مصادرة الثروات لأنه يؤمن بأن من يقتل مرة قد يعتاد القتل ...

ان الجنة عنده (هي المكان الذي يتمتع فيه الانسان بالأمن والكرامة أما النار فهي ما ليس كذلك) .
وحيث تنعيم في عينه الأشياء يتساءل :

« البحر يترامى تحت سطح أمّلس باسم الزرقعة فأين العاصفة الهوجاء ؟ والشمس تهوى الى المغيّب مرسلّة شعاعا ماسيا يلتحم بأهداب سحائب رقيقة فأين جبال الغيوم ؟ والهواء يلعب سعف النخيل في غابة السلسلة بمداعبات شفافة رقيقة فأين الرياح الهوج المزلزلة ؟ » .

ان التوازن كما يقول (لا يرجع الى الأشياء الا بزلزال شامل)
(اننا نتدهور معا بأكثر مما تصورت لكننا سنخرج من التجربة كالمعدن النقي

وأعطى نجيب محفوظ هذه الفترة (اللص والكلاب) ، (والسلمان والخريف) ، (أولاد حارتنا) ، (تحت المظلة) وقصته القصيرة (الطبول) طبول الرحلة العقيمة والمستفيضة وأخيرا (الكرنك) .

وفي السبعينات أخذ احسان عبد القدوس ينتمى الى مدرسة نجيب محفوظ الرمزية ... مدرسة ثرثرة على النيل ، و (ميرamar) و (روبابيكيا) ... بدأ يخدم الرمز شفافا وكثيفا في قصة « رصاصه واحدة في جيبي » ومسرحية (لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص) .

مصر عند نجيب محفوظ في قصة روبابيكيا مطمح الجميع ومطمع ولكنها في النهاية تسحقهم وتحيلهم الى حطام ملقى في عربة روبابيكيا ، وتتخطر هي على النيل جميلة مشرقة متأقنة شبابها أخضر دائيا وعودها ريان . رأسها شامخ وجمالها فتان .. محاسنها تغرى وتسبى ولكن الويل لمن تحدثه نفسه بالاقتراب منها .

ومصر عند احسان (١٩٧٢) هي فاطمة الطيبة الجبيلة في الثوب الأخضر ... وميمى السمرء الحلوة (أجمل واحدة في الدنيا) التي لا يكفيها جمالها ولكنها تبحث عن جمال عقلها وجمال ارادتها ... انها تريد أن تتبدى كما خلقها الله بصباححتها كلها ... بحلاوتها كلها ... بنفاسها كلها ... تعطى الحياة ما تريد ... وتأخذ منها ما تختار لا يطرف عينها شيء ولا يعلو وجهها نقاب أبيض أو أحمر ...

تريد أن تسير في طريقها هي التي تعرفها لا تلتفت الى يمين أو يسار لانها قبل' اليمين وقبل اليسار ، بألف السنين ، لها مسار .. ولها أسلوب شخصية .

وتستطيع أن تعرف فاطمة من نوعية حب المؤلف لها انه ليس حبا خاصا يتعلق به وحده .. انه حبا جميعا لان فاطمة هي مصر ...

(فاطمة حبيبتى ... أنك لا تستطيع أن تتصور مدى حبي لفاطمة ، ولا كيف أحببتها . انه حب تضعف أمامه الكلمات ... بل أن فاطمة وأنا لم نكن نتصور ان ما بيننا اسمه حب ... انه احساس ولدنا فيه ... انه الحياة نفسها ...) .

هل هذه فتاة محددة ومحدودة ؟ لا ... انها حلوة الأبد في قلب كل مصرى . انها جميع الفتيات وجميع الفتيان .. جميع

الرجال .. جميع الاطفال ... انها الحياة نفسها .. انها مصر ...

أما الشعب المصرى فى القصة فهو (طالب الفلسفة) الطيب الهادى الذى يعشق السلام والاحلام والخيال . فهو يحلم دائما (بالملخص) ولهفته عليه تجعله يتعلق بكل بارقة أمل تلوح . فما يكاد يرى (عباس) شابا مثقفا هادئا مهتسماً دائماً حتى هلل له وكبر وتوسم فيه الخير كله ... وتسلسل عباس شيئاً فشيئاً حتى أصبح المشرف الزراعى المسيطر على الجمعية التعاونية ... المفتش والجمعية التعاونية هى السلف الزراعية وهى الكيماوى وهى المبيد وهى التراكتور أى أبواب الرزق جميعاً ...

ومع هذا أحبته القرية ... وأحبته فاطمة (بأحلامها البريئة وبالخرافات التى تملأ خيالها عن صور المستقبل السعيد) .

ولكن فاطمة بعد أن استولى عليها عباس غدت بلهاء ... فى عينيها مأساة . تقف كأنها على حافة بئر تكاد تقع فيها ... فاطمة الجميلة الحلوة الهادئة أصبحت فاطمة الحائرة وجهها مكشود وقلبها مهدود ، وكرامتها مثخنة بالجراح ...

ويتساءل صاحبها الحقيقى الذى يحبها أغلى الحب وأصدقه :

(كيف أعيد اليها شبابها ، ولعة عينيها . كيف أجعلها ترتدى الثوب الأخضر الجميل الذى أحبته عليها دائماً كيف ؟)

ومصر فى مسرحية (لا أستطيع أن أفكر وأنا ارتقص) هى الراقصة ميمى انها كالطير يرقص مذبوحاً من الألم .. وميمى مجروحة نصف مذبوحة طارت ذراعها ونزف دمها ويريدونها على أن ترقص ويتجاذبوننا ناحية اليمين وناحية اليسار وبينهم من البعد والتناقض ما بين المشرق والمغرب ولكنهما **يتفقان على امتصاصها . وتشقى وتتمزق وتقف لتسقط من الداء والأعياء والحرارة وإحساس الضياع والقهر .** ولكنهم جميعاً يرتدون من عذابها وعطائها

(جائكة مذهب) حتى « مجاهد » خرج من عندها يرتدى هذه
الجاكت على البنطلون الملهل الذى كان يرتديه . ويسير فى عظمة
وفخامة كأنه أصبح رجلا مهما .

انهم جميعا وعودهم لها هباء ، وقلوبهم خواء ، وعينهم مسعورة
لا تمتلئ من جمالها وجسدها . وهى لا تطيقهم ما تكاد تقترب منهم
حتى تحس لهم فحيحا تنفر منه السمراء الجميلة (أجل واحدة
فى الدنيا) التى تقطر عسلا وشهدا ... ولكنها نعرف انهم
يمصون عودها وتخشى أن تصير (تفلأ) ... انها لا تصدق
دعواهم الكاذبة . انها لا تريد ذهب هؤلاء ولا مدفع هؤلاء ولا حتى
تقبلتهم الذرية ... هى تريد أن تحمى نفسها بنفسها وتعطى
نفسها بنفسها .. (اللى أقوى منى سيدي ... نفسى اعيش
من غير سيد) . وحين يوقن « مجاهد » من رفضها أنفسى له .
يحاول أن يتفق مع فؤاد (المطبلاتى) الذى لا يصدقها النصيحة
بل يريغ لها من اللغيمات ما ترقص عليه رقصة الذبيح ... فؤاد الذى
(ينقر على طبلته) أى (أيدلوجية) حتى ضيعت طبلته الجميلة
السمراء ، التى قذفت بها على الأرض وحطمتها ، لأنها غررت بها
وخدعتها ، وشغلتها عن البناء ، الحقيقى ، حتى داهمتها الطائرات
والدبابات ، وراحت فى الحرب ذراعها ، وتغطى وجهها الأسير
بالدماء ...

ويتساءل المؤلف :

(يا ترى نبتدى نضرب اللى ضرب ميمى والا ناخذ ميمى ونرجع
الكباريه الأخضر ؟) .

وأقول :

أبدا لن ترجع الجميلة السمراء الى الكباريه ... ستعود الى
الوادي الأخضر تزرع وتبنى وتصنع وتمجد العلم وتبدع الفن

وتشكل الحجر وتطعم الخشب وتخوض المعركة أيضا ... ستعود
الى الوادى الأخضر ترفع للسلم صروحا ، وللبطولة رايات ...
وفي مجال الرمزية كتب الدكتور يوسف ادريس قصصه :
« حامل الكرسى » و « الرحلة » و « سنوبزم »

وكما رمز نجيب محفوظ الى الشعب المصرى ببواب العواممة
الذى لا يعرف أحد بدايته أو نهايته ، والذى لا يحسب حسابيه
المتسلطون الناعمون فى العواممة ، وفى قبضته حياتهم ... فى
استطاعته أن يفك الحبل فيغرقهم ، رمز الدكتور يوسف
ادريس الى الشعب المصرى **بحامل الكرسى** الذى يتعجب الناس
من قوته وهو بادى الضعف ... ضعف الجسم .

وقصة الدكتور يوسف ادريس « الرحلة » مملوءة بالرموز
الشفافة حيناً والكثيفة أحيانا أخرى

والدكتور يوسف ادريس فى قصته « سنوبزم » رمز الى مصر
بالسيدة العفيفة التى تتركب الاتوبيس بين أهلها وناسها فاذا بها
يتحرش بها أثيم ويسىء اليها ، ويحاول أن ينال من وقارها ، بل
يحاول أن ينال من عرضها ! والناس يرون ويتعامون ، أو ،
(يموتون) أو يهائمون الظالم ! وعند هذا الحد انبرى أحد الركاب
وهو **دكتور فى الفلسفة** (رمز المثقفين) وأخذ يهاجم هذا
الوضع الشائن فسلقوه بالسنة حداد ولكموه لكمة تورمت منها
عينه وذفوه خارج الاتوبيس !!

وما أكثر الذين قذفوا خارج (الاتوبيس) .

هذا فى الأدب أما الصحافة فقد غدت صحائفها كفصل (البلدا)
كل ينقل من السبورة (**السوداء**) مها كنبه (المعلم) بعد أن
كانت الصحف كساحة البرلمان ميدانا للمناقشة والمعارضة .

تناولت الصحف يوماً مرتب وزير العدل ويقرأ عبد العزيز فهمى
عناوينها وهو فى طريقه الى الوزارة فيغير وجهته ويأمر سائقه ان
يتجه الى قصر عابدين وهناك قدم استقالته الى الملك فؤاد قائلاً :

— كرسى العدالة يهتز من تحتى ١٠

ولكن جميع الكراسى ظلت ثابتة لم يقلتها شىء حين عزلت مراكز
القوى القضاة بالعشرات ودفعة واحدة لانهم طرحوا رأياً فى عريضة .

ماذا يجدى سد أسوان أمام سد الخوف ؟ ان الانسان المصرى
لم يبدع حضارته فى أى عصر الا حين تحرر من الخوف ...

لقد قامت الدنيا فى مصر وقعدت يوم قدم رئيس ديوان المحاسبة
محمود محمد محمود استقالته لأن حقه انتقص فى مراجعة
ميزانية الدولة .. وقامت الدنيا وقعدت يوم أجرى الملك فاروق
تصليحات فى اليخت فخر البحار ، وناقشته الصحافة والبرلمان
علناً لأن تجديد اليخت سيتكلف آلاف الجنيهات فماذا فعلت
الصحافة مع مراكز القوى يوم ضاعت آلاف الملايين ؟ أصابها الخرس
بل ان بعضها وجد فى نفسه الجرأة ، ولا أدري كيف ، فحاول
التغطية أو التبرير بصورة فاضحة !

هوان وصغار .

لم تعد هناك صحافة سياسية

ولم تعد هناك صحافة اجتماعية .. وغدا الكتاب :

كاتب صومعة وهؤلاء قلة يحتاجون الى صبر الرسل ليطبقوا
العزلة والتقصيف والمجاهدة .

وكاتب حر يلوذ بالرمز .

وكاتب حرباوى ببغاوى وهؤلاء كثرة لأن مهمتهم سهلة وثنهم

رخيص .

كانت الصحافة ، صحافة أحزاب نعم .. ولكنها كانت صحافة
راى فى الوقت نفسه .. اما صحافة اليوم فهى صحافة مـذاهب
وموجات .. او كتابة على ظهور الاعلانات .

بين يوم وليلة تصطبغ ادارات الصحف باللون الأحمر وتنغمس
الأقلام والحروف فى هذا اللون ثم تنحسر هذه الموجة وتضيع فى
غيايات اليم او السجن لىأتى مد موجة أخرى بيضاء .. وتقترب
، راكرز القوى أثناء هذا من دولة ، وتناسب العداء دولة أخرى
فتتعاقب تبعاً لهذا ، الموجتان وكأنهما الليل والنهار ...

وتمذهب تبعاً لهذا الفكر وعلاقات انفس ، بل بلغ الأمر أن
الادب انتم بالميثاق !! كأنه فـرغ من
قضاياها كلها ، وكأنه نال منه الجهد من كثرة الخلق والابتكار فتخفف
من مهامه الكبيرة ليؤلف كاتب عن **مفتاح الميثاق** ! .. وما دامت
مكتبتنا المصرية العربية تعتر بالمعجم المفهرس لالفاظ القرآن
الكريم ، فان كدأبى الزفة ، امعاننا فى التقديس الأبيسى ، وضعوا
معجماً لالفاظ الميثاق !! او مفتاحاً ... ولا أحسب أن أحدا طلب
منهم هذا .

وامتلأت الشوارع بلامتات القماش المكتوب عليها عبارات
الميثاق لتأخذ على الناس طريقهم .. ولم يفكر أحد
فى كتابة او تعليق آية واحدة من القرآن الكريم حقاً .. كتاب الله .
تحتسب بلا امبراطورية وأحس بلا انتصارات .

والتمسق بنا النفاق حتى سلمنا به . فنجيب محفوظ يقول على
لسان أحد أشخاصه (يا أمة عريقة فى النفاق)

درس الميثاق فى جميع مراحل التعليم لا تستثنى من هذا
الجامعة حتى كليات الطب والعلوم وكاننا نسهم به فى التكنولوجيا
الحديثة بل درس الميثاق فى كلية أصول الدين !!

وحفظ أطفالنا في المدارس :

أنا عربى أبى عربى الخ .

فنفر المصريون الصادقون من دعوى وادعاء القومية العربية
لا لميب فيها أو بغض لها ولكن للأسلوب الذى يمس تاريخ البلد
وفي الوقت نفسه لم يصدقنا العرب بل رأى فيها البعض غرضاً
خبئاً ... لم يصدقنا العرب ولم يحترمونا — لأن الذى لم
يحترم مسره أى شرفه وعنوانه مارق أو رخيص .. وكان العرب
يحترمونا قبل هذا ويحبوننا لذاتنا وباعتبارنا مصريين .

قابلنا عربياً كبيراً على الباخرة اسبيرا فقال فى معرض هديته
عنها فقدناه من أرض فى البلاد العربية : (كان العربى منا يحلم
بأن يكون له مربيطة معزة فى القاهرة .. وكانت الأرض عندنا
تعرض بعشرة قسروش للمتر فلا تجد مشترياً ..
الآن لا يفكر أحدنا فى ادخال ماله القاهرة ... وقد ارتفعت الأرض
عندنا فبلغ ثمنها مئات الأضعاف !) .

كم فقدنا ليثرى الآخرون ويعمروا ويركبوا ظهر الموجة التى
عميت عن الأعماق الزاخرة من رعوتها .

كانت نساء مصر كظباء مكة صيدهن حرام . فاذا بالآلاف من
نساء مصر يدفعهن ذل الحاجة وقسوة الحياة فى وطنهن الى
الخدمة أو الى ما هو شر من الخدمة مما ترغهن عليه ،
وترغهن فيه ، ملاهى بيروت .

خطب ملك الحيتيين يوماً الى فرعون مصر ، أميرة مصرية ،
تقرباً اليه ، وكسباً لرضاه . فلم يكتف ملك مصر بالرفض ، بل ثار
ثورة عارمة كيف يتجرأ غير مصرى على التطلع الى الزواج من
مصرية !

من عزة القوة ، وعز الجاه ما فعل ...

أه لو كان يدرى بمن تزوجوا المصريين رقيقاً، بغير عقد مكتوب !

وفى غمرة هذا ألفت الكتب عن عروبة مصر فكانت بمحاولتها اللاهثة إثبات دعواها ، تنفيها لا تؤكد لها بما تكشف من عملية الافتعال لأن البديهيات لا تحتاج الى اثبات . والشاعر العربى نفسه يقول :

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار الى دليل
وفى هذا الصخب لم نقرأ بالطبع كتاباً واحداً عن عروبة الحجاز لأن النهار كما قلنا أو كما قال الشاعر ، لا يحتاج الى دليل .

وتجاوزت هذه الدعوى الأغراض السياسية الى الكتب المدرسية بدءاً من المرحلة الأولى الابتدائية ليحفظ الطفل المصرى مع (أنا عربى أبى عربى) ، خزعات أخرى عن أصل الشعب المصرى ! مع أن الكتب العربية تتحدث عن العرب العاربة والعرب المستعربة كما تتحدث عن (فتوح البلدان) .

مهما جددت الموارد والمعانى المتداخلة ، فان الحقيقة التاريخية لا تتغير ولكن يمكن درسها وتقييمها تقييماً صحيحاً فتفتح العرب مصر ولكننا اذا تخطينا (حنة) الفتح بظروفه وملابساته ، وجدنا أن الفتح العربى بعد تاريخى أو سياسى ولكن الحرب الرابعة بيننا وبين العدو الحقيقى ، اسرائيل ، علمتنا أن المنطقة لها بعد ميتافيزيقى .

ان الأديان محلية .

والسياسات زمنية .

ولكن المنطقة لها منطق واحد وهو أكبر كثيراً من سائرها .

المحليات . لقد تكلم الهواة كثيرا عن القومية العربية ثم عن قومية
المعركة ، والخلافات تنمو وتترعرع على رنين الخطب البلاغية
أو العامية فلما جددت الحرب ، ولدت لساعتها القومية العربية
وقومية المعركة معا في ساحة النضال ، مما أذهل العالم بل ادهلنا
لحن أسرة المولود . وتأكد صدق الطائي في فتح عمورية وتبين حقا
أن السيف أصدق أنباء من **المكتب والخطب** .

واتضح للغيورين ما وضح للمشايخين أن المنطقة كل واحد
تختلف أجزاؤه اختلافا كبيرا . أو صغيرا كما تختلف الاعضاء
والوظائف في الكائن والكيان . ولكن الروح واحدة لا حياة للجسم
جملة وتفصيلا الا بها ...

يكفى آصرة الدين واللغة والالم والامل ، **بعد الجوار** لنلتقى
جميعا على **المحبة والمصلحة** في وقت واحد .

ان مصر تخسر الكثير بدون البلاد العربية

والبلاد العربية تكسب الكثير بوقفه مصر معها : **الكلمة ،**
والمكانة والوزن السياسي والحضارى وكفاءة العلم والفن وهى قيم
أكبر كثيرا من أموال الدنيا .

ان الذى يحب مصر **بوعى** ، يحب جيرانها ، لأمن مصر ان لم
يكن لذاتهم ... ولكن (ذاتهم) تستحق الحب والاحترام والشكر
بما **أدوا وما بذلوا** فى نبل وذكاء معا وبلغوا الغاية فى الأداء والوفاء .

وفى هذه الغمرة حاول **المنافقون اسقاط الماضى** ، امسأنا
منهم فى **تعظيم الحاضر** ! . وفاتهم ان طبيعة الاشياء تنفى وجودها
من العدم . وفاتهم أكثر أن انسانا بلا جذور ، **لقبط** معنويا وتاريخيا
وحضاريا . ولكنهم أرادوا **أمة التاريخ بلا تاريخ** حتى يقترب ميلادها

بظهورهم على مسرح الأحداث وإن كانت الرواية ملهه هزلية
يأبها الطموح ، أو مأساة دموية تقشعر منها الأبدان .

وفي مواكب الأردية الصفرء والصراء، وخفافيش الظلام والملائين
والمدلسين و(صراصر المستنقعات) و«أشباح النهار» . في هذا الموكب
الغوغائي أحس كل ذى قيمة بالاغتراب النفسى والزمانى مهاجر
الكثيرون الى الخارج وكانت مصر وطن من لا وطن له . ونشطت
أمريكا فساعدت على الهجرة أو الاستنزاف العقلى والكيانى
باغراء المسال .. وكم من طاقات وقدرات ضاعت من أيدينا .

يقول الفنان حسين بىكار :

(قد انتقلت عدوى الهجرة من العلماء الى الفنانين وهذه ظاهرة
قد تكون صحية لو كان لدينا فائض من الكفاءات نصدره للخارج .
والطيور لا تهجر أوطانها الا عندما تهاجمها الثلوج فتضطر الى
تطع آلاف الأميال بحثا عن الدفء لتبنى هناك أعشاشها) .

حتى المبعوثين رفضوا العودة ! .. حتى الجامعات التى
نضبت ولم تشهد منصاتها خلفا للرعى الاول ، رأى الهجرة هى
الأخرى فهجرها المتميزون الى الشرق أو الغرب بل هجر استاذ
جاد معطاء الجهد والعقل كالكتور جمال حمدان ، الجامعة الى
العزلة اثارا للانتاج بلا تحطيم .

هرب الكتاب المصرى الى بيروت حيث تجارة النشر والتوزيع
الحر .. وما بقى فى مصر اغتصب اغتصابا وزور وحرف اعتمادا
على سلخفة الروتين فى مصر التى يقف أمام سيادتها ، الناشر
المصرى مع الطابور الطويل ... والى أن يأتى عليه الدور فى
طابور الورق ثم فى طابور التصدير ثم فى طابور النقد ، تكون
بيروت أخذت حريتها وراحتها فى استغلال الكتاب المصرى ،

والربيع ، والاثراء من ورائه ، وأصحابه في مصر تكاد تذهب
أنفسهم خسرات .

واذ هرب الكتاب المصرى الى بيروت ، **هرب الفكر المصرى
الى الكويت** حيث يتحرر ويحرر مجلة (العربى) ومجلة (الفكر) !
وكانت مصر تربة الأحرار والافكار والحضارات . تهب حركات
التحرير فتؤازرها مصر بالتأييد والتوجيه والاذكاء . ويمتحن الأحرار
فيقتلعون الى اللباز بمصر . وفيها تحلقت حول جمال الدين الافغانى
القدوة . واليها قصد الكواكبي . . وبها اتصلت حياة الأحرار ،
وأسباب أصحاب الدعوات .

ان مصر وهى محتلة في أواخر القرن التاسع عشر لم تكتف
بالدعوة الى الحرية السياسية في الداخل بل امتدت بها في المنطقة
فالتف السوريون ١٨٨٥ حول الشيخ محمد عبده (يتلقون عنه
دروس العلم والحكمة والخير) ، كما يقول الدكتور أسعد أطلس . .
وأحدث الشيخ محمد عبده في بيروت (انقلابا عظيما) .

بل ان بعض الدعوات السياسية في بعض بلاد الشرق يخطط
لها في مصر . اذ قبل أن تولد باكستان كان رجالها يلمون بالقاهرة
ليضعوا الخطط لتحرير بلادهم . وليس الى الشك من سبيل، أن
جزءا كبيرا من تاريخ باكستان المعاصر قد كتب في مصر . . وفي
مصر كتبت فصول من قصة تحرير اندونيسيا . . . وكذلك تونس
والمغرب وليبيا والجزائر وكثير من بلاد افريقيا وآسيا .

كما قامت في مصر **الدعوة الى الإصلاح الدينى** على يد محمد
عبده والمراغى . ومن مصر نبتت الدعوة الى تحرير المرأة اضطلع
بها قاسم أمين وتبعه الزهاوى في العراق .

فاذا تجاوزنا العصر الحديث ، وأوغلنا في القدم بضعة قرون ،
نجد أن مصر بعد غارات المغول والتتار في الشرق، وحركات الافرنج

فى الغرب (اسبانيا) ، كثرى الرحلة الى مصر وتجمعت للحركة الفكرية فى القاهرة .

وكما حفظت مصر من الضياع آداب اليونان وعلومهم والتي اعتمد عليها العرب فى تكوين شخصية حضارية لهم ، حفظت مصر فى هذه الهزات تراث العرب الأدبى والفنى . .

* * *

وكما يرقص الطير مذبوحا من الألم ، انطلقت الاغانى فى بلاهة ، تأخذ دورا فى (الزفة الكدابة) . ولا مانع عندها من التمسح بالفلاح والعامل . . وما كسب الفلاح والعامل كسبا جذريا وخاصة الفلاح ، فالاصلاح الذى لا ينبع من نفوس أصحابه وبينتهم . . . من داخلهم ، لا يؤمنون به ولا يتعمقونه لانه من خارجهم لم يغير نوعيتهم . . . والدواء عادة ، حتى ولو حمل الشفاء كرية او ثقل على الاقل . . . وقد فصل هذا طبيبنا أنور المفتى فى بحثه القيم فى مجلة (المجلة) التى اختفت فيما اختفى من قيم فى حياتنا . . . ويزيد رجال الاقتصاد أن ما أخذه الفلاح باليمين من الاصلاح الزراعى بددته باليسار مجموعة النعاونيات الزراعية .

ولم تقتصر السينما فى هذا المضمار فتخصص بعض مؤلفيها فى تسجيل الأمجاد فى أفلام يعاد عرضها مرارا كأنها مقرررة على النظارة .

أما المسرح الذى نهض فى الثلاثينات والاربعينات نهضة كبيرة ونشط أيضا فى الخمسينات فانه بعد نكبة الأمة العربية سنة ١٩٦٧ أخذ طابعا سياسيا حتى أنه أشرك الجماهير فى العرض باعتبارها متضامنة فى المسئولية عما يحدث . أو تأكيدا لمسئوليتها خارج المسرح بعد أن ينتهى العرض .

وانيثق من نكبة عام ١٩٦٧ ، المسرح الغاضب أو مسرح الغضب
الذى دعت اليه مسرحية الكاتب السورى سعد الله ونوس :
(حفلة سهر من أجل حزيان) .



منذ اعتنقت مصر الاسلام وهى حصنه الحصين ولكن الاسلام
فى مصر فى هذه الحقبة استحدثت باسمه هيئات كما
كان المماليك يكثر من بناء المساجد تكفيرا عن خطاياهم أو
تغطية لها وما كان المسجد مبنى ولكنه معنى ونقاء ينهى عن
الفحشاء والمنكر .

وصدرت عدة كتب دينية كتبها أساتذة مختصون فى الدين .
ولكن التخصص المدرسى غير التحليق الثقافى فالعقاد حين كتب عن
الاسلام كانت كتبه (التفكير فريضة اسلامية) (حجج الاسلام
واباطيل خصومه) ، (ما يقال عن الاسلام) ، العبقريات خاصة
(عبقرية محمد) و (عبقرية عمر) . ناقش العقاد
الغرب ومستشرقيه وناقش القضايا التى يظن بها
الضعف ، فى مواجهة يحجم عنها الكاتبون ، فكان التصدى
طريق الاقناع .. وهو طراز لم تستشرف اليه أو لم تقو عليه
الكتب الحكومية الاسلامية فلم تعمل عملها فى أندونيسيا التى
استشرى فيها التبشير وهى منطقة من مناطق الاسلام بتعدادها
الكثيف .

كيف تدهور كل شىء .. ؟ أى حفرة تردى فيها كل نفيس فى حياتنا؟
وضعت مراكز القوى نظرية اهل الثقة واهل الخبرة التى تقسم الشعب
الى مدللين ومتهمين .. وهذه النظرية تطرد نظرية الرجل المناسب
فى المكان المناسب . . أو تحرفها فتكسر الميم وتكسر معها مبادئ
الحق والعدل والكفاءة فاذا بأهل الثقة ، فى أحسن حالتهم ،
حراس على المواقع التى وضعوا فيها لايعرفون مخبرها أو
جواهرها . ولكى يغطوا جهلهم ، يدعون العلم أو الاهمية !

اهم من اشخاصهم. وما فعلوا هل المال يزيد بالجراحة
أم العمل ! قصارى الحراسة أن تجهد ولكن العمل يحييه والخبرة
تنميه . . وهو ما حدث لنا فالمال العام أما نهب أو تجهد
وتجهدت معه الافكار والرجال الخبراء ، لان الخبرة متهمه وغير
موثوق بها وغير مرغوبة .

• وفي غيبة القانون وخيبة الصحافة ، كل شيء ضاع •

ليس معنى هذا أن اهل الخبرة جميعا اظهروا ابرار . . بل من
اهل الثقة من اغنى في موقعه ما لا يغنى غناه ، أحد من
قبل وخاصة أصحاب الثقافات ممن اجتبع لهم
مع الحزم ، العلم وسعة الأفق ولكن ليس على الشاذ قياس .
فالناطق السليم يتول أن البلد للجميع ، وأن الثروة البشرية الممثلة
في الكفاءات أساس نهضة الامم وأن التقدم لا يتحقق الا
إذا كان كل شيء محسوباً . فالانسان الصحيح في المكان الصحيح .
وللقانون وحده أن يحاسب المخطيء وحساباً عسيراً رادعاً له
ولغيره وفي حرية الصحافة ضهان يكشف الانحرافات . . .
ولا ادل على هذا من ٦ أكتوبر . . هل كان يستطيع مدنى أن
يخطط للمعركة ويديرها ؟

هل يستطيع مهندس أن يجرى عملية جراحية ؟

لكل مكان انسان لا يملؤه غيره .

وفي أثناء هذه المحن استردت القناة وازدهانا يومئذ الفرح
والزهو . وكان هتافنا طوعياً هذه المرة . ولعلها المرة الواحدة
والوحيدة التي برى فيها قولنا من الخوف . أو النفاق . ولكن
فرحتنا لم تدم طويلاً إذ تبين أن القناة بدخلها الكبير لم تصب في ريفنا
السدى حفرها وسقاها بدمه ، وانما صبت في جبال

اليمن الوعرة التى أخذت مع المال ، الرجال ... بعد
أن البنا علينا الشرق والغرب . وصورت النكتة المصرية بذكائها
المشهود ، الجولة بمرارة تقطر دما حين أطلقت بدورها هذا الشعر
(مصر . يمن . كوبا) وكانت مصر منكوبة بحق . كانت منكوبة
بالفشل والهزائم ولم ينتصر (أسما) الا المؤسسات والشركات
التى أطلق عليها (النصر) .

لم يفكر أحد فى الانتفاع بدخل القناة فى تعمير الضفة الشرقية
للقناة .. فى تعمير سيناء مصدر الخطر ودرع الامان فى الوقت نفسه ..
ولو عمرت سيناء (بفيض) و (فضل) الكثافة السكانية فى
الوادي ، وقام عليها البيت ، وفيها الولد ، لعز التفریط فيها
لأن الدفاع عنها عندئذ دفاع عن العرض والأرض ، والرزق
والحياة .. لو عمرت سيناء لما اجترا العدو على اجتياحها ...
واكتساحها مرتين فى هذه الحقبة المباركة .

لو كان عندنا مراكز دراسة نصرف عليها لعرفنا ان انجلترا عملت
طويلا على فصل سيناء عن مصر بالايحاء وبالفعل منذ عينت عليها
(براملى) حاكما عسكريا مما يدل على خطر سيناء بالنسبة الى
مصر ، وعلى أن سيناء مطمح ومطمع للآخرين . ولكننا ضيعنا سيناء فى
الشمال بالحرب ، كما ضيعنا (جبل عليه) فى الجنوب بالسلم
والصمت ... وجبل عليه — افتعلت انجلترا اقتطاع منطقة جبل
عليه اداريا من مصر سنة ١٩٠٢ — الذى لا يذكر فى كتبنا أو
مدارسنا أو مجالسنا أو صحفنا منطقة أكبر مساحة من سيناء وأغنى
موارد طبيعية . وهى الآن تمثل الأعراف بيننا وبين السودان الشقيق .
وطالما نبه العلماء والدارسون منا الى وجوب العناية القومية
والاجتماعية بهذه المنطقة فلم يسمع لهم أحق ... والعلم ليست
له دولة بل كان تابعا للدولة وأجيرا اذا أراد ... شأنه شأن
القانون الذى أمر بتتبعه للدولة فلما أبى لى رجل القانون

فى مجلس الدولة بها لاقاه وهو الرجل الذى وضع الدساتير فى البلاد
العربية شرفا وتشريفا لمصر ...

ما الذى شل السنتنا وعقولنا معا ؟

هل هو الجهاز الرهيب الذى كان دولة وحده ، أعلن جمال
عبد الناصر سقوطها بعد الفكسة ؟

هل هو التعذيب والتفكيك ، الذى كان يمارسه هذا الجهاز .

هل هو جهاز الشعارات الرنانة والطنائاة وراءه مراكز القوى
ياخذ علينا شاعرنا واذننا وعيننا وإيمان الجد واللهو على
السواء ؟

هل هو النشيد المصرى والأغنية المصرية التى دخلت حلقة
الذكر ؟

هل هو كل هؤلاء ؟

اجتمع علينا من مراكز القوى القمع والتضليل والزمرد والطلبل بل
الرقص أيضا .

كل شىء ضاع .. كل ما بداخل الانسان المصرى من كرامة
وقيم ومبادئ وأباء ... ضاع يوم فرضت كما يقول توفيق الحكيم
(الحراسة على مخ الانسان) .

ولكن توفيق الحكيم ما باله لم يقل هذا من قبل ؟ ان ندمه
اليوم ذكاء خبيث أو خبث ذكى .. ما جدوى الاعتراف بالخطأ
فى وقت ليس الشعب فيه بحاجة الى الاعتراف بعد ان سقطت
الأتعة ونظهرت الحقيقة ...

انه مجرد تخفيف للحساب هو قناع من نوع ارتقى يليق
بأصحاب « الإنكار » .

لقد كتب نجيب محفوظ الكثير

وتوفيق الحكيم لم يكن مسحورا أو مخدوعا أو (فاقد الوعي) مع الفاقدين كما يقول بدليل مسرحيته (السلطان الحائر) و (بنك القلق) اللتين لم يثر اليهما عامدا فيما أحسب وهما خير من التعلل بالتخدير والتسحير . ولكن (الحكيم) يغير مسكة (العصا) فيقبض عليها بحكمة من نوع آخر ، من (النص) لانه كما قال ، بعد أن حوم كثيرا ، من جيل قيدت حريته وتحرره (روابط متصلة بهذا النظام) •

النظام الذى اجتمعت علينا فيه من مراكز القوى المناهج والاذاعة والصحافة والوسائل الاعلامية لتصبنا فى قوالب مرسومة لنا ليغدو الانسان المصرى انسانا نمطينا كاليونفورم . . انسانا مقيدا بالخشدية . . . مسلوب الحرية . . . انسان حشد والحشد دهماء منظمة تسوق الى الخراب اذا قادها مثل هؤلاء .

ان الفرد فى حشد كبير ينحط خلقيا واجتماعيا كما يفعل الأمريكان عندما يجتمعون لتعذيب الزنوج فيأتون من ضروب الوحشية ما لا يتردى فيه انسان وحده . . .

سئل يونج عن سر أزمة أوربا فقال فى كتابه :
The Undiscovered Self

هو ضياع قيمة الفرد •

الانسان الحقيقى ضاع وسط الانظمة ، الظاهرية والسلطة المهيمنة . مثل هذا الانسان من السهل أن ينقلب الى النقيض لانه أصلا لم يحقق ذاته ولم يحقق لها استقلالاً خاصاً فسرعان ما يتعرض للشقاق شخصى وثقافى . . . وهو ما حدث للمثقفين المصريين على أيدي مراكز القوى •

غباء أن تفبرك العقول والأفكار ... وغباء أن تسوى بين العقول
وقد خلقها الله متفاوتة متباينة الحظوظ من الذكاء ...

أن تفبرك العقول كفر بالدين الذى كرم الانسان ودعاه الى
التفكير واعترف بارادته يوم هداه (النجدين) وهما طريق الخير
وطريق الشر ... **كفر بكل القيم** ...

لم يعدد العالم مهددا بالكوارث الطبيعية او الأوبئة ولكن
بالتغيرات السيكولوجية كما يقول يونج ... ان أى اختلال يصيب
التوازن فى رأس حاكم من الحكام يلقى العالم فى بحر من الدماء .

ويقول هربرت ريد فى كتابه « فلسفة الفوضوية » (من
الصعب ألا تفسد السلطة . هنا تحتاج الى ضوابط نفسية
كبيرة) وهنا نتذكر قوله تعالى (ان الانسان ليطغى ان رآه
استغنى) والغنى الوان : النفوذ غنى والسلطة غنى .

اما الضوابط النفسية فتعين عليها أمة رشيدة لا عاطفية .

أمة تنتظر الأعمال لتحكم عليها قبل أن تغدق الثناء بغير حدود...
انه خطانا .. !

لقد أبدعت مراكز القوى الانسان المصرى من الصورة متمزق نفسيا
وثقافيا وكاد ينسحق لولا بقية من ايمان حفظت عليه ذاته .. أن
الطريق الى الله صلاة وصبر وعمل ذلك الفيتامين الذى لا يباع فى
الصيدليات ولكن يهبه الله من يشاء من عباده .

ان الحركات الجماهيرية تنزلق فى وهم الأعداد الجماهيرية
وونسط صخب الاغلبية يمكن اختطاف الأمانى بالقوة .

كيف يصنع الديكتاتور .

الانسان الطلل هو الذى يعتمد على الحزب أو الزعيم أو الحكومة ... ومن سنا يكره الممتازون التبعية من أى لون ...

أما رجل الحشد فيتوهم أو يوهم أو يشبه له ان القمة ممثلة في الحزب أو الحكومة تحقق له كل شيء ... حالة وهمية أو الحلم الطفلى .. انه الارتداد الى جنة الرعاية الوالدية ... وعندما يسود الوهم بأن الحكومة على كل شيء قديرة ، يكون الطريق الى الاستبداد ممهدا ، وهنا يكون الاستعباد الفردى لاحقا بالضرورة والمنطق

لقد كان الناس في العصور الوسطى يرون الانسان عالما صغيرا (ميكروكوزم) . microcosm وهى نظرة سليمة تربط الانسان ببيئته ، ودينه ... ولا يمكن لاحد أن يسلب انسانيته ، الله ، ومن حاولوا هذا في العصر الحديث أعطوه لها آخر .

وحيث ينتعد الانسان عن الدين يحدث له اضطراب عصائى .
وحيث تتوقف المحبة ويحل الشك توجد القوة والعنف والرعب وزوار الفجر .

ان السعادة والرضا وتوازن النفس وثناء الحياة ، معان لا يمكن أن تخبرها الدولة بل يخبرها الفرد ...

دولة مراكز القوى جهاز يجمع الفرد فان أحسنت اليه فغالبها ،
تعمل على تعضيد أوهام الفرد لأنها لا تبني نظرياتها على فهم وتقهم نفس
الفرد فهي أصلا لم تقترب منه ولم تدرس احتياجاته الحقيقية ...

• أنها تعرف احتياجاتها هي لاستبقاء السلطة .

والمجتمع الذى يضيع فيه الفرد مجتمع متخلف
ولو ملك المال والنفوذ وأحدث الوسائل . ومن هنا أدان
« برناردشو » الحضارة الغربية فى كتابه (دليل المرأة الذكية) ،
وأدان « ديوى » ، أمريكا ، فى كتابه عن الفردية القديمة والحديثة
Individualism old and new.

لقد حاولت أوروبا وأمريكا اللتان نقلدهما سحب السجادة من
تحت قدمى الفرد بالآلة ، والنمطية ، والحركات الحشدية
اجتماعية وسياسية . الانسان الغربى انسان احصائى ...
انسان متوسطات فذاؤه من خلال متوسط الذكاء لمجموعته ومثل
هذا يمكن أن يقال عن سائر قدراته . وهل يميز انسانا عن
انسان الا صفة فريدة فيه ؟

حتى الأخلاق حين ضعف سلطان الدين غدت أمورا تواضعية
ما دام الفرد لا يحس بمسئوليته أمام الله . ذلك الشعور الذى
يرتفع على القانون . فقد يستطيع الخاطيء أن يهرب أو يتهرب
من القانون أو يفلت من العقاب ولكن صاحب الحس الدينى ،
السلطة الرادعة فى داخله .

والدين ليس المبادئ الاخلاقية مهما كانت رفيعة ، وليس
العقائد مهما كانت مستقيمة .

ليس هذه أو تلك فكلاهما لا يشكل الاساس لحرية الفرد من
اسر (الحشدية) التى هى المجتمع أو الكتلة ...

والدين الذى أعنيه غير العقيدة . فالعقيدة كما يقول يونج
اعتراف بالإيمان، ولكن الدين علاقة الفرد بالله أو علاقة الفرد
بالتحرر .

ان الولاء لعقيدة معينة ليس مسألة دينية ولكنها فى الغالب
مسألة اجتماعية فلا مفعول له ولا قدرة على منح الفرد أساسا
يستند اليه . . .

هذا حين يتغيا الدين المحافظة على التوازن النفسى . . ان
النفس الشعورية فى الانسان يمكن فى أى وقت أن تعوق وظائفها
بوساطة أحداث من الداخل والخارج لا يمكن التحكم فيها . . لهذا
يلجأ الانسان فى القرارات الخطيرة الى القوة العليا تبركا بها . . .
المؤمن عنده (ارتكاز) .

ان النقد الذى يسمى نفسه مستنيرا حين يخضع الدين لنظريات
عقلانية ، وتصوير ، محتواه ، مستحيلا ، يخطئ مثل هذا النقد
الهدف والمرمى فلا يصيب الدين ولكن قصاره ان ينتهى الى دين
آخر هو تاليه الدولة أو الديكتاتور .

ان الدين وظيفة طبيعية وجدت منذ البداية لا يمكن القضاء
عليها بالنقد العقلى الذى يعرض المعتقدات الدينية على المنطق
الذى يفضى الى السخرية منها .

سحق الفرد أو تضييعه لا يغفرتحت أى اسم من الأسماء .
فالكنيسة نفسها حين ربطت الفرد بها فى الغرب لم تغلج . ولهذا
خرجت الحروب الدموية من القارة التى تدين بالمسيحية التى تقول
ان الله محبة .

الكنيسة فى الغرب حين ربطت الفرد بها أفقدته الشعور بالمسئولية
. . . وكان الأخلق بها أن تشعره بقيمته . . . بقيمة
الانسان الذى كرمه الله وأكرمه بالعقل وقدرة التفكير التى

يمتاز بها الإنسان ، ولو أخطأ ، على (الملاك) أى الملك . فالتقدرة
على الخطأ ميزة لا عيب حين تعنى هذه القدرة ، **التجريب . .**
المحاولة والاجتهاد . . السعى . ولهذا يقول رسول الاسلام ؛
(من أخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران)

أما الذى يعيش فى القبة السماوية بعيدا مع النجوم بعيدا عن
الافراء والاغواء فان من العفة الاتجد .

ان الرعب الذى أوقعت فيه الديكتاتورية ، الانسان ، هو قمة
الفظائع التى اقترفها الغرب . بحمامات الدم التى أغرقت الدول
المسيحية فيها بعضها ، بعضا ، والجرائم التى ارتكبها المواطن
الأوربى ضد الشعوب السمرات اثناء استعمارها لها ، حلقة
متصلة . . .

ومثل هذا الرعب بشكل فى بلدنا أحيانا سحابة قاتمة
فوق رؤوسنا . وقد حق للرعب والخوف والقهر الذى كان ، أن
يحل محله رابطة من النوع الوجدانى تعود معها بيننا الصلات
الانسانية التى وهت وكاد يدهرها الشك والتوجس فبتنا فى حالة
تقاعس أخلاقى شامت معه الوجوه والنفوس وتاهت المعالم
والصفات . . . مع أن الانسان لا يكون انسانا الا اذا كان له
موقف تجاه النفس وتجاه الآخرين .

انسان ثراؤه ليس خارجيا واردا من ثقافة مكتسبة او مذهب
آخرين، ولكن ثراؤه داخلى من صفاء الذات ورهافتها وكرامتها
بالحرية . . . انسان هو نفسه موضوع وشخصية .
اننا اذا اعتبرنا الثقافة نمو النفس فان هذا النمو لا يتحقق
الا فى جو من الحرية يتيح للنفس الانسانية الراقية أن تعطى
ما لديها من الادراكات والمنجزات والطرح . فلا يهيج ولا (يهيج)
مثقفونا الى الخارج فارين أو يائسين لأن المحيطين بهم عندهم
نزوع (نطوى) ضد المثقفين .

لقد اعتبر (كارليل) بثقافته، «نابليون» أنسانا متوسطا ولكن الفتره
التي نتحدث عنها فترة نابليونية.كم من واحد فيها (عامل نابليون)
ومن الأسف أن كثيرين منا صدقوا كثيرين منهم فعبادة الاسم في
الشرق رسم من رسومه كذلك التركى الذى أمضى الليل كله وهو
يستمتع الى صاحب الربابة وفى نهاية الليل قال له :

— اسمع قول حظرتكم شوية أبو زيد الهلالى علشان حظرتنا يكون
مبسوط .

فرد عازف الربابة :

— كل ما سمعته كان عن (أبو زيد الهلالى) .

فتهلل وجه التركى وقال :

— لازم أنا كنت مبسوط

وبعد هذا كله طار صوابنا عندما وقع العدوان . ان العدوان
الحقيقى وقع قبله على العقول .. على القيم . فالتحرير انثقالى
.. تحرير الكيان المصرى البشرى هو أساس كل تحرير ...

اننا ، باللاوعى الذى نعيش فيه فى حالة اغماء قومى ، ولا
صحوة لنا الا ان نبحث عن **المفتاح الذى أضاعناه** .. اعيدوا
تقييم وتقويم حياتنا وسلوكنا وتعليمنا ... **اعيدوا كتابة التاريخ** .

محكمة التاريخ

هل هناك مسئول واحد عن الصدع الذي حدث في الشخصية المصرية ؟

- المدرسة المصرية آفة من آفات الشخصية المصرية .
- والمطبخ المصرى آفة من آفات الشخصية المصرية .

والمرأة المصرية مسئولة بالدرجة الأولى عما نحن فيه . انها مسئولة حتى عن أخطاء الرجل المصرى لأنه كان ابنها يوماً ما فلم تشكله الا على هذه الصورة .

كيف تعلم المدرسة المصرية اليوم ، التاريخ ؟ ماذا تقول ؟ مدائح ملوكية كالأدب العربى هل نعرف او يعرف أولادنا شيئاً عن دور الشعب فى صنع التاريخ ؟ أعفيكم من الجواب فانى أعرفه . . لقد حدثونا وأفاضوا عن أبطال الحروب أى الذين قتلوا أكثر . . . ، والملوك الكرام الذين رعوا العلم والعلماء . . . رعاية العلم هؤلاء صادروا أيضاً الرأى الحر ، ورموا أصحابه فى غيابات السجون . . . بل حرقوا ترى باكملها لتنزل على رأيهم .

لا تأمنوا القاب التاريخ فكم من مأهون فيه غير مأهون . . .

حتى الذين تحدثوا عنهم من السادة والقادة لم يستوفوا سيرتهم
عن جهل أو عن علم ... من يدري . ان كثيرين من هؤلاء كانوا
أضعف من ذبابة على الرغم من قوتهم الظاهرة وسطوتهم
الكاسرة ... ولعلهم في ضعفهم وراء الكواليس ، أقرب الى
القلب الانساني منهم على المسرح في أزياء التمثيل الملوكية أو
العسكرية أو السياسية .

من الناس من يحارب الدجالين في حياة المجتمع ثم يشيع الدجل
في التاريخ فيزيقون نسب الشعوب تارة ، وطورا يلبسون
الاغتصاب ثوب الشرعية فيسمون الغزو تمدينا ، والاستخراب
استعمارا وطمس الشخصية تطويرا ... الخ الأسماء الملفوفة
أو المعكوفة ...

من المؤرخين مغرضون تملى عليه أهواؤهم ولم ينبج من الغرض
هيرودوت نفسه أبو التاريخ كما يقولون . والا فهل من الصدق
قوله انه رأى في مصر النساء تقضى حاجتها واقفة بينما الرجال
يقضون الحاجة وهم قعود ؟ وهل من الصدق ما قاله وشايعه فيه
بئر ، وبلوتازك عن عروس النيل التي زعموا ان المصريين يلقتونها
في النهر ليفيض ؟ بل قال به ابن كثير في تفسيره ولو انه رواها
بسند عن مجهول كما قال به في تاريخه ابن عبد الحكم ؟
لقد اخترت هذه الأمثلة لأنها قريبة منا .

وهناك مؤرخون يجيدون ركوب ظهر الموجه فيكتبون ما يرضى
الحاكم وان أحنق الحقيقة فكل من تولى قبله شر كله حين يستأثر
عهده بالخير كله !

ولأمر ما فضل أرسطو ، الشعر ، على التاريخ ... ان كذبه
التخيلي ، هو على الأقل رؤية بعيدة ولا يقصد بها التحريف
والتحيف .

ولأننا نلقت تاريخ مصر ولا نقرؤه ، أضعنا المفتاح .

اننا نركز كثيرا على الهرم وهو منجز حضارى رائع ولكن تحويل المستنقعات أو أحراش البردى الى جنة خضراء منجز حضارى أيضا لا يقل عن بناء الأهرام فى دلالته على طاقة القدرة والارادة والبناء.

حقا ان الهرم الكبير ليس بناء فحسب ولكن وراءه ، الشخصية المبادرة التى أرادت محققت بل قبله اعداد طويل قامت به شخصية « سنfro » الذى اعد لمجد بناء الأهرام من بنيه .. عمل موظفين من الدرجة الأولى .. والمتصود بالموظف هنا قدرة التنظيم .. عمل الفنيين الحقيقيين ... ثم اننا متعجلون نقف مبهورين أمام الهرم الأكبر وكان يجب أن نبدأ بهرمى سنfro فى دهشور ثم نتدرج الى الهرم الأكبر لنعميش التجربة ، ونحس المثابرة والاصرار ومحاولة التجويد ...

ومع هذا فالأهرام ليس منجز مصر الوحيد فاللغة ، منجز حضارى ، كالمهارة ، رائع . والادارة منجز حضارى بارع . والرى منجز حضارى كبير لأن الادارة التى ضبقت النهر هى سر من أسرار مصر . والزراعة منجز حضارى بعيد الأثر فهى دعوة الى الحياة بينما الصيد ازهاق حياة . لقد زرعت مصر الوادى فنشرت فيه النبات ، وزرعت الفكر حين قالت ب « معات » وزرعت الحجر فشكلته فنونا .

الزراعة تثقيف للأرض فالمصريون حين حضروا الأرض للزراعة ، حضروها أيضا أى مدنوها ...

لقد علمونا مثلا أن (مينا) أول ملوك مصر القديمة . وأقبل ان المدرسين وحدهم هم الذين يبدعون التاريخ المصرى بمينا ... ولكن قبل مينا نشأت على هذا المكان ملحمة تاريخية من الجهاد

الحضارى ، رائعة .. ان السعى الحضارى المحسوب لمعبر
ار الذى يجب أن يحسب لها يبلغ عشرات الالوف من السنين .
لقد وحد مصر قبل مينا ، أوزوريس وحورس ضد التفرقة
والجذب أى سبت .

لقد تضامر النيل والانسان المصرى على اخراج هذه الملحة ..
نهناك دالات أنهار ولكن الأنهار ودالاتها فى غير مصر ، لم تخلق
الحضارة بمستوى هذا الخلق .. وأهم من هذا لم تتواصل فيها
الحضارة بغير انقطاع كما حدث فى مصر ...

لقد عاش الانسان المصرى الفى سنة فى سعى حضارى قبل
الاسرات والتكوين السياسى حيث حضر النيل المسرح للحضارة ..
وعى الانسان المصرى الدرس ومضمونه قيمتان كبيرتان :

✱ الكل فى واحد ، التعاون .

✱ المهمل أى التكاثر لدرء خطر الفيضان .

هنا فى هذا المكان جمع الانسان المصرى نفسه فى وحدة حضارية
بستهما الى نداء النيل الذى جمع نفسه من أنهار ...
علمونا ان الطبيعة فى مصر رتيبة ... وجنة مصر يصفها بالرتابة
من لم يستدق حسه . فلكل بقعة من الأرض المصرية « روح » يشعر
بهذا الحضور ، الزائف الى سقارة

للهرم روح ، وليت رهينة أى منف روح وكيان مميز ...
للكنائس روح وللمساجد روح ... للقاهرة روح ، وللصعيد روح ،
ولدن الشواطىء روح ... والفروق بين الأمكنة هو باب تمييز
الفروق بين الأعمال المختلفة .

علمونا أن أسلافنا وثنيون ومعظم الذين تكلموا عن الديانة

المصرية القديمة شغلهم عنصر الخرافة فيها لا الجوهر .. ولهذا،
ظلت الديانة المصرية القديمة فيها منطقة يلفها الغموض والتحريف.
منطقة misunderstanding

لقد عرفت مصر القيم يوم وضعت كلمة (معات) وحقتتها ...
يوم وضعت الأخلاقيات .. وطرحها الرائع في هذا المجال لم يزد
لا حق عليه شيئا جديدا ...

ان الديانة المصرية القديمة يظلمها من يسميها (وثنية) ويحكم
عليها بعد خمود ثورتها الحقيقية حين عاشوا ادراك وجسود الله
من وراء المعبود المحسوس .

ولأمر ما وصفوا « منفتحاح » اله الفن المصرى فى نحتة بأنه
يشكل أجسادا طاهرة تقبل الالهة أن تحل فيها ...

ان تواصل الحضارة بغير انقطاع دليل بر وخير ومجتمع متقدم
لا وثنى ... مجتمع مستقر وقرير . ولهذا جسدت الفن المصرى
(السكينة) ... انه فن النفس المطمئنة لأنها فى هذا الكون تحس
طمأنينة الدار الآمنة ... طمأنينة الوطن الثوى وحماه .

لقد حققت مصر السكينة ثلاث مرات وبصور متعددة ورائعة :

فى العصر القديم .. ثم فى المسيحية .. ثم فى الاسلام .

ولم يحقق بلد السكينة فى انجازاته بالكيف والكم الذى حققتة
مصر ... ولا يستثنى من هذا الهند والصين على عظم وضخامة
ما حققته .. ومن هنا يجب أن يشع كل شئ مصرى ، السكينة،
من قرار سحيق .

ان مصر بلد أول كتاب دينى كتبه الانسان .

انها بلد الايمان على الرغم من انها غيرت شكل دينها عدة مرات

ولكن جوهر الدين في قلبها واحد عبر الاختونية والمسيحية
والاسلام ومع « نوتيد » يتدل في وحدة الله ووحدة الوجود .

ان الوجدان الدينى بالنسبة لمصر (القيمة) كالنيل بالنسبة
لمصر (الأرض) .

ان من ينظر الى ابي الهول يحس الحضور المقدس .. اوجدان
الدينى يمثله أبو الهول في الشرب وجامع السلطان حسن في الشرق .
والمصرى يحتوى حياته حسا دينيا يتف وراء نظراته الى الحياة
والاشياء سواء في هذا اختاتون وسانت انطونيوس وابن الفارض .
ان سانت انطونى يمثل روح المتعب بلا حجر أو جدار ..

اوجدان الدينى يدرسه من يقرب من روح مصر ، في اديانة
المصريه القديمة وفي المجرى الانسانى ... واسلوب المصرى في
الجالين يعكس هذا الحس الدينى كما يعكس حبه العابد للطبيعة
المصرية .

اندين في مصر وعى بالمهندس تم اتصال به ووصل .

ان ايمان مصر المبكر بالدين ممثلا في التوحيد أو حتى في عبادة
من العبادات كالشمس أو النيل ، طبعها على الحساسية واستشعار
الواجب والايمان بالخير والفضيلة والجزاء والعقاب والثواب
والرضا والرحمة والعدل ...

انها باد (معات) رمز العدالة والخير والحق .

مصر في طبعها من الودادة والسماحة الرواح ما جعلها تجمع
بين « ايزيس » و « سيت » بعد كل الذى فعله في اوزوريس !!
ونبكي على الحاكم الظالم وهى التى شقيت به ، لانه مات! وهى
بعاطفيتها يشجبها الفراق ، وتبكيها المواقف يضعف فيها الانسان
ولو كان اصحابها الاعداء لا الاصدقاء .

هذه مصر التي لا يعرفها أهلها حتى غدا البيت المصري في القرن التاسع عشر يطلق على الشيء الذي يحلو في عينه (عصلي) نسبة إلى الأتراك العثمانيين . وفي القرن العشرين ، الحلو هو (الأفرنكة) ثم صار (مستورد) أما « الوحش » فهو « بلدى » ...

أين نحن من مصر وإن دعونا أنفسنا ، مصريين ؟

إننا كما قلنا في حالة اغناء قومي لو صبح هذا التعبير ولا بد .. لكى نفيق منه ، من عودة إلى الماضي لا للتشدد الأجوف به ، ولكن لاستلهامه واستكمالها والا غدونا أقزما كالأشجار التي تقص جذورها .. ففى اليابان عندما يريدون (قزمية) شجرة يقصون جذورها .

أسمع من يقول من أين نبدا ... راى ، المتحف المصرى نقطة انطلاق صحيحة لبث الوعي .. وعى من طراز جديد فى شبه الوعي واللاوعي الموجود حاليا . وقيمة المتحف المصرى فى المدى التاريخى الطويل مما لا يعطى عطاءه أى عمل فنى واحد مهما بلغ تمامه .

فى المتحف يستطيع المصرى أن يرى تاريخ مصر كيف ينسج خيطا خيطا ...

فى المتحف حيث تبدأ الحضارة المصرية من قاعة العصر الحجري لتنتهى إلى ذروة كبيرة من ذرواتها حيث يقوم تمثال أمنوفيس الثالث ، والد اخناتون ، والملكة تى زوجته وأولادهما أى عصر الإمبراطورية ... وعز الإمبراطورية حيث كانت مصر ترفل فى النعمة وتشرق بالثقافة وتهنأ بالسلام فى هدنة من الحروب .

إن التاريخ المصرى جزء من الوعي المصرى ..

لقد علمونا أو لقنونا بمعنى أصح أن الفلسفة من صنع يونان ..
وأن مصر ليس لها فلسفة .

لقد تفلسفت مصر حين جعلت الفن للحياة وهذا خلاف نظرية
الفن للفن .

الفن للفن سوء وليس حسنة لأنه يتف عند هذه الغاية ..
ولكن الفن للحياة معناه اثراء معنى الوجود الانساني .. وفي
تواصل واستمرار .

رمزت مصر بالبقرة الى السماء بل الى الطبيعة لأن البقرة
عندها ودادة ورفق .. وداعة وحنان .. أمومة ورعاية وعطاء ..

لقد فهمت مصر (الرضاعة) فيها عميقا ... أنها اتحاد الأم
بالوليد ولهذا اشاع قدماء المصريين في فنهم (الرضاعة) فالملك
أمنوفيتس يرضع من الآلهة حتحور ، وحورس يرضع من البقرة
التي هي رمز الطبيعة الأم .. فهو يتحد بالكون .

ان الانوثة في الحضارة المصرية صفة كونية بما هي رمز التلقي
والاستنبات والعطاء .

هذه هي فلسفة مصر .. فلسفتها غير المكتوبة .

لقد رسمت مصر القديمة البقرة شجرة . والشجرة لها ثدى
والانسان يرضع من الشجرة ، والمرأة لها قرنان ... لم يكن هذا
مبثا من الفنان المصرى بل فلسفة كبيرة ... انه يرمز الى وحدة
الكون في غلاف من الرحمة التي وسعت كل شيء .. فالشجرة
رمز عالم النبات والبقرة رمز عالم الحيوان ..

انها رهانة وجدان مصر التي فطنت من آلاف السنين الى ما يسميه
الانجليز اليوم : Unitive knowledge

وفى التصرف الاسلامى قصة تقول أن المريد طرق باب الحبيب
فسمع السؤال : من ؟ فقال : أنا، فلم يفتح الباب فادرك المريد . .
وراجع نفسه ثم عاد مرة أخرى وطرق الباب .

— من ؟

— قال المريد : أنت

وهنا فقط فتح الباب .

لم يكن الخيال عند مصر شحلات سريالية بل كان خيالها عين
داخلية بصيرة ترى ما لا يدركه البصر . . . رؤيتها بعيدة . .
ديدة . . رؤية شفة مستشفة .

لقد احترمت مصر القديمة، الحيوان . . ولم تحترم مصر الحديثة،
الانسان . . لقد نجحت مصر في الكثرة عن كثرة الحيوان كما جاء من مجالى
القدسية في هذا الوجود ولكن الذين لم يروا في ديانة مصر الا الوثنية
انما نظروا اليها في عصور الضعف كما تنظر العين الى المصباح
الخابى الكابى لا ترى فيه الا (الهباب) أو (سماد فانوس) .
مصر عبدت الحيوان . نعم . لاحتساسها بروعة الخلق فيه فهو
جزء من الله بما هو مجلى من مجالى قدرته . . .

الفرق بيننا وبينهم اننا نقرن (القرد) بالقرداتى . وهم كانوا
يقرنون القرد (بالحكمة) ، فكان (تحوت) اله الحكمة .

الحيوان هو الحياة . . والله يسمى الدار الشجرة (الحيوان)
كما اشرت ولكن مصر الحديثة هان عليها ، وفيها ، الانسان .

حتى الشعبان لم تنظر اليه مصر القديمة نظرة مسطحة بل رأت
فيه على شره الظاهر ، تعبيرا عن الوجود الجذرى، فتشكل الجسم

في التفانة مستديرة رهيبة تنمو منها الرقبة والرأس في ارتفاع ..
هذه الهيئة كالجذر والساق .

رأت مصر في الشعبان ، على شره الظاهر ، تعبيرا عن الحياة
الفتية القوية المثلثة البأس .. ولأمر ما سميت اللغة العربية أنثى
الشعبان (حية) ... من حروف الحياة .

لهذا شاع رسم الشعبان في الفن المصرى ... ان مصر القديمة
عندها ادراك رهيف بتيار الحياة السارى من النجوم الى أعماق
الأرض .. من كائنات الخير الى كائنات الشر ... عندها شعور
سيال الحياة الجارى .

هذه هى فلسفة مصر .

فلسفتها غير المكتوبة كما أثرت .

والرؤية المقدسة ، التى ترى ما وراء الشئ من خلاله كائنات عند
مصر القديمة والصين وحدهما ... قد يقول قائل : والهند ؟
نأقول : لا . ان الهند فنها أدبى الطابع حتى المعبد عندها تركيبي
كالجملة المفردة . ولكن مصر والصين نفذتا الى أسرار الطبيعة
والمعنى البعيد .

يقول بوذا (في بداية الطريق — أى طريق المعرفة — كانت
الأزهار أزهارا ، والجبال جبالا ، والبقر بقرا .. يشير الى التلقين
الذى يلقيه الانسان فيكون قناعا يحجب عن العقل خوافى
الأشياء) ...

وفي منتصف الطريق غدت الأزهار وهى ليست أزهارا ولا الجبال
جبالا ، ولا البقر بقرا .. أى بالمعنى الحرفى لهذه المخلوقات .

وفي اللغة فرع يسمونه (علم المعانى) يهتم بأنواع الجمال

وتقسيماتها وأغراضها في الخبر والانشاء مع أن اللغة ، أحيانا ،
تقف بين الإنسان والمعنى بدلا من أن توضحه .. وكذلك المعلم ..

فحين يقول أنجيل متى (طوبى للحرانى لأنهم يتعززون) لا يقصد
الحزن بمعناه الكابى الذى يسترسل فيه أصحابه استجابة خفية
أو مقصودة لظاهر هذه العبارة ، وإنما يقصد الحزن الشفاف الذى
يستشعره أصحابه من عمق احساسهم بعزلة الإنسان فيهم عن
النبوع الأكبر .

هل يهم إزاء المعنى العميق لهذه الكلمة أن نعرف ما إذا كانت
خبرا أو انشاما ؟

ونستطيع القول نفسه عن علم البيان وعن علم البديع أى عن
نروع البلاغة الثلاثة ... ولو انفتحنا في تعليمنا اللغة وبلاغتها
على المفهوم الكبير للأدب ، لتجاوز اهتمامنا الجزئيات الى الكليات ..
وتحررنا من الألفاظ الى القطع الأدبية والأساليب وموسيقى الروح
فى العمل الأدبى .. أى تجاوزنا التقسيم القديم برمته لنقف وثقة واعيّة
عند الفن ومدارسه وأساليبه .. وعند علم الجمال وعلم النفس ..
ما هو الوجدان وما هو الخيال وما هو الذوق .. وما هى
العواطف الانسانية التى يثبع عادة ، منها الادب كسائر الفنون ..
إن قيمة الأدب فى قدرة الكلمة التى هى الترجمة الكاملة عما فى
النفس . ولكن البلاغة القديمة صيرت الغلاف هو الفن حين حسبت
الكلمة برنينها وتقطيعاتها هي الفن ، وحين حسبت اللغة فى القاموس
معزلتها عن الحياة بنبضها .

وهكذا نحتاج الى عملية مراجعة كبيرة .. تصفية وتنقية لتراثنا
الفكرى والاجتماعى عملية مراجعة للتاريخ .
ومراجعة الحاضر أيضا بمواضعاته واعتباراته ومتناقضاته ،
والوان السلوك ، لكى نعيد كتابة التاريخ .

المفاهيم الثابتة وكثافة التاريخ

١- الأهرام والسُّخرة

من الأفكار التي تدخل في مجموعة المفاهيم الثابتة بناء الهرم...
الوطنيون المتحمسون يرون فيه صرحا للعمارة والعلم وبراعة
الإدارة وخلود الفن... وآخرون وطنيون أيضا ولكن بطريقة
أخرى... فهم أمعنا في النظرية الأخرى وولاء لها يرون فيه
صرحا شاهدا على الاستعباد والسُّخرة، فشاعركبير مثل عزيز أباظة
يقول عنه في قصيدته (السد العالي) أن الهرم بنى بأيد مسخرة
موثقة ! وكأن هناك منافسة بين الهرم والسد !

أما الفاتحون ممن تحكمهم عقدة المجد فهم يحسون ثقل الهرم
على نفوسهم وقد حاول بعضهم فعلا هدمه فلم ينالوا منه غير
ثمانية أمتار في قمته كانت كافية للدلالة على حقهم وبقي الهرم...
وحاول بعض آخر من شدة احساسه بعجزه أمام الآثار المصرية
أن يكسر أنف أبى الهول ليطامن من شموخه . وفي الأدب الشعبي
يكنى بالتعبير (يكسر أنفه) عن الإذلال والتعطيل . ولكن أبا الهول
ظل رايا ساخرا في كبرياء... ساخرا من كل دخيل . لم يخسر
شيئا حين خسر الدخلاء كل شيء... .

دعنا من الحائقين والمحبين على السواء . ما هو وجه الحقيقة
في هذا الموضوع ؟

هرمان يونكر يرى (أن ما فيه من اتقان لا يمكن أن يحققه
عامل مستبعد) وفي رأيه أن الاستعداد قد يستطيع أن يبنى هربا
ولكنه لا يستطيع أن يحقق اتقاناً أو يفجر فنا سعيداً في ، بغددة
النقش في الهرم وفي المعابد المصرية فيه فرحة وغنائية يندر
وجودها في من آخر . والمغيد بتقسيم الجدار والسقف صخرة
منحوتة بحساب نفس متبلورة غنية الأبعاد ..

من الهرم الكبير الى الخزنة الصغيرة .

من الايجاز الى الاسهاب .

أبعاد غنية من الوفرة وراءها خيال له رؤية داخلية تنفذ من
السطح الى العمق البعيد .

كان يشرف على حفريات سقارة مدير يتول :

(عندما أسمع دقة الأرميل حزينة أعرف أن هناك خطأ في
العمل !! وعندما أسمعه سعيداً — من سعادة العامل — أعرف
أن العمل مضبوط ..)

جاء في « تاريخ العلم » لجورج سارتون (ان متوسط الخطأ
في طول جوانب الهرم لا يعدو ١ : ٤٠٠٠ وأن الخطأ في عمليات
التربيع التي استخدمت فيه لا يعدو كسراً عشرياً يساوي دقيقتين
واثنتي عشر ثانية ، وأن معدل الخطأ في ضبط ضلعيه الشرقي
والغربي لا يزيد عن ٣ : ١٠٠ ، وأن الفواصل بين الأحجار
لا تزيد عن نصف المليمتر ٠٠٠٠)

هل كان عمال الهرم سعداء .. ؟

ترينة أخرى غير (الاتقان) يضيفها الكسندر شارف وهي
حرص الحليقات الكادحة على أن تدفن على بقية من هرم خوفو
بعد موته بأربعة قرون بما رسخ في نفوس الشعب من سيرته
وآثره .

أى أن الأهرامات كانت مساجد ذلك العصر نباتها كانوا
يتبركون بينها .

يقول الدكتور أحمد فخري (١) (ان دارس التاريخ يجب ألا
ينسى أنه من الخطأ الكبير أن تحكم على ما حدث في العهد
الماضي بأثرنا الحالية ، أو ما نؤمن به الآن من قيم أخلاقية أو
دينية . كان خوفو ملكا مقدسا ، ولا شك أن رعاياه كان يسعدونهم أن
يشتركوا في إقامة مبانيه الخالدة ، وقد شيدت في أيامه كثير من
آبات العمارة والفن . فإذا كان هذا الشخص حقيقة ملكا ظالما
بتسلطه عاتيا فمن غير المعقول أن يكون في استطاعته ترك البلاد
في حالة اقتصادية مستقرة ساعدت ابنه (خفرع) على بناء الهرم
الثاني ، وهو بناء يخذل بمئات هرم أبيه في عظمتته . ولذا كان
لادعاءات أولئك الكتاب — المعارضين — أى نصيب من الحقيقة
لاستبدال الاستمرار في حفظ الطقوس الدينية الخاصة بالملك
(خوفو) قرونا كثيرة ، فلدينا من العصر البطلمي ، أى أكثر من
ألفى سنة بعد موته ، آثار تشير إلى استمرار وجود كهنة «خوفو»
حتى ذلك العهد) .

وعلى النقيض من هذا ، المؤرخ الشهير « بلينى » الذى لم
ير في الأهرامات إلا (استعراضا سخيفا ، لا فائدة منه ، لثروة
الملك) فإنه لم يلبث أن تساءل في دهشة لا تخفى : كيف
استطاعوا رفع الأحجار إلى هذا الارتفاع العظيم ؟

(١) كتاب « الأهرامات المصرية » ص ١٥١ .

ويبدو أن « بابلوني » لم يكن ، في دهشته ، وحده فقد راع الهرم ، الكثيرين حتى لقد قدم بغض المغرمين بالاحصائيات ، كما يقول الدكتور مخرى ، كثيرا من العمليات الحسابية ليعتقدوا مقارنات بين ارتفاعه وحجمه وبين الآثار الأخرى الشهيرة . واستنادا الى تلك التقديرات يقول عالم الآثاريات أن (مساحة الهرم الأكبر يمكن أن تتسع لمجلس البرلمان وكاتدرائية القديس بولس في إنجلترا ، ويبقى منها بعد ذلك مكان كبير غير مشغول ، وهناك حصة أخرى يتضح منها أن المساحة التي تشغلها قاعدة الهرم تكفى لأن تشيد فيها كاتدرائيات فلورنسا وميلانو والقديس بطرس في روما ، وكذلك كاتدرائية القديس بولس وديروستمنستر في لندن .

ولو أننا قطعنا جميع أحجار الهرم الى أحجار صغيرة ، حجم كل منها قدم مربعة واحدة ، ووضعنا هذه الأحجار كل منها الى جانب الآخر لأصبح طولها ثلاثي طول الكرة الأرضية عند خط الاستواء . وعندما كان نابليون في مصر حسب أنه يوجد في الهرم الأكبر ، وما جاوره من أهرامات ، أحجار تكفى لاقامة سور حول فرنسا ارتفاعه ثلاثة أمتار وسنمكه متر واحد ، وقد أيد أحد الرياضيين الذين كانوا بين علماء الحملة الفرنسية هذا التقدير الذي حسبه نابليون ؟ .

ويغيب في البهر حقيقة أخرى رائعة وهي الطرق الصاعدة التي أكدت الاكتشافات الأثرية وجودها بالضرورة لبناء أى هرم . وتشيد الطرق الصاعدة عمل كبير ومجهود ضخم لا يكاد يقل عن تشييد الهرم نفسه) .

وغير الطرق الصاعدة يلحق بكل هرم معبد جنازى وهيكل وسفن وسور خارجى مما يسبونه (المجموعة الهرمية) .

يقول الدكتور فخرى مرة أخرى (ان العقل لجهاز اذا ما اعملنا التفكير في كمية العمل الذي يحتاج اليها مثل هذا البناء حتى لو استخدمنا المعدات الميكانيكية الحديثة ...)

ومع هذا لم يروا هم في هذا العمل شيئاً محيراً بل شيئاً يستحق الذكر !! فلم تشر نصوصهم المدونة في الأهرام أو غيرها الى صليبه البناء ، أو وصفها !! ترى ما الذي يستحق الإشارة في نظرهم بله الحديث ؟!

جورج سارتون يقول في (تاريخ العلم) ، (انه مع التسليم بأن المهندسين المصريين اطلوا القوة البشرية محل القوة الآلية في تشييد هرمهم ، الا أن ذلك لا يفسر المعجزات الفنية والمعمارية التي تجمعت في بنائه ، وانما يضيف اليها معجزات بشرية لا تقل عنها في صعوبة تفسيرها ، ذلك انه من السهل أن نتحدث عن حشد آلاف من الرجال ، وليكونوا ثلاثين ألف رجل مثلاً ، للقيام معاً بعمل شاق ، ولكن كيف تم تشغيلهم ؟ وكيف تم تدريب الفنيين منهم ؟ وكيف أمكن تحقيق التعاون بينهم ؟ وسواء تأتت القوة اللازمة لعمل من الأعمال عن محرك آلى أم عن كتلة بشرية ، فان ترتيب هذا العمل وتنفيذه يتطلبان ذكاء ناضجاً للتنسيق بين السهل والعمال) .

ونعود الى النقطة الأولى هل تم البناء رهبة أو رغبة ؟ سخرة أو رضاء ؟

الدكتور عبد العزيز صالح أشار الى أن البناء كان يجرى في مواسم الفيضان والى أن البناء كان يعنى منه طوائف المتعلمين من موظفي الحكومة وكهنة المعابد وربما كبار الشخصيات من أهل المدن والقرى أيضاً أى كان قاصراً على الاديويين .

كما أشار الى أن العمال كانوا مسحورين بالعقيدة الدينية

فالمملك كن رأس الديانة ووريث الأرباب ، من الناحية النظرية
على أقل تقدير بل كان يعتبر ملكا في الآخرة أيضا والجهد في
سبيله شناعة .

كما أشار الى أن الأعمال منحصت لهم شون الغلال وخصبت
لهم مساكن لايوانهم ولم يتركوا في العراء وقدم لهم الطعام والشراب
وتضمنت النصوص قول بعض من تولوا رئاسة الاتيان والصناع
(لم أضرب انسانا وقع تحت يدي ولم أستعبد احدا في العمل)
وقول أحد أثرياء الأسرة الرابعة :

(كل صانع عمل في مقبرتي أرضيته)

وقول آخر (أنفقت على قبري هذا من مناعي الحلال ولم يحدث
اطلاقا أن اسسبت متاع شخص ما)

يقول الدكتور عبد العزيز صالح : (ليس من شك في ان مثل
هذه الاقوال لا تخلو من مبالغات يستقبل الشخص بها حياته
الأخرى ، ولكن ليس من شك كذلك في انها لا تخلو من ابارات
صدق . ولواقع انه اذا كان لكل طائفة من الحكام آفة ، وكان
من آفة حدم بلاد النهرين الأتدميين حب البطش وسفك الدماء
والنهم الى الجبروت ، وكان من أمر الحكام الرومان الأتدميين
مثل أمرهم ، وكان من آفة حكام العصور الوسطى بذل جانب كبير
من موارد دولهم وبيوت أموالها في سبيل بناء القصور وحياه
الاستمتاع ومذائح الشعراء فقد كان من آفة انفرانسة المصريين
أنهم وجبوا جانبيا كبيرا من موارد أرضهم الى مسانح المنساج
والمقابر والأهرام . . .)

وقد يتساءل بعض الناس لماذا لم يهتموا بالنواحي المبرانية
التي تدور على أنشعب كله بالخير ؟

وهنا أقول إن ملوك الأهرام بذلوا الكثير من أجل التعمير
وانتضير وبعض هذا ، الزراعة ، علم ذلك العصر وصناعاته بها
وراءها من رى وشق الترع والقنوات ، والتقويم السنوى وكل
ما حملة عصرهم من حضاره بفنونها وعلومها ... فعلوا هذا قبل
بناء الأهرام بل لعلهم بسبب هذا كله وبه ، بنوا الأهرام ...
بعائد الزراعة وخيرها ، ويدافع استثمار نعيمها واستبقائه بعد
الحياة . فما يفكر فى الخلود محروم أو مجهود ولكن نعيم الحياة فى
مصر جعل جنة المصريين ، مصر خالدة .



بل أن أمين سامى (ياشا) صاحب كتاب تقويم النيل يقول فى
جزء (مصر والنيل) برأى جديد مضمونه ان النيل كان يجرى فى
ذلك العهد بالقرب من الهرم . فكانت الرمال تطمر مجراه . وكانوا
يقاسون فى ازالتها أشد العذاب فبنوا الهرم ذا السطوح المسائلة
التي اذا سقطت عليها الرمال كانت زاوية السقوط مساوية زاوية
الانعكاس . وضمنوه فوائد أخرى منها أنه يمكن به تعيين الجهات
ومعرفة الفصول .

ودفن خوفو به من قبيل دفن أصحاب المساجد فيها .

حين نعيد كتابة التاريخ يجب أن يعرف النشء وجوه الرأى فى
هذا الموضوع ليحكم بنفسه لنفسه وحتى لا يقع ضحية آراء
مغرضة ، أو حائقة ، أو خاطئة ، أو متورطة مسائرة ومجاملة

لماذا الأهرام دون سائر الآثار فى مختلف الحضارات القديمة
تسلط عليها فكرة السخرة ؟ مع أنها بنيت فى بيئات لا تنتظر
انحسار فيضان ، أو يوثق علاقتها بالحاكم نهر معبود يجعل مرضاته
باعتباره سيد النيل ، بركة وضرورة معا ؟

لماذا لا يقال ان سقارة حقق فيها المصريون حبهم للنور فأبو

الهرم في هيئته وموضعه من الهضبة بكل ما فيه من قرار واستقرار وطمأنينة يمثل فكرة انتظار مشرق الشمس .. والهرم نفسه مصعد الى الشمس فانها (عندما تسقط مضيئة بين فجوات السحاب في السماء فانها تظهر كما لو كانت اهراما هائلة الحجم تربط بين السماء والارض . وتقرأ في أكثر من موضع في نصوص الاهرام وصفا للملك الميت وهو يستخدم أشعة الشمس كطريق مساعد يرقى عليه الى السماء .)

هذا الكيان الرياضى الصارم الأخاذ الجليل .. انه طائر ذو أربعة أجنحة ولهذا يجب على من يزوره أن يقف قبالة الزاوية ثم يرفع بصره الى القمة ويحتضنه من الجناحين في عملية تجسيد للنفس وللوجود البشرى المصرى .

انه وعاء للزمن فيه كينونة وراء صيرورة الأيام .

انه حوار بين الانسان والمطلق .. كتلة تطمئن وسط الفضاء اللانهائى ... كتلة تملأ جزءا من الفراغ ثم عاد الانسان المصرى فلغها حين صقل سطح الهرم بالطلاء الأبيض استزادة من النور. وهذه الثنائية في الشعور عبرت عنه أساطيرنا حين جعلت البطل يقدم رجلا ويؤخر أخرى .

الهرم رؤية لأجيال مجتمعة في رائعة فنية .

انه اشارة الصمود والثبات في الشخصية المصرية .

٢ - أسماء وراءها مواقف «فرعون»

قالوا (فرعون) وعنوا باللفظة التجبر والتكبر، وأحيانا الشر والكفر
فيقول المثل (تحسبه موسى تلاقية فرعون) .

وعند المثقفين المصريين يعنى لفظ (الفراعنة) المجد كله والفخر
كله . لنناتش كلمة (فرعون) .

كيف تكونت ؟ ما هى دلالتها ؟

يقول الدكتور عبد العزيز صالح انه لقب (جمع بين صيغة
بصرية قديمة ، وصيغة عبرية قديمة ، وصيغة عربية قديمة .
صيفته المصرية القديمة برعا أو برعو «وتشبهها الصيغة الآشورية
برؤو أو برعو» وصيفته العبرية « فرعو » بعد قلب الباء فاء
« وتشبهها الصيغة الأغريقية فاراو » وصيفته العربية «فرعون»
بعد اضافة نون أخيرة .

أما الصيغة المصرية فهى تعنى البيت العالى، أو البيت العظيم.
وتلقب الملوك والرؤساء ، شىء معروف فى القديم بل لا يزال
مألوفاً فى عصرنا الحاضر) .

ما الذى يجعل هذا الثقب سىء الوقع عند بعض الناس ؟

هل هو فرعون موسى ؟

هل من طبيعة البشر أو طبيعة الأشياء أن يصدق فرعون بكل هيله وهيلمانه ، وللوهلة الأولى ، داعيا ، فى نفسه منه ما فيها ...

وقد كذبت قريش بعد أن قطعت الانسانية من عمر الزمن دهورا بعده ، الزكى السرى الصادق الأمين وهو فى الذؤابة منها شرفا ومحتدا ؟ لم يكن عندها عذر عصبية الجنس أو عقدة الثأر القديم أو مبرر الاستعلاء .

لقد كان موسى فى نظر فرعون كما جاء فى القرآن الكريم قاتل أحد رجاله وهو فى نظره ، ربيب نصره حتى ليقول له فى عتاب أو تأنيب أو كليهما : (ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين .. وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين) .

ولم ينكر موسى (قال فعلتها إذا وأنا من الفالسين) .

سورة الشعراء الآيات ١٧ و ١٨ و ١٩

كيف ؟

القرآن الكريم يقول : (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ففككه موسى فلقى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مبين .

قال رب انى ظلمت نفسى فأغفر لى فيغفر له انه هو الغفور الرحيم .

قال رب بما أنعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين)

سورة القصص الآيات ١٤ و ١٥ و ١٦

(قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) القصص
آية ٣٢

الا يخطيء من ليسوا أنبياء ؟

وعندما يخطيء فرعون موسى هل ينسحب هذا الخطأ على كل
فرعون ؟

الم يكن اخناتون متساميا موحدا نبيلًا ؟

هل كل ملوك الفرس تميز ؟

هل كل خلفاء بنى العباس ، السفاح ؟

هل كل الفاطميين « الحاكم » ؟

واذا جاز أن يحسب علينا خطأ فرعون واحد فان من المقابل ،
أن يحسب لنا أمجاد فراعين ، يكفى الواحد منهم أمة بأسرها
في باب المفاخر

على ان من أئمة المسلمين والواصلين من برأ فرعون من الكفر .
فالامام محيي الدين بن عربى يقول فى كتابه « فصوص الحكيم »
(بايمان فرعون ايماننا لازما ، وأنه قدلقى ربه طاهرا مطهرا .)
سالمًا من العيب ، بريئا من الذنب (وظاهره فى هذا الامام جلال
الدين الدوانى فى رسالته الخطية الموجودة بدار الكتب . مستندين
الى الآية الكريمة (آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو
اسرائيل وأنا من المسلمين) سورة يونس آية ٩٠ ، وجعله ابن
عربى ، آية على عنائته سبحانه لمن يشاء حتى لا يياس أحد من
الله تعالى .

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) .

وأخيرا اسم مصر

حين احتجب اسم مصر قال لى صديق فنان ممن يحبون مصر حبا خاصا ... هونى على نفسك وهل الذى احتجب الاسم الاصلى ؟

كثيرون ومنهم مثقفون يعتقدون أن اسم (مصر) هو ، التسمية العربية أى تسمية حادثة فى القرن السابع الميلادى فهى ليست بالاسم الأول القديم .

والحقيقة أن المصريين القدماء فتنوا بواديهم الأخضر وسماهوا أكثر من اسم . فهو ، أى مصر ، عندهم (كيه) أى السمراء ، و (تاكيس) أى الخمرية ، و « تاوى » أى الأرضين و (ايدبوى) أى الضفتين . ولم يكتفوا بهذا كله بل أضفوا عليها من ولعهم بها صفات شاعرية كما يدل المرموق المعشوق فقالوا « ايره رع » أى عين الشمس أو عين رب الشمس وقالوا « وجاة نثرو » أى عين رب الأرباب و « اترتى » أى ذات الحرايين و « باثة » أى الزيتونة فهى خضراء دائها ..

أما جيرانهم من كنعانيين وأشوريين وفينيقيين وبابليين فكانوا يسمونها مصرى ومشرى ومصر ومصرم ومصرايم « الثوراة » ومصرين وختلها القرآن الكريم بلفظة مصر .

ومن الوثائق الخارجية المحفوظة رسالة بعث بها أمير كنعانى فى الربع الثانى للقرن الرابع عشر ق . م يطلب حماية فرعون ويستأذنه فى إرسال أهله الى « مناتو مصرى » أى الى أرض مصر .

أذن كلمة مصر تمتد فى الزمن الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

وتقارب هذه اللغات فى اسم مصر يطرح احتمالا مؤداه أن هذه اللغات أخذته أصلا عن أصحابه ... عن اللغة المصرية القديمة فإن أسماء الأعلام تؤخذ كلها الى حد بعيد ...

يقول الدكتور عبد العزيز صالح (ليس من المستبعد إطلاقا أن تؤدي الكشوف الأثرية المقبلة الى اظهار وثائق مصرية تذكر اسم مصر في صراحة ، ولكن حتى تظهر هذه الوثائق يمكن ترتيب الآراء المحتملة في ضوء المصادر المعروفة حتى الآن في تحليل اسم مصر ومترادفاته القديمة ، في أربعة آراء تنتهي جميعها الى اعتباره لفظا ساميا مشتركا يؤدي معانى الحاجز والحد والحد والحد ، ويترجم عن صفتى الحصانة والحماية) .

ويؤيد هذا الرأى ما نراه في النقوش والرسوم والتماثيل من احاطة كل عزيز عليهم وخاصة ملوكهم بقرص الشمس المضح وبماء النيل وتسرب هذا عبر الزمن ، الينا في قول ابن البلد (مصر المخروسة) .

ومن حب المصريين مصر ، كان قداماؤهم يسمون انفسهم شعب الشمس ، والشعب النيل ، وشعب الاله ، بل تصوروا انهم نبتة منه صيغت من جسمه ، أو انهم خلقوا من عينه ونزلوا من دمعه . وكان ملكهم كان ينطق بلسانهم جميعا (اليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ؟) .

قد تكون القوة والثراء والرخاء والسيادة ... قد تكون هذه الصفات مجتمعة ومتفرقة ازدهتهم فوصفوا انفسهم بهذه الصفات . ولكن عصور الضعف بما تورثه من تخلف وتسبب وانحطاط هل كان الشعب المصرى يرى نفسه ، فيها ، دموع الله أم دمعه هو ؟

في عصور القوة بمكاسبها .

وفي عصور الضعف بمثالبها .

نحن مصريون .

٣- مصر والغزاة

قالوا ان مصر تعاقب عليها الغزاة وتصدوا بهذا ان يرموا الشعب المصرى بالاستكانة والخضوع . بل حاول الاستعمار تعميق هذا المعنى فى نفس الشعب حتى يستسلم لقدره فيه .

قضية او نظرية آن الاوان لكى نناقشها :

زرعت مصر الوادى فكيفها النبات وعالم الزراعة المتجدد ابدا ... الهما فكرة الخلود .. لماذا لا تتجدد النفس المصرية هى الأخرى ؟ عالم الزراعة اكسب مصر صفة الثبات الدائم ... ان التقلبات لا تثير المصرى كثيرا ... انه هو الباقي وكل العواصف تزول .

لم يضع هدرا ، النضج الحضارى الذى استقر فى أعماق الانسان المصرى والذى كثيرا ما يكون قد قر تحت قشرة متواضعة أو خشنة أو فقيرة ، ولكن المصرى المتواضع أو الفقير يعرف (الأصول) و (العيب) . يقول الدكتور زكى نجيب محمود :

(كان من المستحيل على المصرى أن يجتاز هذه الحضارات التى يكمل بعضها بعضا دون أن يمتص رحيقها .. ومن بين ذلك

الرحيق أن يفرق بين ما هو عابر وما هو دائم ... ومن هنا
جاءت صفة الصبر عنده .. وجاءت صفة السكينة والهدوء التي
يقابل بها الأحداث عادة لأنه موثق أن المستقبل له آخر الأمر ...

ان الغزاة في القديم غزوا مصر بعد أن نعمت طويلا بالحرية
والرخاء والفن . والأمم كالأفراد يضعفها الترف . وكل أمة
يتعاورها المجد والاضمحلال... لم توجد الأمة التي أطرد مستواها
على وتيرة واحدة ... تلك الأيام نداولها بين الناس .

ثم ان النصر في الحرب لا يدل على أفضلية مطلقة ... هل
تزن اسبرطة في التاريخ وزن أثينا وهي التي قهرتها وحكمتها ؟
اين اسبرطة من أثينا في القديم والحديث ؟ .

ان الذي القى القنبلة على هيروشيما كان يعمل لحساب رئيسه
في أمريكا، فلا يدل هذا على أن القائد الأمريكي أكفأ من القائد
الياباني .

هذا حين لا تصلح الغاندية بدون غاندي .

ان الفكرة أخلد من العصا .

ان فرنسا هي الأوبرا وفولتير وروسو ... وانجلترا هي بيكون
وشكسبير .

الأمم بالرغوس لا بالعضلات .

ويوم يسود الفكر سييطل عمل الجيوش . ان الذي أنهى
حرب فيتنام أن وجد بين المجندين الأمريكيين من يقول لماذا ؟
(ليه ؟) .

والذي أنهى استعمار فرنسا للجزائر أن قالت فرقة فرنسية
امرت بالسير الى الجزائر لماذا ؟ (ليه ؟) .

مثل هذه الأصوات تفيق الطغاة ..

لقد قتلت القوة الغاشمة أرشميدس بخبطة-عضا .. وكذلك
العالم الفرنسى « لا فوازيه » فى لهيب الثورة الفرنسية ...

ان العالم القديم كان أشبه بسوجات تملو دوله موجة ،
وتمتد ثم تهبط وتنحسر لتأتى وراءها موجة أخرى . وهكذا بدأت
نصر العرض .

وهى فى جميع الأحوال لم تغب الأضواء عن قسمااتها . ولما
جاء الاسلام كان يحمل معنى ونظرية « الأمة الواحدة » (كنتم
خير أمة أخرجت للناس) . فكل وال مسلم غلب اسلامه جنسيته ،
فلم تحس مصر بالقربة خاصة بعد اعتناقها الاسلام ثم تحمسها له
وهبتها للدفاع عنه ووقفاتها معه وتمكينها له . لقد استقبلت مصر،
الاسلام ، بما فيه منها ... وبحسها الحضارى بما فيه من انفتاح
على الفكر وانسراح واحتضان للقيم تجاوبت مصر مع
الاسلام أخذت منه وأعطته على العكس من تركيا .. لأن
الأترك أمة حرب ليس من طبعهم السماحة والوداعة والرحمة
والشفافية حتى التقى منهم كان فى عنجهية .. فقد روى الدكتور
أحمد أمين ان التركى كان يقف بباب المسجد وفى يده كرباج يجلد
به الرائحين والغادين ليدخلوا المسجد ويؤدوا الصلاة !

حتى الخلافة الاسلامية التى هبطت على تركيا من السماء ،
لم تستفد من هالتها وبركتها فلم تتفقه فى الدين، ولم تعدل فى الحكم،
ولم تتبحر فى العلم، ولم يشف وجدانها أو تتثقف روحها .

كان زواجها من الاسلام عقيما وانتهى بالطلاق على يد أتانورك .
وهى نهاية طبيعية على الرغم من فزع الكثيرين فى وقتها . ولم تجد
نصيحة شوقى لها (يا دولة السيف كونى دولة القلم) لأن القلم
موهبة وعطاء (يؤتى) و (لا يكون) ...

ثم يأتى كاتب مثل Levonian يشغل عمادة مدرسة الدين فى
أثينا ويحكم على العقلية الاسلامية بما اقترفته تركيا فى الخلافة

في كتابه : Moslem Mentality

وعدوا على مصر قائمة من أسماء الحكام ... إن ابن طولون والأخشيد والمعز وصلاح الدين كل هؤلاء اتخذوها منطلقا وحكروا منها ، وبها قبل أن يحكموها .

حكروا باسم مصر وتوسعوا في الفتح بطاقات مصر وأسسوا الدول يظاهروهم موقع مصر وثروتها وقدراتها الكثيرة مما لم يتوفر لهم في بلادهم الأصلية وبين أقوامهم إنها عبقرية المكان أو روح المكان بها وهبه من امتياز الموقع وشخصية الحضور فإن الوجود في مصر شيء في ذاته يمنح صاحبه من طاقة القدرة ما لم يمنحه حتى في بلده الأصل . والمثل عند صلاح الدين ونور الدين فليس الأول بخيرهما ولكنه الأسعد حظا بوقفه مصر معه . ، تعرف هذا مصر فضلا عن اعتبار الدين واللغة . ولهذا عندما جاء الأجنبي الحقيقي نابليون لم تطقه فلم ينصرم على وجوده القلق بها ثلاث سنوات حتى كانت أجلته جلاء تاما عن ترابها . وليست مصر بدعا في هذا فقد استطاعت البابوية أن تحكم أوروبا على الرغم من الحدود قرونا بتأثير الفكرة الدينية .

ألم يدافع زعماء منا متطرفون في وطنيتهم متحمسون في حبهم لمصر عن السلطان التركي باعتباره الخليفة وأمير المؤمنين ؟ ... من يدري لعل كثيرين نظروا الى سليم الأول على انه المنقذ من المهالك ! أو الرمضاء .

بل ليكن الحاكم من يكون فسد أم صلح ما دام لا يتعرض للأرض أو العرض أو الرزق . أما إذا مس أحد هؤلاء فإن مصر تتمرد عليه كاعصى ما تكون . أمة كما يقول الأستاذ العقاد في كتابه عن سعد زغلول .

وليكن هناك ناس عندهم استعداد أو موهبة الحكم . هل معاوية في التاريخ خير من علي ؟ إن أصحاب القيم عبادة لا يصلحون لحمل العصا . لقد رفض كثير من القضاة ، القضاة والولاية

ومنهم رجلنا الليث بن سعد . لقد عرض عليه حكم مصر فرفض
كما رفض القضاء ولكن السلطان والقاضي كان كل منهما يغشى في
نوائبه وحوائجه مجلس الليث التماسا للرأى أو التأييد فان استحققه
جاء عليه به امام مصر وفقهها . واذا انكر رجلنا الليث من السلطان
او القاضي أمرا كتب الى الخليفة فما يلبث أن يأتى الحاكم ، **العزل!**

لقد كان الليث ينهى عن مدح السلاطين وقد تكفل بمنصور
ابن عمار حتى لا يقف بباب السلطان ويمدحه رغبة أو رهبة .

ان استمرار مصر في صناعة الحضارة كان فيه رضى نفسها .
فالخلق والابتداع والتفنن هواها وهوايتها منذ القدم . . أما الحكم
فلم يكن يهمها منه كما قلت الا العدل فيها والتعفف عن أموالها
أو عدم الجشع والسطو . كان الحكم في نظرها مهما بلغ وظيفته
إدارية لا فن فيها حتى لتسميه في سخرية لا تخفى (الضبط
والربط) .

من أجل هذا كله زهد المصريون في الحكم واعتزوا بالسلطات
الحقيقية : السلطة الروحية أو السلطة الأدبية والفنية .

ان السلطان الحقيقى في عين مصر هو الفنان الذى لا سلطان
لأحد عليه ولو كان من أهل الحرف .

ان الواحد من هؤلاء اليدويين (معلم) ، ولعلميته أصول وتقاليد ،
وله احترام خاص وسمت معين . وحين فتح سليم الأول مصر
جمع هؤلاء المهرة والفنانين وخملهم معه الى القسطنطينية . ودلالة
هذا بهر الغالب بفن مصر بهرا يسيل لعبه حتى ليعجز عن
مقاومته . . . ولم يؤثر عن سليم أنه أخذ فنانين وصناعا من مكان
آخر في الشرق كله . .

اعتبار آخر . . . ان المصرى حريص على ما يملك . . يبقى
ويصون . الخبز في مصر دون سائر البلاد (نعمة) و (عيش)

والمصرى لا يرمى لقمة ... واذا وقعت منه على الأرض ينحنى يلتقطها ويرفعها في محاذاة عينه ثم يقبلها ... المساء نعمة والأرض نعمة النعم ... والمصرى لا يبهدل النعمة . ولهذا يفكر ألف مرة في (كيفية) رد العدوان عليه ... أن الروسى يحرق الأرض بعد أن ينسحب منها حتى لا ينتفع بها المغير . ولكن المصرى في الغزوات التى ابتلى بها كلها لم يفكر مرة واحدة في حرق الأرض ... كيف ؟ انه يعيشها .. لا يهون عليه حرقها ... السلب أهون ولو انه ألقى المرين . انه واثق أنه سيجمع أمره ويستردها ... مآلها اليه وحده فلا يشوه نصره المأمول بأضرار المحبوب .

والمصرى لا يتأمر ... حين طلبنا وقف القتال سنة ١٩٦٧ الحزينة كان هم مثقفينا ، القاهرة .. الخوف على كنوز التاريخ فيها كما أعلن الفرنسيون ، باريس مدينة مفتوحة . لكل شعب طريقته في المقاومة وفلسفته .. الشعب المصرى كان ينظر الى الحاكمين نظرة الشاعر في أعمق قيمته وحضارته وتراثه ووراثاته الى البرابرة الذين لا يملكون الا العضلات . فكان همه كله أن يحافظ على ذاتيته .. على قيمته وحضارته وتراثه ووراثاته بأتقاء شرهم أو اعتزالهم لاسيما اذا اتقوا ظلمه ...

كان المصريون يعتبرون بعض الغزوات وفادة همجية دفعتها قسوة الطبيعة في بيئتها الى الوادى الأخضر .. وبهذا تكون مصر اقلمتها مثل الغزوات التى جاءت من الغرب كغزوة الهكسوس الذين عنتهم مصر بكلمة (المحرومين) ، على الرغم من انتصارهم واستيلائهم على الدلتا . وهى صفة توحى باعتزاز النفس المصرية بذاتها المعنوية والمادية ... بذاتها الحضارية حتى ولو غلبت سياسيا ... فغزاة مصر اما « محرومون » يتطلعون الى الرخاء المصرى أو « برابرة همجيون » يطمعون في (الملك) المصرى .. ومن هذا المفهوم تنبع لفظة الهكسوس التى أطلقتها مصر على الآريين الذين هاجموا من الشمال الشرقى .

والمصرى دعونا نقولها واضحة وصريحة : . . . المصرى حكاه لم
ينصفوه فالحكم مفسدة للقريب والغريب . . . لعل المصرى عند الغزو
قال فى نفسه : أيموت دفاعا عن كرسى هؤلاء ؟ من يدري لعل هذا
منبع حكمته التى تقول (ما يموت على السد الا قليل الفلاحة) .

ما دام الشعب المصرى لا يغنم من الحكم مغنما حقيقيا فليتصارع
على الحكم المتصارعون أيا كانوا، وليعكف هو على عمله الذى يجبه
ويحقق ذاته فيه . . . ان حكمته واقعية لا نظرية وكم فى اعمال
البسطاء من حكم . . .

فلسفة الشعب المصرى ان يتوقع على نفسه النفيسة ويصنع
من دمومه فى محارته أو عزلته ، لؤلؤة . . . فنا وصناعة وطرفا . .
يتوارث مهارتها خالفا عن سالف ويعتز بمعطياته فى هذا المجال
فيجعل كما أثرت لكل (صناعة) حيا ومعلما . .

ان الذى أمسك علينا شخصيتا بعد سنة ١٩٦٧ اننا لم نعتبرها
هزيمة أمة . . . ولو فعلنا لانسحقنا . ولكننا غسلنا عارها بعد ست
سنوات هى فى عمر الامم لحظة ، أو بعض ساعة . . .

لا كانت سنة ١٩٦٧ . . . لقد جرحت الهزيمة حتى البسملات
وسنابل القمح ، ورقة الياسمين . . . جرحت السنين فى شيخوخة
الآباء ، وجرحت نضارة الطفولة فى الأبناء . . . جرحت السرور فى
القلب والكبرياء . . . جرحت الثقة والقدرة والآباء . . . جرحت الليالى
للىالى القاهرة فلم تعد عذبة ولم تعد مائنة ساحرة . . . وبكى
الفجر فى الحقول حتى بلل الصبر ، وتشابهت الايام فلم يدر بها
العمر . . .

ومع هذا لم تعرف مصر ولم يعرف تاريخها حائط المبكى . . . كانت
مصر فى الأعوام الستة تلمم جراحها وتجمع نفسها ، وتنبوعب
خصائصها فى عملية تحضير للعب الدور الجديد الذى بدأ بالعبور.

هذه هي شخصية مصر التي يرمز اليها النيل والهرم ... النيل
الذي كان التشريع المصري ينص على أن النيل اذا بلغ أربعة
وعشرين ذراعا أصبح لزاما على كل مصري من أى طبقة العمل
على حماية البلاد من فيضه ... ولعل شعورنا العميق بوجوب
التجمع والتوحد عند خطر النيل هو سر الحيوية المصرية التي
تستيقظ فجأة عند الخطر حين لاتدل الدلائل على هذه اليقظة قبل
وقوعها .

والهرم الثابت في وقفته ، الراسخ في هيئته ، الشامخ في كبرياء
وراءه وأمانه جلال الماضي ومواكب التاريخ ومعارك التاريخ
أيضا. ولكنه بعد الغزوات والكبوات والانتصارات ظل هو معجزة
العلم والفن والحضارة ... معجزة مصر وشخصية مصر .

اين الغزاة ؟

ان مصر لا تموت ..

وان ما نشهده اليوم من ارادة التغيير والعمل والتحرير شاهد
لا يخيب على ارادة الحياة الكامنة في النفس المصرية بل التحدى
للقهر والالتم .. التحدى للصعب والعثرات ... وأسلوب مصر
الذي لا يتغير في تخطى المحن هو « العمل » .

ان الحضارة المصرية كلها احتفال بالعمل . كانت حياتهم قريانا ..
حياتهم نذروها للمجد ... وهنا ندرك معنى قول القائل (الموت
فن) فالمنتحر عاجز عن الحياة ... عجز عن تكريس الحياة لهدف
ونذرها له حتى تفنى دونه ..

لقد أدركت الحضارة المصرية منذ القدم بالبصيرة حكمة تغيب
عن كثير من المربين ، وهي أن الانسان لا تستقيم حياته ما لم يكن
في طريقه الى غاية كبيرة ، أو يشارك في عمل رائع ، أو هدف يثير
الانبهار

ان الناس يسمون المتفانى في الذكر « مجذوبا » ثم أطلقوها بعد هذا في غير موضعها . فكل من سخرأ منه سموه مجذوبا ، مع أن المجذوب هو الذى أعطى بلا تردد في الرجوع ... اختار ...

وقد اختار الانسان المصرى صناعة الحضارة ... وصناعة الثقافة ... اختار أن يضع نفسه في مجال الخلق وأن يجعل من نفسه مرقبا ومنطلقا للتشكيل ... للبناء ... للتشويق ... للرائع والجليل ...

والمصرى الاصيل دائما يعطى نفسه للقيمة فهو عندما يكون غالبا مستقرا يعطى نفسه للفن .. وعندما يكون جريحا مهيضا يعطى نفسه للنصر أو الشهادة .

ان شهداء المسيحية في مصر قد أعطوا أنفسهم لمعنى ... وقد أدركوا هذا جيدا وقصدوه..ومن ثم غنوا وهم في طريقهم الى أعواد المشائق ...

والمصرى الاصيل لا يعوقه شيء عن هدفه ... لقد كان أبو الهول في الأصل صخرة ضخمة تعترض طريق المصرى الى الهرم فشكلها تمثالا وأحال العائق الى فن رائع ...

ان فن المشربيات الذى ابتدعه العصر القبطى كان وراءه سبب قلة الخشب في مصر فأحال المصرى فقر الكم الى غنى الكيف ...

شكلت مصر الخشب وهو قليل عندها ، أروع ما يكون التشكيل في تمثال ابن البلد ...

لقد نشأت التراجيديا في الأدب الغربى ولم تنشأ في الأدب المصرى . ولعل مقدمه نيتشه عن مولد التراجيديا تعلل هذه الظاهرة . فقد تساءل نيتشه لماذا ولد بطل احدى الكائنات الاسطورية ولماذا يعيش ؟ ثم خرج من حيرته بقوله : انه كان يجب (الا يولد) . وهذه

العبارة بمثابة رد على الموت ... على حين ان مصر لم تعترف بالموت ... اذن ليس هناك مأساة .

مصر من حبها للحياة تجاهلت الموت بعدم الذكر أو تحدته بالارتفاع فوقه .. وبسرعة . ان قصة أوزوريس وست التي كان يمكن ان تشكل تراجيديا كبرى ، نقلتها مصر الى ساحة المحكمة أو ميدان الصراع . فالحوادث محاكمة أو نضال ... لم تقف مصر طويلا عند لحظة القتل لأنها تحيا ... لأنها لا تعترف بالموت نهاية ...

المصري يرتفع بسرعة على حزنه الكبير يرتفع عليه وهو يحسه في داخله احساسا عميقا ، بل لعله بقدر هذا الاحساس يكون ارتفاعه ان البسطاء من المصريين وحدهم هم الذين أثر عنهم العويل واللطم لأنهم يرون الموت ساحقا يسحقهم وهم أبناء شعب يحب الحياة ، فيعيشون طويلا في الموقف .

ولكن الانسان المصري الواثق عندما يحزن يستقطب إليه في داخله ، ويستدير هو يعيد البناء ... والشنواهد كثيرة من تاريخها وعلى هذا لم تعرف مصر التراجيديا ... حتى المسيحية المصرية ركزت على الأم لا الصلب ... ركزت على الأم بحس بعيد من ايزيس وهاتور

الفكر الأوربي يقول أن الأفضل الا تكون هناك حياة ... والفكر المصري يقول الحياة سرمد ولا موت ... حتى كتاب الموتى لم يعرف عندهم بهذا الاسم وان كان مضمونه طقوسا جنائزية ...

ان المصريين القدماء لم يرفضوا الموت فحسب بل رفضوا الشيخوخة أيضا ... ولهذا عنوا في أهراماتهم بصالة تجديد الحياة . وفي معبد هرم زوسر رسم للملك الشيخ وهو يجرى جاسرا بعد أن علت سنه ، لتجديد نشاطه .

ان التراجيديا عند مصر الفرعونية تتمثل في ذبح الثور يقدمونه
قربانا ثم قال حكيهم (عمك الطيب أحسن عند الاله من
القربان) ...

اننا نلقن تاريخ مصر ولا نقرؤه وبهذا أضعنا المفتاح ... واننا
لكي نعيش عصرنا بأحداثه لا بد لنا ، في عملية البناء ، من رحلة في
النفس ومعاناة حقيقية . بحثا عن المفتاح حتى يقوم الجسد على
أساس متين من ماضي هذا البلد بما وعى من تجارب
ومكابدة وذخائر .

هنا على هذه الأرض نضج الإنسان والنضج وعى .. والوعى
سعى ... انه تحريك القوى في كل مجال ... وهذا بعينه حدث
في مصر ... وهذا بعينه لابد أن يحدث في مصر اليوم اذا أردنا
الانتفاض والعمل ..

لقد شكلت مصر في « العصر العتيق » أى في الأسرة الاولى
والثانية قبل عصر بناء الاهرام ، شكلت مصر ذرات الصوان
وشكلت من البللور الصخرى الوانا من الآنية فيها الحس الصافي
للشكل . وليست المسألة التشكيل على ذروته ، ولكن « ادراك
القيمة » .

هذه هي شخصية مصر الذى دخل بها الفراعنة ، التاريخ
ووضعوا بصمتهم عليه ...

شخصية مصر التى هى وعى بالمقدس ، وارتفاع فوق الأحداث،
وطموح حضارى .

ان الشخصية المصرية بهذا المعنى هى أعلى سد ضد
التقهقر والتخلف والتفسخ فى الداخل، وضد الهجوم والتربص من
الخارج .

وان مصر التى كانت رائدة ثلاث مرات فى التاريخ مرة حين

ابتدعت الحضارة ، وأخرى في المسيحية ، وثالثة في الاسلام عليها
أن تبقى رائدة مرة رابعة وتحمل رسالة قديمة جديدة.والجدة هنا
تعنى وجود الرجال القادرين على « التحريك » أو كما يسميهم
توينبى : Those who know how الرجال العارفين بمنطق
الحدوث أى ما وراء وجود العمل الفنى ...

هذه هى شخصية مصر ... وأنا أعنى كلمة شخصية التى
يتوسع الكثيرون فى استعمالها مع أن « الشخصية » لفظ كبير
جدا فى المفهوم والدلالة حتى ليقول « يونج » ، (من أندر ما يمكن
أن تجد شخصية) .

الشخصية خلق جديد لا يتكرر ولا يقلد لأنها روح .. لأنها
عطاء .. لأنها سر .

ومع هذا فمن بين أطفالنا ساذج يقول : أنا لى شخصية !
وما درى أن أمته كلها شخصيتها النفيسة قد تاهت وهى الآن
تعيش فى محاولة البحث عنها ... أو البحث عن مفتاح ...
لاسترجاعها ثم الإبقاء عليها ثم تنميتها بمتطلبات العصر الذى
نعيشه من خارجه،حين يفرض علينا دورنا الحضارى أن نستقطبه
ثم نزيده بفعالية وإضافات رائدة .

بقيت قضية :

الاقباط والمسلمون . من نحن ؟

الأقباط والمسلمون

ان المثقفين من المسلمين والاقباط يعلمون بالدراسة والوعى التاريخى ، أن مصر اعتنقت المسيحية ثم الاسلام .

المسيحية جاءت من فلسطين .

والاسلام جاء من الجزيرة العربية .

وبعد تفكير وتمحيص للدين الواحد ولوقفها هى ، اختارت مصر المسيحية بل تبنتها ودافعت عنها **بالرأى والروح** .

ولاعتبارات فصلتها فى كتاب (شخصية مصر) بل فى هذا الكتاب دخلت مصر فى الاسلام أفواجا .. ولم يكن غريبا عن طبيعتها ، ولا عن مسيحيتها . ولهذا لم يكن اسلامها مسايرة أو تسليما ، ولكن كان اسلامها موقفا واستجابة وإيجابا ، فلم تلبث أن تحمست له ، ودافعت عنه **بالرأى والروح** .

وكما نشرت مصر المسيحية وأضافت اليها كما لم يفعل أحد .

نشرت مصر الاسلام ومكنت له كما لم يفعل أحد .

وبما تمثل المسيحية من وقفة مصر وموقفها ... من رأيها وشخصيتها ، نعز بالمسيحية مسلمين وأقباطا لأننا مصريون .

وبما يمثل الاسلام من سماحة مصر وتفتحها ... من احساسها بذاتها حتى لاتخشى الجديد ، لانها بالتاريخ الطويل تعرف أن لها في كل مسرح مكانها ومكانتها ... بهذا ، ولهذا ، نعتز بالاسلام اقباطا ومسلمين لاننا مصريون ...

وامتدادا لهذا ، حين تمد مصر للعروبة يدا داعية أو مستجيبة لما يخدم هذا، من مصالحها ويعزز دورها ويساندها ، لا املاء من فرد ، أو تحقيقا لطموح شخص ، أو اندفاعا مريضة ، فان العروبة هنا ، بما تمثل من رأى مصر نفسها ، نعتز بها اقباطا ومسلمين لاننا مصريون ...

فلا يخط كائن بين الدين والجنسية ، كما والى في الماضى المسلمون (بعض منهم) الاتراك ، والاقباط (بعض منهم) الانجليز ... لا عن خيانة من الطرفين ولكن عن سطحية في التفكير والوطنية وما منع الاسلام تركيا ، ولا المسيحية انجلترا ، أن تظلم مصر كلها باستعمارها ، ثم باستغلالها ، وتعويقها ، وقهرها

الدين علاقة خاصة بين الله والانسان .

ولكن الوطن علاقة عامة أخطر أثرا ، لان الله غنى عن صلواتنا تحت جميع الاسماء . ولكن الوطن حياته بحياتنا ، وحياتنا بحياته **مقترنة ومطرده علوا وانخفاضا .**

الاديان جاءت بعد الانسان .

ونحن مصريون قبل الاديان والى آخر الزمان .

ليس الاقباط بالمسيحية فلسطينيين بل مصريين اعتنقوا المسيحية .

وليس المسلمون بالاسلام عربا ، بل مصريين اعتنقوا الاسلام حتى شكوا والى عمر بن عبد العزيز من نقص الجزية فقال

الخليفة الذى يعرف مصر جيدا لانها ربتة فى ولاية أبيه عبد العزيز ابن مروان (ان الله بعث محمد هاديا ولم يبعثه جاييا) ...

ولا يسمى هذا العرب بل يشرفهم . فلئن نكون مصريين أسلمنا خير من أن نكون أعدادا من العرب فى مصر ... ما الجديد فى هذا بالنسبة اليهم ؟ وما معنى خروجهم بالاسلام من الجزيرة العربية ، وتجاوزهم به الحدود اذن ؟ هل لم يؤمن به أحد ؟ . وما معنى (بعثت الى الناس كافة ؟) وأين عالمية الاسلام اذن ؟ ان لم يكن أهل البلاد المفتوحة أسلموا فهو دين محلى خاص .

والقائلون من الأقباط بأن المسلمين المصريين دخلاء ظفنا منهم بسذاجة أن هذا يتيح لهم أن يتفردوا بمجد القدماء أو بشرف الانتساب الى مصر ... لهؤلاء أقول :

هل يشرفهم أن يكون الدخلاء ، كما يقولون ، يشكلون أغلبية والاصلاء هم الاقلية ؟ أما حين يكون المسلمون مصريين مثلهم فان كل فضل للأغلبية أو للأقلية فهو كسب للجميع باعتبارنا كلا واحدا يكمل بعضه بعضا ، أمنا مصر وأبونا النيل . وبينهما يتفاوت الاخوة وقد يختلفون ، ولكن عندهما يلتقون ، واليهما ينتسبون .

وكيف يجوز فى الفهم أن يزيح الفاتحون أهل البلاد ، لاسيما اذا كان أهل البلاد أقدم تاريخا وحضارة ؟

ان جيش الفتح فى قول كان أربعة آلاف ، وفى قول ثمانية آلاف ، وفى قول ثالث بعد الامدادات ١٢ ألفا ، ويمتد آخرون بالامدادات الى ٣٠ ألفا .

وأهل البلاد فى قول ثمانية ملايين ، وفى قول عشرة ملايين ، وفى قول ١٢ مليونا .

فلو أخذنا بأكثر الاعداد بالنسبة للقاتحين .

وبأقل الاعداد بالنسبة للأصليين .

هل من المعقول أو حتى من اللامعقول المخبول أن ثلاثين ألفا ،
يضاف اليهم من لحق بهم من قبائلهم ولو كانوا أضعافاً أن يمسحوا
بلداً ، **وأي بلد** ، بلداً كمصر ، ويصيروا هم أصحابه أو أغلبيته ؟
حتى إذا تجاوزنا أن الهجرات والقبائل كانت مقترنة بشخص الوالى
تخرج بخروجه ، وأن صلاح الدين الايوبي ضيق على بقايا القبائل
العربية واضطرها الى هجرة جديدة الى شمال افريقيا ؟ حتى إذا
تجاوزنا هذا كله أو أسقطناه ، هل من المعقول أن الآلاف تناسلوا
فصاروا ملايين ، وعقم الملايين وصاروا آلافاً أو مليوناً أو بضعة
ملايين وفقاً لآخر احصاء ؟ أى منطق هذا ؟ ولصلحة من ؟

أيهما أكرم لآخرة الوطن . . للأقباط أن نكون دخلاء أم أصلاء ؟
وإذا اعتسفنا المنطق نفسه وقتلنا ان المسيحيين المصريين
فلسطينيون باعتبار موطن المسيحية الاول (بيت لحم) ، أين مصر
اذن بين المسيحيين والمسلمين أى بين الفلسطينيين والعرب نتيجة
للمنطق العجيب .

ان كل عقيدة دانت بها مصر وكل رأى قالت به ، وكل عمل
مارسته جزء من نسيج الشخصية المصرية ، الخطأ منه والصواب
اعترفنا أم أنكرنا . . . اننا بهذا كله ، مصريون .

المسيحية دين كتابى دانت به مصر وجعله الاسلام شرطاً للإيمان
به . فلن يكون المسلم مؤمناً حتى يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم
الآخر . والانجيل كتاب الله . . . وعيسى عليه السلام نبي الله .

والاسلام دين كتابى اعتنقته مصر بعد أن أصهر اليها وأعطت
رسوله دون غيرها ، الولد ، كما أعطت الولد ، قبلاً ، أبا الانبياء
ابراهيم .

يجب أن نلقن هذا الكبار قبل الصغار حتى لا تكون عقود
ولا استعلاء ولا تفاضل ولا تناحر يتسلل منه إلينا مستعمر يعرق
ليسود ، أو جاهل بالدين والتاريخ يحسب التعصب تدينا فيضرب
بالدرجة الأولى من يتعصب لهم بما يفتح عليهم من ردود فعل
أمثاله من الجهلاء في الطرف الآخر .

هذا في الداخل ، أما في الخارج فالتاريخ الحديث يشير بأصابعه
العشرة إلى سلاح رهيب من أسلحة الاستعمار . سلاح الوقعية بين
شطري الأمة الواحدة فعل هذا الكاتب الإنجليزي جون بورنج
John Bouring في القرن التاسع عشر وشايعه ادوارد وكين
Edward wakin في الستينات من القرن العشرين في كتابه
(أقلية متوحدة) A Lonely Minority أو القصة الحديثة لاقباط
مصر خاصة في الفصل السادس عشر وان لم يستطع أحد
أن ينكر التماثل بين الأقباط والمسلمين حتى كرومر في كتابه
مصر الحديثة Modern Egypt لم يستطع الفكك من هذه
الحقيقة وهي أن القبطي والمسلم انسان واحد هو في النهاية
الانسان المصري واني أترجم حرفيا ما قاله في الفصل السادس
والثلاثين من كتابه (القبطي من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ، في
في السلوك واللغة والروح ، مسلم وان لم يدر كيف . فبالقبطيات
تتشبه بالمثلجات والأطفال تكييفوا هامة وعادات الزواج والجنائز
تشبه ما عند المسلمين) . وان كان يعزرو هذا في خبث
المستعمر ودهاء الخبيث إلى تأثر الأقلية بالأغلبية مستهدا الشواهد
من الهند بين المسلمين والهندوس . ولا أدل على تعصبه هو من
مهاجمته في أكثر من موضع ، مواطنه ادوارد ولیم لين لاعتداله
في كتابه عن المصريين الحديثين)

The Manners and Customs of Modern Egyptians.

والاقباط الذين يتعلل بهم كرومر ويتذرع بهم استعمار دولته قال
عنه أحد أعلامهم وهو الأستاذ سلامة موسى في كتابه (تربية سلامة

موسى) ، (انه كان طاغية عاث وعريد في كياننا الاقتصادى والسياسى وعطل بلادنا عن التطور وانه كان جاهلا يتشدد بعبارات لاتينية او اغريقية قديمة ولا يعرف شيئا من العلوم العصرية الجديدة) .

وقد فصل هذا بالأرقام والاحصاءات الاستاذ رشدى صالح في كتابه (كرومر في مصر) .

ويبدو أن خلفه جورست لم يكن أقل سوءا منه. فيروى الأستاذ سلامة موسى انه ابان الانبعاث الوطنى فى الأمة المصرية عمده جورست الى (مناورة استعمارية هى ايجاد الخلاف والشقاق بين المسلمين والاقباط ، فكان الموظفون الانجليز يحرضون الاقباط من ناحية على المسلمين ثم يعودون فيحرضون المسلمين من ناحية اخرى على الاقباط) .

ولم يقصر كتشنر فى هذا المضمار

انه الاستعمار دائما وراء الفتن . . فهو فى مصر يستهدف الوحدة الوطنية وهو فى الهند يعمق عن عمده الصراع الدينى بين المسلمين والهندوس كما يقول الدكتور جمال حمدان فى كتابه (العالم الاسلامى المعاصر) مثلما عمق الخلاف بين سنّة الشمال وشيعة الجنوب فى العراق تفتيتا وتمزيقا للوحدة الوطنية فى الرافدين بل حاول الاستعمار القول بشيعة ايران قبل اسلاميتها تدميرا للوحدة الدينية بعد الوطنية .

واذا كانت المشكلة الطائفية تبدو قديمة فى العالم العربى ، فانها كما يقول الدكتور حمدان (لم تنفصل فى أى مرحلة من مراحلها عن الاستعمار : هو الذى غذاها ان لم يكن خلقها ، وهو الذى اتخذ منها أداة سياسية يدعم بها وجوده . وهل ننسى ، أن الصليبية — حتى الصليبية — تذرعت بحماية الشيعة من

السنين (كذا !) ، فضلا بطبيعة الحال من زعمها حماية
المسيحيين من اضطهاد السلاجقة في الأراضى المقدسة ؟)

انى أقرأ الآن فى (الاستاذ) — الجزء الرابع من السنة الأولى
قول السيد عبد الله النديم (حتى فى الحروب الصليبية التى تحرك
لها عالم أوربا برمته وامتد قرنين وكان لمصر فيها الشان الأكبر
واليد القوية ولم يسمع ان مسلما تعدى على قبطى مع اشتغال
نيران الحروب . ولقد امتد ذلك حتى فى زمن الحركة الأخيرة —
يقصد الثورة العرابية — التى كانت مظنة لحدوث فتنة بين المسلمين
والاقباط فانه لم يسمع بتعدى احد الفريقين على الآخر وعلى
الخصوص فى بلاد الصعيد التى يسكنها معظم الأقباط . وهذا كله
دليل على أن التسوية بين المحكومين تكون الجامعة الوطنية) .

ويقول خطيب الثورة العرابية فى موضع آخر :

(ومع كون الأقباط عاشوا دهرا طويلا وهم أصحاب مشيئة
واحدة يأترون بأمر رئيسهم الدينى وينتهون بنهيه فانهم لم
يجتمعوا يوما لتفريق عصا الجامعة ولا لشق ثوب الائتلاف
ولا تنافروا مع المسلمين بسبب من الأسباب دينيا أو دنيويا ولا مالوا
للخروج من ظل عدل الحكومة المصرية الى حرارة غيرها لعدم
الموجب) .

وقول عبد الله النديم يعود بنا الى الأمس البعيد والقريب . ففى
سنة ١٨٧٤ عندما شرعت نظارة الحقانية فى التحضير للمحاكم
المختلطة انضم بطرس غالى باشا الى محمد قدرى باشا فى ترجمة
قوانين هذه المحاكم الى اللغة العربية وتعريب التشريع الذى
ما زالت مصر تأخذ به الى اليوم ...

ان مصر بلدنا معا .

لقد أنشأ بطرس غالى باشا الجمعية الخيرية القبطية سنة ١٨٨١

فخطب في حفل الافتتاح الشيخ محمد عبده والشيخ محمد النجار
وعبد الله النديم .

وأقال الخديوى عباس الشيخ سليم البشرى من مشيخة الأزهر
فخف اليه بطرس غالى باشا يعرض مساندته ويقف الى جانبه .

لقد مات بطرس غالى باشا مقتولا برصاص ناصف الوردانى ،
كما مات من بعده أحمد ماهر مقتولا برصاص محمود العيسوى
والقائل والقتيل في الحالين كانا يعملان لمصر من وجهتى نظر
مختلفتين .

ودافع محمد حسين هيكل عن بطرس غالى في كتابه (تراجم
مصرية وغربية) دفاعا جاوز حد الانصاف الى التعاطف . ولم يتخل
عن موقفه هذا حتى في حديثه عن (اتفاقية السودان) التى وقعها
بطرس غالى سنة ١٨٩٩ والتى حاول خصومه تحريف واقعها
ضده في شبه اجماع على تحميله وحده وزرها الذى صنعت به
هذا أحداث عدة وملابسات وأوضاع تلت توقيعها .

لم تعرف مصر التفرقة الدينية . . . لقد خدعها الاستعمار يوما
عن حقيقة قدرتها فأوهمها أنها بلد زراعى ليصرفها عن الصناعة
ويستبقها سوقا لمنتجاته ولكنه لم يستطع أن يخدمها عن حقيقة
قيمتها فانهزم في كل مرة حاول فيها الوقية بين أبناءها مسيحيين
ومسلمين فاتحدت ثورتهم ضده بعد الاحتلال وسنة ١٩١٩ وسائر
الثورات الشعبية . وظل الابطاط أبدا كما يقول الدكتور جمال حمدان
(كتلة رصيفة رصينة من صميم جسم الأمة) .

ان الاسلام حضارته اسلامية نسجتها وأسهمت فيها البلاد
المفتوحة خاصة فارس ومصر بسابقة الحضارة فيهما . . .
والاسلام ينكر العصبية ويؤيد هذا الأستاذ صبحى وحيدة، وهو
مصرى مسيحي في كتابه (أصول المسألة المصرية) .

كما يؤيد هذا اختيار الاسلام عواصمه الحضارية في دمشق وبغداد والقاهرة .

لقد ناصبت مصر ، الرومان ، العداء حين حاولوا التدخل في عقيدتها المسيحية أيام وثنيهم فقاتلتهم . وحين دانوا بالمسيحية وحاولوا التدخل في الطقوس والعبادات ثاومتهم . وتمسكت برأيها في هذا وأسلوبها فيه ، بل جنحت الى العناد فخالفتهم في الراى لجرد المخالفة ، خالفهم لونا من المقاومة واعلان السخط والكراهية ، لونا من التحدى واثبات الوجود . وكان لمصر كنيسة لها الخاصة بها وبطريركها المنتمى اليها . مصرت مصر المسيحية (واستخرجت منها نسختها الخاصة : القبطية) .

هذا حين لم يصدم العرب ابا الفتح ، مصر ، في عقائدها وتقاليدها فعاد الرهبان من صوامعهم في الصحراء الى مزاوله وظائفهم الدينية السابقة ، كما لم يتدخل العرب في أسلوب الحياة اليومية بعاداتها وتقاليدها المميزة فبقيت كما هى الى يومنا هذا في الميلاد والاعياد والوقاة نمارسها الى اليوم مسلمين ومسيحيين . فليلة الحناء والصباحية والنقوش والسبوع وكعك العيد المنقوش وكأنه قرص الشمس الذى اتخذه أخناتون شعارا ... كلها عادات مصرية قديمة .

ان مصر تهتم بالجواهر لا بالتفاصيل .. ونحن المصريين اليوم نتبادل زيارة الاولياء والقديسين دون شعور بالتفرقة أو التعصب ... كلها في نظرنا مزارات .

بل اننا كنا في القرون الاولى من الفتح نتبادل (قناديل) الكنائس وجامع عمرو عند الاحتفالات الدينية .

وهناك اعياد تجمعنا معا أمة واحدة كما كنا قبل الايمان فعيد الربيع ووفاء النيل . ليلة النقطة ... كل هذه اعياد مصرية قديمة صاحبنا مع الزمن وصاحبنا الى يومنا هذا .

ان جوهر الدين في مصر ، في كل عصورها ، واحد . فالوثنية المصرية القديمة في جوهرها الاصلى ادراك للخالد خلال العابر وقد وصل الخاصة عندهم الى التجريد والى فكرة الاله الواحد . .

وعلى الديانة المصرية القديمة قامت اليهودية فالمسيحية اللتان تأثر بهما الاسلام وأقرهما . . . وان مصر حين دانت بالمسيحية فانما دانت بها لانها تعبر عن ضميرها بل ان الديانة المصرية القديمة في آخر عهدها أو شكت أن تكون مسيحية قبل المسيح بها نزعت اليه من رغبة الخلاص والتماسه داخل النفس حين يئست من العالم الخارجى وآضت الى الصحراء ، وآوت الى العزلة للتأمل والتبتل . فمصر في عهدها القديم عرفت النسك كما سنت الرهبانية في المسيحية وعنها انتقلت الى أوربا أجل منحة أهدتها المسيحية المصرية الى المسيحية الأوربية بل يرجحون أن تكون طبيعة مصر هي التي أوحى الى اليهود بعبادة التنسك فالصحراء في مصر شديدة القرب من أى شخص يريد اعتزال العالم .

واذ تأصل في مصر هذا الطابع لعبت دورا كبيرا في التصوف الاسلامى شهد به ماسينيون وبركلمان حين أطلقا على (ذى النون) واضع الحجر الأساسى في صرح التصوف التيوزوفى الاسلامى .

وتؤيد هذه المصادر الاسلامية ومن بينها الرسالة للقتيرى والطبقات للشعرانى والكواكب الدرية للمناوى وحلية الاولياء لابى نعيم الأصبهاني واللمع للسراج الطوسى وكشف الحجب للهجویری وكذلك الرازى والترمذى . . . جميعهم اتفقوا على أنه وحيد دهره علما وعبادة ومعرفة وأدبا .

وكان ذو النون كثير الملازمة لبريا أخميم وهى بيت من بيوت الحكمة القديمة . وهنا يلوح الأستاذ الخولى الوراثة المصرية في حياة ذى النون وأسلوب تفكيره .

لقد جاء الاسلام ولم يكن جديدا على مصر كل الجدة فمضامينه ومفهوماته وقيمه نفذت مصر اليها بصورة ما بالفطرة السليمة والدفع الحضارى معا . . . ان الجنة والنار والثواب والعقاب والبعث مفاهيم مصرية قديمة ، بل أن بعض الباحثين يرجع المعبودات الوثنية العربية في أصلها الى معبودات مصرية . . . ليست عقيدة البعث وراء فن العمارة المصرية بما خلدته من أهرامات ومعابد بما عليها من نقوش وتلوين وما ضمته من تماثيل . . . ليست عقيدة البعث وراء علم التحنيط المصرى ؟

يقول الأستاذ عبد الحليم الجندى فى كتابه (الامام الشافعى) ان تدماء المصريين (هم أول من فحص أحكام البيع والشراء وواجبوا الكتابة أو الاقرار لاثبات ما ينشأ عن العقد المكتوب ، وحرموا زيادة الفوائد على ثلث رأس المال فى السنة وعن أصل الدين مهما طال الأجل ، وحرموا الربح المركب ، ومنعوا استرقاق المدين للوفاء بدينه . . . بل أن ما فى الألواح الاثنى عشر ذاتها ، من ثانون طبيعى كان تقليدا لمصر) .

ومن الطريف ان مصر قبل الاسلام حرمت لحم الخنزير منذ اتخذ (سيت) هيئة خنزير وفقا عين (حورس) فحرمت الديانة المصرية اكل لحم الخنزير .

وكان المصريون القدماء يعنون بفحص طهارة الذبائح ومطابقتها لمقتضيات الطقوس الدينية .

والطهارة فى مصر القديمة كما جاء فى كتاب (الحضارة الطبية فى مصر القديمة) « أمر ليس بالغريب خاصة وأنه نابع عقائديا » ويقول هذا الكتاب ان (النظافة كانت عندهم عقيدة قبل أن تكون سبيلا للصحة القومية) . . .

يقول د. 1. ل. كويلاند : (بلغ المصريون شأوا من الانسانية

السمحة لا يرقى اليه الشك ، واذا نحن قسنا المصريين بجمايس مصرهم !فيناهم أقل قسوة من غيرهم ثم هم كانوا مشغوفين بالظلمة) .

وهكذا كان الاسلام كالمسيحية فيه الكثير من مألوف مصر . لقد وجد الاسلام في مصر جوا مهيا . . . ولأمر ما تأصل الاسلام في مصر تأصيلا لم يبلغه في مكان آخر حتى ان مصر هي التي دافعت عنه في مواقعه الكبرى وقامت له فيها أقدم وأكبر جامعة اسلامية .
التقوى الحقيقية عند مصر هي **الحب** . . . حب الله وحب المعنى . . . وحب الانسان . . . وحب الحيوان . . . وحب الاشياء .

ان التعاطف مع الانسان والحيوان والاشياء المبتوثة صورة ورسومه في لوحاتهم رمزا للطيبة والودادة التي تصادق كل شيء ، رمز ايمانهم بوحدة الوجود قبل الفلاسفة والمتصوفة وأصحاب النظريات لا باعتبارها عرفا واصطلاحا ، بل باعتبارها كما يقول الأستاذ حامد سعيد ، موقفا تجاه الحياة تتحقق فيه قيم ومشاعر الرواقية والمسيحية والصوفية والبطولات النفسية دون أن تكون واحدة من هؤلاء بالذات) .

التقوى الحقيقية عند مصر تتمثل في . . **الفن** . حين جسمت عقائدها في الروح والبعث والخلود أهرامات ومعابد ونقوشا وهكذا كان الفن عند مصر مدخلا الى الدين حين يفهم عباد النصوص من للدين معنى الخوف من العقاب والرغبة من الحساب والفرع من النار . . . وقمة التمسك بالدين في رأيهم هو التعصب له !!

وفي الفن المصرى تعانق الاسلام والمسيحية لانهما معا ينبعان من الفن المصرى القديم . وفي مكتبة جوثا كما يقول الدكتور عبد العزيز مرزوق في كتابه (الفن المصرى الاسلامى) « في مدينة ميونيخ رق يتضمن صفحة من القرآن بها زخارف بسيطة وأشرطة

تفصل بين السور بعضها وبعض تتضمن زخارف هندسية متأثرة
بالفن القبطى الى حد بعيد . »

ان جلود الكتب فى العصر الاسلامى انما يحدد تاريخها الكتابة
القبطية الموجودة على اوراق البردى المستعملة فيها .

وليس البردى وحده أو زخرفة الكتب ، بل أن التقاليد القبطية
فى زخرفة الخشب استمرت سائدة بعد الفتح العربى . . ويضم
المتحف الاسلامى الكثير مما يجمع بين الزخارف القبطية والكتابة
العربية .

إذا يشهد المسلمون . . . وبروعة الزخرفة الاسلامية يشهد
المسيحيون ، فالأستاذ بشر فارس فى كتابه القيم (سر الزخرفة
الاسلامية) يقول (ما أحسبك تلقى ملة كبيرة تحضرت فأنست
باللطيف والدقيق من العمران ، تسلم سكناتها لأسرار دينها ،
وتوثق اشاراتها بأحكام مفروضة ، فوق ما أسلمت الملة الاسلامية
وأوثقت) .

ومضى يفسر الزخرفة الاسلامية مستلهما روح الاسلام بما يشهد
بتفوقه فيه كبار الفنانين المسلمين .

لقد استعان العرب بقبط مصر ، خارجها أيضا فاستعان بهم
الوليد فى بناء مسجد دمشق والمسجد الأقصى وقصر أمير المؤمنين ،
ويضيف « البلاذرى » فى فتوح البلدان مسجد المدبنة فيما أعانوا
عليه . وكان الوليد يترسم خطا أسلافه الذين استعانوا بأقباط
مصر فى إعادة بناء الكعبة قبل الاسلام . . وكان مصر منذ بنى
ابراهيم واسماعيل بن « هاجر » المصرية ، الكعبة آلت على نفسها
أن يكون البناء على يديها فعادت الى بناء الكعبة أيام الظاهر
بيبرس ، وفى العهد العثمانى ، وفى عهد محمد على .

ان أقباط مصر هم الذين بنوا أول محراب مجوف في الاسلام على مثال من حنية الكنيسة كما تأثر بفن مصر المسيحية في الزخرفة والبناء قصر المشتى في شرق الأردن الذى يلجح السدير الابيض والدير الأحمر بسوهاج . ومن عطاء مصر للفن الاسلامى بعمد المحراب : المئذنة والقباب . جاء في كتاب فن مصر خلال العصور :

(ان فناء الاسكندرية الذى بهر الغرب عند فتح مصر ، هو الأصل الفنى للمئذنة) .

ان السموق الذى يزهر به النخيل المصرى ، يتمثل في عمود المعبد والكنيسة ومئذنة المسجد معا وكأنه شوق الى أعلى وتوقا الى فوق .

لقد نهض المصريون أقباطا ومسلمين في العصر الفاطمى — وهو العصر الذى يعتبره المؤرخون نقطة تحول في تاريخ مصر من الناحية الدينية — بالفن الاسلامى المصرى نهضة فيها من احساس مصر ووجدانها وذوقها الحضارى ما أضفى على فن مصر الاسلامية طابعا مميزا . وشخصية فذة حتى أن بعض آثاره كمشهد الامام الشافعى يعد كما يقول الدكتور عبد العزيز مرزوق منعدم النظر في مصر بل وفي العالم الاسلامى أجمع .

ومن هذا المستوى مدرسة السلطان حسن التى أشاد بها الرحالة من شرقيين وغربيين وفي مقدمتهم المقرئى .

يقول الأستاذ محمد شفيق غريال في كتابه (تكوين مصر) ، (ان طرائق الفن القبطى وأساليبه كانت عاملا من العوامل المؤثرة في فنون مصر الاسلامية وصناعاتها وهذا دليل آخر على أهمية العنصر المسيحى في تكوين مصر) .

لقد تعانق الاسلام والمسيحية حتى في علوم اللغة والدين .

فمن (ورش)، المصرى القبطى الذائع الشهرة فى علم القراءات
أخذ علماء المغرب عن تلميذه (أبى يعقوب) الأزرق بن عمر بن
يسار المصرى .

ومن رجال مصر من الأقباط الذين أسهموا فى التأليف فى علوم
العربية وآدابها :

سعيد بن بطريق ، وبنو العسال وجرجس بن العميد المعروف
بأبن المكين صاحب كتاب (تاريخ المسلمين) والمفضل بن أبى
الفضائل صاحب (نهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن
العميد) .

وبطرس أبو شاكز ويعرف بأبن الراهب .

وأبن كبر وهو شمس الرياسة أبو البركات .

وأُسعد بن مماتى الشاعر الأديب صاحب الحظوة فى الدولة
الأيوبية .

ان مصر لم تعرف الفتن الأهلية الدموية كالتى وقعت فى إنجلترا فى عهد
تشارلس الأول وانتهت بقتله ، والتى وقعت فى فرنسا فى عهد لويس
السادس عشر ولم تنته بقتله فقط بل اشتدظمؤها للدماء فاستباحث
الثورة عليه ، القتل ، حتى أتت على أصحابها أنفسهم . وما تخلل
هذا كله من مآسٍ فصلها الأستاذ عبد الله عنان فى كتابه (ديوان
التحقيق والمحاکمات الكبرى) .

لم تعرف مصر الحروب التى دارت بين المدن اليونانية . ولم تعرف
مصر محاكم التفتيش أو ديوان التحقيق وما وقع فى أسبانيا من
الأحداث الدامية بسبب التعصب الدينى من أناس يدينون بدين
الرحمة والمحبة والخير .

ان من يقرأ محاكمة الليدى جان جراى ملكة انجلترا يتبين أن الدافع القوى على اعدامها هو كونها بروتستينية حين كانت الملكة مارى تيودور التى حاكمتها كاثوليكية !! . أما التعلات الأخرى فمارى تعلم جيدا أن جان جراى ذات السبعة عشر ربيعا لا يد لها فيها ولا مطمع لها ، كان ، فى العرش .

لقد عرفت مصر حياة التدين ، ولكنها لم تعرف التعصب فى الدين أو الضغن بسببه فسلم الدين فيها كما يقول الأستاذ العقاد — فى كتابه عن (سعد زغلول) — (من لثة العصبية العمياء وقسوة الهمجية الرعناء وسلم تاريخ مصر كله من المذايح الطائفية إلا أن يتسلل اليها من طائفة غريبة أو نحلة دخيلة) .

حدث فى القرن السابع الهجرى أن كثرت الفرق والنحل واشتد الخلاف بينها فاتفق رأى العلماء على العالم المصرى الشيخ تقي الدين السبكي ليوفق بين المذاهب الأربعة .

وإذا لم يكن هذا الميل الى التوفيق مصريا فقط فى هذا الشاهد فانا لنجد كما يقول الأستاذ الخولى (هذا الميل المصرى للتوفيق بل الدعوة اليه يتجه اليها صوفى مصرى بلدى السبكي هو الشعرانى ، وهو أصيل فى الفقه فضلا عن كونه صوفيا من الطراز الأول . وقد حاول التوفيق بين المذاهب الأربعة كمحاولته التوفيق بين أهل الكشف والعيان وأهل النظر والاستدلال . ويقول الباحثون الغربيون انه مصلح يكاد الاسلام لا يعرف له نظيرا ..) .

لم تعرف مصر التفرقة حتى فى الخصومة ... لقد كان جيش سيقى الأول يتكون من ثلاث فرق .. فرقة (آمون) وفرقة (بتاح) وفرقة (رع) فلما جاء رمسيس الثانى أضاف اليها فرقة (ست) . وفى هذه الاضافة دلالة بعيدة المدى (نست) هو الذى قتل أخاه اوزوريس) معبود مصر الذى يرمز الى النيل والخير والخصب ولكن

عند الخطر تذبذب الخصومات ، ويشترك (ست) في الدفاع عن
الوادي بل أكثر من هذا هناك على جدران المعابد صور تجمع
بين إيزيس نفسها وبين ست يرفعان معا شيئاً واحداً . II

يقول الأستاذ العقاد (ينقض التاريخ كل ما يقال عن التفرقة
بين عناصر الوطنية المصرية . . فمن الحقائق الواضحة أن المسلمين
والمسيحيين سواء في تكوين السلالة القومية ، ولا فرق بين هؤلاء
وهؤلاء في الأصالة والتقدم عند الانتساب إلى هذه البلاد) .

ويقول الدكتور سليمان حزين في بحثه عن (سكان مصر
ودراسة تاريخهم الجنسي أن الطابع الجنسي العام للمصريين
قد وحدا واتخذ صورته المميزة قبل أن يكون هناك أقباط ومسلمون .

رحم الله الشاعر ولي الدين يكن حين قال :

ابنى المسيح وأحمد انتبهوا	ودعوا رجالاً منكم هجموا
أرواحكم من بعضها قطع	وجسومكم من بعضها بضع
لاتحسبن خلافكم ورعا	ان ائتلافكم هو الورع

وبعد المفاهيم الثابتة نأتى إلى مفاهيم بل قيم شريفة في
حياتنا ولكننا أخطأنا فهمها ، فأخطأنا بدوره ما فيها من إضافة
وثرء

أول هذه القيم الرفيعة : الدين .

الدين

الدين أى عبارة الداخل ولا أقصد بالدين حرفية النصومي والطقوس فالدين ليس تسليما ذهنيا انها الدين بيدن الحياه أسلوب حياة .. موقف دينى يفسره أسلوب السلوك .

الدين كما يقول بتراند رسل وهو فى نظر الكثيرين ، خارج على الدين ، كلمة لها معانى كثيرة وتاريخ طويل .. ومن الناس متدينون دون أن يكون فى طبيعتهم أى شئ يستحق أن يسمى ديناً فهم خليو البال من التاريخ أو الخبرة الانسانية التى تجعل للطقوس منهم قيمة .

ان الناس يصدرون فى أعمالهم عن أصول ثلاثة متقاربة وأن كانت متميزة : الغريزة ، العقل ، الروح .

وحياة الروح بين الثلاثة هى التى تصنع الدين .

وما يتبع حياة الروح ، الاحترام والعبادة والامتنان للبشرية والدينونة لها ... وأعمق من هذا، يستكن الاحساس بسر لا نعلم غير شطرنجه .. سر حكمة مبهم ومجدخاف لرؤية متغيرة الصورة تنقد فيها الأشياء أهميتها الثابتة حتى لتصبح قناعاً رقيقاً نرى خلفه الحقيقة القصوى لهذا العالم ... فمصدر الدين أمثال هذه المشاعر التى لو قدر لها أن تتلاشى ، لتلاشى من الحياة خمد ما فيها ...

لقد قاست الروح من الجمع بينها وبين الدين التقليدي
ومن عداوتها لانكار الذات أى السلبية التى يتهم بها الجاهل ،
المسيحية : لأن الروح تقدر الذات وترفعها وتعيد بناءها .

حياة الروح يقينية بقدر ما هى قادرة على اغناء الوجود الفردى
... انها تمنح بهجة الرؤية .

ان سمة القداسة الفرح .

البشر ايناس .. شعاع من الرحمة .. عطاء من الحب ..
خصب حتى ليقول الشاعر البسيط :

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنها وجه الكريم خصيب

ولامر ما سميت الانسانية ، بشرية

والى البشر نسب الله نجاح الدعوة الاسلامية (ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

ولهذا كان اقصى وأقصى عتاب للرسول الكريم الآية (عبس
وتولى) .

هل جرينا مرة أن نرسم قرن الخروف مثلا ؟ وأن نرسم المحارة ؟
وهل لاحظنا الشبه بينهما ؟ ان الجزء الأعلى من المحارة يشبه
القرن ولكن الفرق ان القرن فى حركته المنحنية يعتمر نفسه من
العذاب ثم لا يزيد فظل جزءا من حيوان . حين تجتاز المحارة
مرحلة العذاب الـ twisting هذه وتنتفح على البحر ... البحر
الكبير الواسع فاحتوت أعلى ما فيه ... اللؤلؤ ... وصارت هى
وما تحتويه متعة وزينة وثرأ كبير ...

فليس من الدين اذن الكآبة أو الدروشة ، والمخرقة ، والعجز .
والحرمان .

ان الروح تحرر أولئك الذين يثابرون عليها من سجن العاطفة الشخصية التي تعكف على الاهتمامات الدنيا .

هذه الرؤية تمنح الحرية والجمال والحب لأفكار الانسان ولعلاقته مع الآخرين .

انها تهيبء الحلول بشروطها

انها تعيد الانسجام بين العقل والغريزة

وترد الشارد الى مكانه من حياة الانسان

ان السعادة والسلام لا يمكن أن يعودا الى هذه الدنيا الا عن طريق الروح .

لقد كان « نيتشه » غريزة قوية وعقلا جبارا . ولكنه افتقد لمسة الروح،فقضى سنه العشرة الأخيرة في مستشفى الأمراض العصبية .

ان مشكلة فلسطين لا تحتاج الى ذكاء يدرك عدالتها ومع هذا هي مشغلة الأذكىاء من أقطاب العصر لانهم أذكىء العقل لا القلب والروح .

يتساءل « اقبال » هل الدين أمر ممكن ؟

في رأيه أن الدين تجربة ... سعى صادق صحيح يمحى مستوى الانسان . انه تجربة ، كالعلم سواء بسواء ، في محاولة كشف الذات بوصفها فردا، أعبق من نفس الفرد العادى التسائلة للوصف التصورى .

واذا نظرنا في كتاب The View of Life الذى ألفه رادها

كريشنا والرجل من أصحاب النظرة البانورامية الى الثقافة البشرية، وجدناه يعرف الدين بأنه أمر داخلى وشخصى يوجد رابطا كل القيم

وينظما عضويا لكل الخبرات .. انه استجابة (كل) الانسان
(لكل) الحقيقة .

فليس الدين الرؤية الخلقية فحسب .

وليس الدين الرؤية الصوفية فحسب .

وليس الدين شكلا من أشكال المعرفة كما يقول هيجل ، والدين
ليس مجرد ظاهرة اجتماعية .

عرف وايتهد وهو أستاذ برتراند رسل ، الدين ، بأنه أمر
توحدى فإذا لم تتوحد على الإطلاق فلسنت متدينا على الإطلاق .
فالدين هو وعى الانسان بفرديته .. بقيمته الانسانية
الشخصية ...

هذه نظرة الهند الى الدين .

أما الصين فتقول بالتاو .

والتاو عند الصين يستحضر في الضمير ويتوحد معه . وهو صفاء
ونقاء ينبع عنه الانسان الطيب الغاضل .

وكما تتطلب التجربة العلمية التجرد من العواطف الشخصية
لتحقيق الموضوعية ، فان التجربة الدينية تتطلب صفاء النفس
لتحقيق الرؤية البعيدة التى تتكشف الحقيقة .

يقول لاوزا (٤٠٠ سنة ق.م) حكيم الصين و (لكل قوم هاد) :
(قبل ان تخلق السماء والأرض ، كان شيئا بلا صورة ولكنه
كامل .. صامت .. خلاء .. لذاته كفاء .. لا يتغير .. قادر على
التحرك فى كل اتجاه ولا ينفد .

انه أم أو أصل لكل ما تحت السماء أو على الأرض .

نحن لا نعرف كيف نصفه .
كيف نسميه على وجه التحقيق .
ولكى نكتب عنه نسميه (التاو) .
وإذا كان لابد من وصفه فنقول الأكبر والاسمى يغذى كل
الاشياء ولا يتعالى .
غنى عن الجميع .
ولما كانت كل الاشياء له بلا ادعاء فهو الأكبر لا يستدعى
وتأتى اليه الاشياء تلقائياً) .
وحكمة الصين حكمة بلد الخزف الذى أخذ اسمها فى كل مكان
وبلد «صينى» . حكمة قوامها الماء والانىاء . . . الاناء الذى تقول
منه الصين انه (لولا الفضاء من الهواء داخله لما انتفع به
الانسان) اشارة الى التجرد من الأهواء الشخصية .
أما الماء فيتمثل حبها له فى لمسة الريشة للحرين .
ولسة الخزاف للانىاء .
ومن حبها الماء تنحدر حكمتها مترققة تقول (كن كالماء تنزل
من السماء لتستقر فى منخفض بئر أو مجرى ماء) فى محاولة للحث
على التواضع .
هل خرجت هذه النظريات كلها والأقوال جميعها فى مضمونها
عن معنى الخير ؟
ليست المسيحية يوم الأحد ولا الاسلام يوم الجمعة . . . الدين
قيمة يحققها المتدين فى حياته . . . يظلم المسيحية من ينسب اليها
ذلك الذى ألقى قنبلة على هروشيما . وهنا نفهم سر تفريق

الغزالي بقلبه الرهيف بين العلم بالقيمة قبل الاتصاف وبعد الاتصاف
أى عن معاناة ذاتية وخبرة داخلية وهو يتصد الاتصاف بالصدق .
اننا نهوى أن نتكلم عن الأديان في قضاياها العقلانية .. مثلا :
واحد أم ثلاثة أقانيم ! لنُدع هذا فان عز المسيحية في موعظة
الجبل . هلا قرأنا الى جانب القرآن الكريم ، انجيل متى خاصة
الاصحاح الخامس والسادس ...

ان التدين الخارجى .. تدين الطقوس كالثقافة الآن ...
حلية ... مكتبة . لكن ماذا دخل من هذه المكتبة في كيان صاحبها
والى اى مدى وصل به الى ذرى القيمة .. الى الأفق الاسنى
والأسى .

احتاج أحد الصحابة عملية كى مؤلمة في موضع من جسمه
وكان يتهيأ . فأشار أحدهم متهللاً كمن وجد الحل ، بأن يتم الكى
وهو ساجد يصلح حتى لا يشعر به .

قد تكون القصة رمزية كما أرجح ، ولكن تبقى دلالتها وهى

• الاستغراق

ليس من الصلاة اذن الجهر والصياح والتظاهر بالتتوى رثاء
الناس واشتهاء المدح .

كان الحكيم المصرى امينوموبى يقول :

(صل من قلب مبتهج تظل فيه كل الكلمات مختفية فهو يصنع
ما أنت في حاجة اليه) .

الصلاة صلة ... خلوص .. خشوع .. استغراق كامل ..
كم من المصلين الآن يقفون على عتبة هذا الاستغراق ؟

والوقت هو تحضير النفس للوقوف بين يذى الله ... وهو

ابعد من النظافة الظاهرة على قيمتها ... انه تطهير للحواس
كلها مما تكون قد أنته من مشاهدة الباطل ، أو قول الزور ، أو

مس المحرم ... انه غسل للنفس كلها قبل الوجه أو اليدين الى المرفقين .

ان قيمة محمد ليس في انه كان ناجحا بالميزان الأمريكى أى تاجرا كاسباً ، ومتزوجا من سيدة ثرية (سنتع) ومحبوبا في مجتمعه ، ولكن قيمته انه بعد هذا اختار المطلب الشاق ، البحث عن الحقيقة ... فتعبد في غار حراء .. عزلة للتصفية والرؤية .. سياحة في داخل النفس ...

ان خلوده الى غار حراء من أجل الحقيقة يعلمنا أهمية العزلة الى جانب أهمية الاتيكيت في المجتمع .. لعلنا ان لم نصل الى الحقيقة فلا نل من أن نشارفها .

الحقيقة رؤية عندما يتطلع اليها الانسان يعطى عطاءه ... فالفنان يبدع الرائعة الفنية ، والفيلسوف يضع النظام الفلسفى ، والعالم يضع النظرية ، والحقيقة ذاتها من الكثرة والوفرة بحيث تعبر الفلسفة والعلم والفن والقصة والمسرحية وسائر الألوان ثم يبقى منها غزير لا يدركه الادراك .

وهنا ندرك قول اينشتين بأهمية الخيال .. فالخيال شوق الى الحقيقة . وبالطبع أقصد خيال الرؤى لا خيال التوهمات .

وتد انتشر الاسلام بالخيال الذى هو ايقاظ النفس الى الحقيقة .. الى الجوهر ...

(أينما تولوا فثم وجه الله) .

فرؤية القرآن لله ، رؤية محيطه . ان القرآن الكريم حافل بالصور ولكنها ليست للتصوير الحسى ... انها رؤى ممتدة . يقول الله تعالى : (كلمة طيبة كشجرة طيبة) كيف تصور هذه الآية ؟

وقبل العلوم والفنون كان حوار رائع بين الانسان والحقيقة...
تتغير وسائل البحث ويكون بينها ما بين منطق العلم .. والخرافة.
ولكنها كلها تسعى الى الحقيقة بأسلوبها .

والاسلام رؤية جديدة للحقيقة ، فحين تستحضر المسيحية ملكوت
الله في القلب البشرى ، يستحضر الاسلام ملكوت الله في داخل
النفس وخارجها وما وراء المحسوس . وحين تمثل الفن الاسلامي
هذا المعنى خرج خلاصة مقطرة للحياة والحياة .

ان التوحيد ليس شهادة ببقاوية كما يفعل كثير من المسلمين .
ولكن التوحيد ذروة من الادراك الوجداني والذهني ، فهو في العلم
اجماع وتوثيق ... وهو في الصحة النفسية يعنى تكامل الشخصية
... وهو في السياسة يعنى أن الكل في واحد .. وهو عند
الشعراء والفنانيين والمتصوفة يعنى وحدة العمل الفنى .
ان الوحدة علامة القيمة .

وقد حقق الفن الاسلامي الوحدة في تنوع ... كما أن روائع
بصر القديمة شاهدة على التوحيد والتنزيه ولكنه تفكير الخاصة
كأخباتون والفنانيين وهذا يدل على أن الاسلام دين الفطرة
السليمة في كل زمان ومكان .

الاسلام دين الفطرة ... فالفطرة السليمة تهتدى اليه بلا
نصوص كما فعل حى بن يقظان ... لقد شرح ابن طفيل المسألة
عقلانيا ولكن التجربة الدينية التي أريدها ، بصيرة ... انفتاح
لا يعادى العقل ولكنه أبعد منه مدى ... انفتاح يرى الخلد لا يعنى
استمرار الزمن ولكنه يعنى ما وراء الزمن .

الصلاة صلة بين الله والانسان وهى في الاسلام تطهير للذات
وانفتاح بها للنور... ورفع اليدين في الصلاة استشراف الى العالى .

الى السامى فى عملية مجاهدة وخلوص ... وهذا يفسر
الآية الكريمة :

(الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لماذا ؟
بفضل هذا النور .

ومن توفيقات العالمة انها تسمى negative الصورة
(عقرينة) لانها سوداء معتمة . والشيطان او العفريت هو عكس
الله نور النور .

يقول كارليل Karlile فى كتابه (الأبطال) لو لم يكن محمد
فيه (حقة) صدق لما استطاع دينه ان يعطى هذه الحضارة
كلها ...

ولكننا بمواضع عصرنا وواقع سلوكنا بعيدون عن التوحيد
... كل منا له هوى وكل منا يتخذ الهاه هواه وهى وثنية ..
الجاه وثن .. والوظيفة وثن .. والهوى وثن ... والشهرة
وثن ... والتعصب وثن ... ونحن نعيش فى هذه الأوثان على
الرغم من الايمان حين يقول اندريه مالروا ... ان المستقبل
للدين .

الدين جميعا .. فالدين خير كله ... لقد درس اندز هكسلى
فلسفات الهندو وبوذا ومصر ويونان والمسيحية والاسلام وخرج
من هذا كله بأن الكل يلتقون عند وحدة الوجود كما يقول فى كتابه:
Perennial Philosophy

ان الضلال هو عدم وجود معنى الوجود فى النفس

الدين حقيقة كبرى والحقيقة كالعروس ومهرها رياضة النفس
النظير من الشوائب والاهتمامات الصغيرة فى حياة كل يوم ...
فالله حين يقول عن القرآن الكريم (لايمسه الا المطهرون) لايقصد
(اللبس) ، ولكن يقصد اللمسة التى تشعل الروح وتسعد القلب
وتفتح للنفس آفاقا بعادا ...

وهذه المهمة لا تتحقق الا بالصفاء فيتكشف لصاحبها المكنون
فماذا به قد أبصر بعد أن رأى . وما أبعد الفرق بين النظر
والبصر . . . لقد انتظر الصينيون بوذا طويلا ليعظمهم فلمّا أقبل
عليهم رفع في يده زهرة ولكنهم رأوا ولم يبصروا ، اذ سالوه أن
يعظمهم ولكنه صمت صمتا نبيلًا كما يقول الانجليز

He mentain a noble silence

Sermon of the flower ويسمون هذه القصة

قال الله تعالى لموسى (اخلع نعليك انك بالوادي المقدس
طوى . . .) انها دعوة الى نظافة الروح والبدن حتى يستطيع
المرء أن يقترب من الرحبات العليا .

فسر الرازي القرآن في ٣٠ جزءا . . وذات يوم رأى في المنام
أنه دخل الجنة . وانه سئل اتعرف لماذا دخلت الجنة ؟ فقال على
الفور كأن الأمر بديهي :

— لأننى فسر القرآن .

فقال صاحب السؤال : لا ولكن لأنك صبرت على ناموسة
وقفت على قلبك تشرب منه

وفي هذه دلالة كبيرة وعميقة . فان العطاء من أى حجم ولون
أقرب الى الله من تفسير القرآن . . . والحرية اكبر من العطاء .
هذا هو معنى الدين .

تسريح كفك برغوثا ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا

كان أحمد بن حنبل يحدث ابنه كثيرا عن الامام الشافعى على
انه الأمل المرجى والرجاء المأمول .

وذات يوم زار الشافعى ، الامام أحمد بن حنبل وبات عنده .
فلم تنم الفتاة وأطل فضولها كله وفضول النساء من عينيها ترتب

حركات الشافعى وسكناته ... وبعد ساعتين قام أبوها من نومه وتوضأ وأخذ يصلى الليل كله ونظرت الفتاة الى الشافعى فوجدته نائما أو هكذا يبدو ...

وفي الصباح سأل أبوها ، ضيفه ، الشافعى :

— كيف قضيت ليلتك .

— على خير ما يقضى الليل ... لقد حللت وأنا مستلق على ظهري مائة مسألة مما يهم المسلمين .

هذا هو الدين فى قمته التى تعلو كثيرا على القيام والقعود ...

ان الذى يشغل كثيرين من المسلمين اليوم هو (نقض الوضوء)؛ مع ان هذه المشكلة الخطيرة يحلها كوب من الماء ... كوب واحد فقط يغسل به الوجه والكفان .. المكانان الظاهران والمعرضان لما يغسل من أجله والا فلماذا يغنى التيمم عن الوضوء أحيانا ؟ ان المسألة إعداد ذهنى .

دعنا الأستاذ لطفى السيد ، وكان وقتئذ وكيل نيابة المنيا ، الشيخ محمد عبده فى طريق عودته من الخرطوم ... وحشد له علماء المدينة تكريما له . فاذا بهم يشكون له من الشكوى من متاعبهم فى العمل أى فى الوعظ والارشاد . فلما سألهم الأستاذ الامام ، السبب ، قال قائلهم :

— اننا نزيد ونعيد للناس فى فرائض الوضوء دون جدوى ... مبتا نقول لهم (يغسل الوجه من ملبت الشعر حتى أسفل الذقن ، ومن شحمة الاذن اليسرى حتى شحمة الاذن اليمنى

ولم يدعه الشيخ محمد عبده يمضى فى الكلام اكثر من هذا .. وقال قولته المشهورة :

— يا فضيلة الشيخ .. كل واحد عارف وشه من غير مساح ..
هندق للرجال حديدته في جبينه !!

ان البربرية ليست اللون بل التحطيم وعدم الانتاج .

وحين قدس الدين العمل ، حنبا على الخطأ الذي يعنى
« التجريب » . فليس من الدين الوعيد والتهديد بعذاب الآخرة في
الخطب المنبرية المحفوظة أو المنقولة من الأوراق الصفراء البالية .
فان هروينا الحاضر من المسئولية سببه تركيزنا على خطورة
الخطأ عند الأطفال في المدارس ، وعند الكبار في المساجد .. كل
خطأ مريب وخطر وجسيم . لماذا ؟ ان الخطأ طبيعى ..
والتجارب والخبرات مجموعة أخطاء ... ولهذا فطفلنا عندما يكبر
يخاف من المبادرة والعمل حتى لا يخطئ لانه طبع على جرم
الخطأ ...

هل سمعت قول النبى (ص) ، (من أخطأ فله أجر ومن أصاب
فله أجران) . ما معنى هذا الا أن يكون قد عنى جواز خطأ التجريب
والمحاولة والاجتهاد ؟

ليس لنا أن نخاف من الخطأ أو حتى الفشل . فما التجربة
والخبرة الا مجموعة أخطاء سابقة تعلم منها أصحابها ، الصواب .
وحين يعمل الانسان آمنا من الرهيبات والخوف فانه يقبل على
عمله في حماسة وفرحة .

وسعادة المرء في عمله ، الطريق الوحيد الى الانتقان .. كان
يشرف على حفريات سقارة مدير يقول :

(عندما أسمع دقة الأزميل حزينة ، أعرف أن هناك خطأ في
العمل ، وعندما أسمع دقة الأزميل سعيدة ، من سعادة العامل ،
أعرف أن العمل مضبوط) .

اننا اذا قرأنا كتاب (بستان الرهبان) التقينا بهذه العبارة
(محبة التعبي عون عظيم) ... هنا نسمع صوتا مصرية ...
زرت يوما سقارة ومعى طفلى فنظرت الى نقوش المعابد
وسألتنى :

لماذا كل هذا الفن فى القبور ؟ وكان جوابى فى اختصار :
— انه حب الحياة لا الموت .

وحين زرنا معا معبد ميراروكا ، أخذت تهول بين الحجرات
وتعد ببراءة ، حتى اذا فرغت من العد والاعادة سألتنى كالمأخوذة:

— ان بالمعبد ثلاثة وثلاثين قاعة مهلوة بالنقش واللون ...
هل تحتاج الجثة كل هذا المكان برؤاه وحلاه ؟ وصدقت ، ان المقبرة
عندهم لا توحى بالحزن .. انها متحف للفن يسعد الرأى . وتؤكد
اعتقادهم بوجود الروح .

ان الاحتفال بالعمل فى فرحة وغنائية ، ظاهرة يندر وجودها فى
من آخر ... وحركات العمل على الجدران ليست من نثر الحياة
بل هى من شعر المسرح أى « باليه » ...

ومن معجزات الحضارة المصرية أنها حققت هذا كله بأبسط
الوسائل .. وهو درس يجب أن نعيه لتعلم معنى الإرادة ، والعزم،
والطموح والاصرار ...

هذا هو الكفاح الذى نريد أن نطبع أولادنا على الايمان به
ليتسلم الشعلة جيل أفضل ، يعيد كتابة التاريخ .



ان الاعلام يركز على القيمة الاقتصادية للعمل وينسى دائما
القيمة الانسانية للعمل ... العمل المترع ببشرية العامل ...

أى حب صاحبه له ، لا العمل الذى تستطيع الآلة الاليكترونية
ان تؤدي أضعافه ..

• ان الحضارة قيمة •

فالذى ينكلم أثناء العمل لا يعرف آداب العمل أو كرامته ..
آداب العمل هو الخلوص له • والخلوص نقطة لا ترى ... نقطة
تلاقي الكيان الانسانى بمذخوره ، مجبعا ، فى سن القلم أو الريشة
عند ملاستها للصفحة أو اللوحة •

• هنا يكون العمل عطاء قلب ... وفيوض روح •

ان العمل الحديث لم يستأنس بعد ... انه يضيف على الانسان
خيرات مادية ولكنه يسلبه انسانيته ... أى يحوله الى آلة •

لا استغناء عن الآلة •

لا اعود الى الوراء •

• ولكن ما نريده هو استئناس وتصحيح للآلة •

لقد قتلنا .. كما يقول هكسلى ، « الكرافت » أى الصنعة
اليدوية ، أى فن توليد الحب •

اننا الآن نشيع اللاحب فى الحياة الحديثة أى « الآلية »
الحاسيب الاليكترونى حين يحرر الانسان من الأعمال الصغيرة ،
مقبول كما حررت المطبعة ، المؤلف ، من النسخ •

ولكن العتل الاليكترونى حين يلغى عمل الانسان أو يطغى عليه
مرفوض • ان العمل ايمان •

ونحن حين نتهم الشهباب بقلة الايمان ، نفسى أن السبب أولا ،
قلة العمل •

لماذا كانت حضارة مصر دينية ؟

لانها عملت مذاقت حلاوة العمل فارتبطت بمعنى الكون .. ولهذا

تجد اشد الناس ايمانا ، الزارع ، حتى ولو كان أشدهم تخلفا
او فقرا لأن الزارع يحنو على الأرض ويحننها ويستولدها

الدين يأمرنا بالنظر في ملكوت السماء والأرض في محاولة لقراءة
الافكار ... افكار الناس أقصد وأفكار الأشياء ... ان الدنيا
عالم شتى وليس عالم الانسان بأوحدها ... هناك عالم الحيوان
وعالم الحشرات ... هناك عالم الأفلاك وعالم البحار أما مملكة
النبات فعالم رائع له عقل كلى كما يقول اخوان الصفا .

حتى الفضاء ليس خلاء كما يبدو للعين المجردة .. انه حقل
نشاط .. وهذا النشاط عندها نطلقاه بحواسنا البشرية ، يبدو
لوانا مختلفة ، ومرئيات ... فزرة السماء ليست فيها ، ولكن
في عيننا بتركيبها ووظائفها وخلاياها .. تمها كما نقول ليس الألم
في المطواة ولكن في حركتها من جسم الانسان ...

يقول الدكتور حامد جوهر في مجلة المجمع العلمى ، انه عصر
البحار لا الفضاء . هبهم وصلوا الى الشمس فليس هذا الوصول
أعماق الفضاء ...

انه كما تنبش دجاجة في الأرض وتحسب نيشها «بحثا جيولوجيا»

يقول الدكتور محمود خيرى على ان قطر الشمس يعادل ١١٠
مرات قطر الأرض واذا ذكرنا طوله بالكيلومترات المعتادة فانه
يبلغ مليوناً وأربعمائة ألف. وان حجم الشمس بالنسبة للأرض يبلغ
مليوناً وثلاثمائة وخمسة آلاف (١٣٠.٥٠٠) مرة .

وهنا نقول : ما هى أمريكا أو روسيا بالنسبة الى الأرض ؟
ما هى الأرض كلها بالنسبة الى الشمس ؟
ذرة من غبار في مدينة الشمس لو ان الشمس مدينة .

ثم ما هذا كله مجتمعا ومتفرقا بالنسبة الى الله ؟
قتل الانسان ما اكفره ... وما أجهله ... هل أوتي من العلم
ألا قليلا ... انه مارد اذا قيس بالميكروب الذى هو $\frac{1}{1000}$ من
المليمتر ولكن متى قيس الانسان أو حتى الاشياء بالحجم ... ان
المقياس ، القيمة .

ان عصرنا يتسابق في محاولة اكتساب فضيلة علوم المسادة أى
الطبيعة والكيمياء فاكسب الفضائل والرذائل معا .

ان T. W. A لا تقاس بالطائر الصغير المهاجر الذى يطير
مسافات شاسعة على جناحه الدقيق ... هذا هو معجزة القوة ..

ان فضائل علوم الحياة ، الايمان بالقوة الأعظم .
التي تعطى من الطين الوردية والعنبة .

التي تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي .
هذه وظيفة الثقافة

تضوء قيمة الدين وقيمة الحضارة
ان المدنية كما يقول الاستاذ مريت غالى في كتابه

Tradition for the Future تتطلب قبل كل شيء مجموعة من القيم ،
والآلات لا تهت بصلة الى القيم . وما لم تكن المدنية عناية حقيقية
يرفع وتحسين الانسان لا تحسين الادوات التي يستعملها فلا أمان
ولا اطمئنان

* * *

أعرف أن الانسان مولع بالخيلاء يزدهيه النجاح والمال
والشهرة ولكنه حتى اذا كان غنيا ناجحا مشهورا ، ضعيف ضعيف

والقوة لله وحده .. والعزة لله وحده أما الإنسان فلن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا ... يقولون عن عصرنا هذا مره مصر العلم وتارة عصر الفضاء وطورا عصر الذرة ... الخ ولكن ما أطلقه الإنسان في الفضاء وما اخترعه في الأرض ، صغير صغير الى جانب ما لا يحصى من عجائب مخلوقات الله ... ان دقائق التكوين في الحشرات التى يعتبرها الإنسان أتفه الاشياءحتى ليستخدمها في غضبه اذا اختار ، السباب ، سلاحا يشهره ! نسيء مذهل حقا ..

علام الغرور اذن ؟ ليت الإنسان يرى أخوته في الإنسانية مهن تمتلئ بهم المستشفيات ليعرف قوته الحقيقية .

ليته ينظر الى شجرة واحدة من ملايين الاشجار المنتشرة في الطبيعة ويتأمل روعة الخلق فى كل ورقة منها وكل غصن ... ليه يسمع سيمفونية الألوان فى روضة من الرياض أو موسيقى العبير ... ماذا يستطيع الإنسان ازاء هذا كله ؟ قصاراه أن يقلد وقد يتقن التقليد حتى تبدو وروده الصناعية وكأنها طبيعية ولكنها تظل بعد هذا ينقصها النبض والرفيف والشذى ... تنقصها الحياة .. أى ينقصها كل شئ ...

ليت الإنسان يتأمل عالم النمل ... وعالم النحل ومواهب الصبر فيهما والتنظيم والاحكام ثم يصنع عالمه هو بها يليق بالفارق الهائل بين الإنسان وسائر المخلوقات .

ليته ينظر كما قال المسيح الى زهرة الحقل ، انها لا تغزل ولا تنسج ولكن سليمان بكل عظمته لا يبلغ جمالها .

ان الذى ينظر الى الناس نظرة سطحية قريبة يجد فيهم موضوعا للتصنيف والتقسيم حسب الفروق التى تبدو لعدسته الصغيرة . ولكن أولئك الذين يرتقون الى قمة المعرفة ، يرون من فى السفح

أشبابها اذ تدق الفروق حتى تكاد تتلاشى ... هل يفرق النيل بين
أبناء الوادى ؟ هل تفرق الشمس بين الناس أو حتى الشجر ؟
وكذلك البحر والليل ... وأهم من هذا كله ، الموت الذى لا يرحم
القباب أو أذنابا ... الكل أمامه سواء من تبارى الطب فى انقاذه ،
ومن لم يجد ثمن الدواء ...

ان الانسان الحر هو الانسان الموضوعى لا التابع .. وقد تكون
التبعية لفكرة ثابتة أو متحركة .. وقد تكون التبعية لهوى يحجب
الرؤية الكاملة .. وقد تكون التبعية لضيق النظرة فلا ترى الا الظاهر
القريب ... حين تطوى النظرة البانورامية المسافات والابعاد
والاعماق .

لماذا لا نعامل الفقير كما نعامل الامير ليشب أبناءنا على
التواضع من سحر القدوة ، لان الفقير قبل أن توزع الاقدار
الثروات ، انسان له المشاعر نفسها وله قلب وله أعصاب ...
له التكوين العضوى للانسان . فما يحبه الواحد من الاحترام
والتقدير والمحبة ، هو نفسه ما يتمناه الفاقد .. لانه ، أيضا
انسان .

ثم ماذا يعرف الناس عن الحياة ، وما قبل الحياة ، وما بعد
الحياة ؟ هل أوتوا من العلم الا قليلا ؟ وحتى هذا القليل قابل للشك
والنفى والاثبات والتعديل والتغير .

ولكن الانسان المزهو بنفسه يحلو له أن يتعالم ويدعى التبحر فى
المعرفة ، ناسيا أن العلم وصل فى علمه الى أن عمر كوكب
الارض ألفى مليون سنة ، وأن عمر البشرية من هذين الالفين انما
هو المليون الاخير ، أى أن البشرية (وارد حديث) بلغة الموضة .
ترى ماذا يعرف المزهو بعلمه عن هذا المليون بل الالفى مليون الاولى
الا ليته يعرف ... لو عرف لادرك حجم الكثير الذى ينقصه .

وهنا يحضرنا تساؤل الاستاذ العقاد عن رأى أول فجر في سماء الكون لاح ! .

كم شروق لم نره ؟ كم أصائل كم من الزهور نبتت ؟
ان الأرض ومن عليها وما عليها ليست الا كوكب في المجموعة الشمسية وليست الأرض بأكبرها ..

ان فى جسم انسان واحد آلاف الخلايا الحية ... هل استطاع الانسان ان يخلق خلية واحدة ؟

ان قيمة الانسان فيها يعطيه وفيها ينفع الناس منه ..
أما بشرته ولون عينيه وفراة جسمه فأمثياء لا تدخل السرور الا على قلبه الفرد حين ينظر فى المرأة

وقد اكبرت الاديان (العطاء) .. عطاء القلب للحب ، وعطاء العقل للعلم ، وعطاء اليد للفقير ، وعطاء الوجه للضعيف ، وعطاء اللسان للتحية والتسليم والائناس والودادة .. حتى الكلمة الطيبة صدقة .

واذا آمنا بالعطاء فان أحق الضعفاء بحناننا المريض والفقير ..
لقد بلغ الحنان على المريض ، بالحكيم المصرى امينوموبى ؛ أن قال (كن مرضعا للمريض) كم فى كلمة (مرضع) من أبعاد فيها من حذب وحنان ورحمة وعطاء وحب رعموم .

اعرف أن الانسان من طبعه يضيق بالمريض فخدمته شاقة وقد يكون مرضه منفرا ، والاقتراب منه فى هذه الحالة ، عبء نفسى ..
فأى ملائكية تلك التى تمنح مثل هذا الانسان ، لا الرعاية فحسب ، بل فيوضا من عطاء القلب والروح ؟

أما الفقير فهو انسان مجروح مهما بدا للعين سليما . فقد كان الاستاذ المازنى يقول : (الفقر فى المال فقر فى كل شئ) ..
والانسان الطيب القاضل حقا هو الذى يوفر للفقير ، لا أقول

طعاماً أو كساءً ، بل يوفر له الكرامة والاحترام فلا يمتنعه أو يذله بالمن أو التظاهر بالعطاء ، ويوفر له حياة فلا يعوزة حتى يسأل .

ليتنا نترفق بالفقير فلا نلبس عطاءنا ثوب الحسنة المتفضلة بل نلبسه معنى الاهداء بوداده ورقته حتى تطيب نفسه بأخذه .

ليتنا نتجاوز عن دينه عندنا أو بعضه ... أو حتى نتجنب طريقه المعتاد ومجلسه حتى لا يشكل وجودنا نداء صامتاً أو مسموحاً يتقاضاه ...

ليتنا نعطي الانسان ونعطي الأشياء أيضاً فلها روح تبادل وتتقبل ...

* * *

هذا عطاء القلب .. أما عطاء العقل ففي شجاعته .

من محفوظاتي في المدرسة قول شوقي :

أجد الشجاعة في الجسوم كثيرة ووجدت شجعان العقول قليلا

وحين أراد شاعرنا أن يزيد الأمر وضوحاً ضرب المثل :

سقراط أعطى الكأس وهي منية شفتي محب يشتهي التقيين لا عرضوا الحياة عليه وهي ذليلة فأبى وأثر أن يموت نبيلاً

ومن العجيب أنه ، بعد صدور الحكم عليه ، استمر يتحدث الى تلاميذه في الفلسفة ! لم يزايله هدوء نفسه ، ووثوق لهجته ... ونظر تلاميذه اليه ، والى الكأس أمامه مملوءة بالسم الزعاف تنتظره ليشر بها ، وقالوا :

— ألا تحضر نفسك ؟

فابتسم وقال : لقد عشت طول عمرى أحضر نفسي لهذه اللحظة .. أي يموت فيلسوفنا !

أسلوب موت .

بل أسلوب حياة .

ولكى نحكم على شخصية ، نعرف أولا موقفها من الحياة والموت . فلا تتعاطفنا مغامرات مصاصى الدماء رجار الحروب ، فهذه شجاعة الجسم التى قد تفوقها ، شجاعه بهلوانات السيرك الذين يخاطرون بحياتهم ، على الرغم من ابتسامتهم المرسومة ، حين يسرون على الحبل أو السلك ، متعجلين يوم القيامة والمشي على الصراط .

ان الشجاعة شجاعة العقل حين ينصر الحق ، ويعلمن الراى، ويحارب الظلم . فبقراط وجاليليو وذو النون والعز بن سلام والبويطى ، وقبل هؤلاء جميعا الانبياء ... ودعاة الحق ... هم الذين نسجوا من أيامهم خيانتا الفكرية والروحية ... خيانتنا الحقيقية ...

ولكن اعلان الراى غير التعصب للراى ..

ان التعصب للراى ، سذاجة .

ان الحقيقة لها أكثر من وجه فلماذا لا نريد رؤية الجوانب الأخرى للموضوع؟ قد تكون أقل ولكننا لن نضار فغالبا سنكسب جديدا ...

ليس من الدين أن نقطع الطريق اذن فى المناقشة على الآخرين بل ننصت جيدا ... وجادلهم بالتى هى احسن وليتنا نحتفظ بالصوت الخفيض الهادىء عند احتدام الجدل فانه أعمق أثرا وتأثيرا ، مستمعين الى الآية (وأغضض من صوتك) ... ان الجدل ليس الانتصار كما يفهم معظمنا لأننا ولدنا أزهرين قبل ان ينشأ الأزهر ، ولكن الجدل اختيسار ... ان الذكى من يعرف

كيف يختار رأيه ثم كيف يطرحه .. ويبعث في نفسه ، شهوة الانتصار على الغير في مناقشة بنج بنجية تتقاذف الالفاظ فيها كما يتقاذف اللاعبون ، الكرة . فان قصاره في هذه الحالة أن يخلف في نفسه مرارة الهزيمة أمامه وما أغناه عن هذا النذير .. نعم فسوف يحفظها له ... وفي أى مناسبة تواتيه سينتقص من قدره ويهون من شأنه ليرد اعتباره أمام نفسه على الأقل .

المتدين والذكي لا يحترف الجدل فهواته خاسرون وان كسبوا .
ان السمع نوع من الكرم .. انه استقبال رأى ، واستضافة فكر جديد ... فكر آخر ... ان حسن التلقى فن .

المتدين لا يتعصب للون ، ولا يتعصب للدين نفسه ، ولا يتعصب للوطن ... نتهمك بديننا ونقدس وطننا ولكن التقوى غير التعصب ، والوطنية غير انكار الآخرين فهم أيضا مثلنا يحبون أوطانهم فلا خدع اعظم الفضائل الانسانية تفدو كما يقول V. H. Auden
أسوأ العيوب البشرية ...

(لا يجرمنكم شئان قوم على ألا تعدلوا ... عدلوا هو اقرب للتقوى)

(ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

أرايت ان الله يدنى منه اعمقنا ايماننا ، لا اشدنا جمالا ،
أو انصعنا بياضا .

(المؤمنون اخوة) .

الناس كلهم اخوة لأن الاسلام اعترف بهما سبقه من اديان وانبياء ... وهو اسلام من السلام . وحين عرف رسوله ، المسلم ، لم يربط حديثه من قريب أو بعيد بالطقوس ، بل قال (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده) وقال (الدين حسن الخلق) .

هذا هو الدين .

الدين دمهانة في الخطاب ورفق ... هل من الدين ما حكاه
الدكتور طه حسين في ، (الأيام) ، من أن شيخه ناداه ، وهو
الطالب الضعيف الخائف من الامتحان ، (أقدم يا أعمى) ؟

في اللغة الانجليزية حوار بين كفيف ومبصر يصف له الثلج نزولا
على رغبته قائلا :

انه أبيض كثوب الملائكة

خفيف كالفكرة

بطيء كما أقبل عينيك

... ..

هذه هي البلاغة الذكية ... فالوصف الذي يعتمد على الخيال
والمعنويات يسر الكفيف ولا يخرجه لانه وصف يستوى فيه المبصر
ومن أغلقت على النور نافذتاه ... وصف لا يشعر بالحرمان ولا
كذلك الذي يطعن به

* * *

الدين جعل الأمر شورى فلا يستبد انسان برأيه ان منح
الثقة لمن حولنا يشحذ طاقتهم لخدمتنا ... فليس من الرياسة أن
ندس أنفنا في كل شيء كذلك التركي الذي كان يوما وزير أوقاف في
مصر، فحتم على الوزارة أن تعرض عليه كل ورقة صغيرة أم كبيرة .
فكان يكتب على كل ورقة مهملتها مختلف الموضوع :

(يجرى اللازم حسب الأصول) . ولم يقل يوما ، ماهو (اللازم)
وما هي (الأصول) ! مجرد تحكم .

ان الرياسة شكل تنظيمي ولهذا يقول النبي (من) (اذا كنتم

ثلاثة أمروا واحدا منكم) وهو يعنى التنظيم لإ الأمر . والنبي يعنى بهذا ، أن الرئاسة اختيار لا تعيين .

دين وذكاء أن يكون الانسان مرنا متفهما رحب الاثق كبير القلب رقيق الحاشية يحترمه الجميع عن حب لا عن رهبة ... كان الشاعر الانجليزى كيتس يقول : (الشاعر لا شخصية له . فانا اذا كنت فى مجتمع أطفال ، غلبتنى طفولتهم فأصبح بينهم طفلا . واذا كنت فى مجتمع سيدات ، أكون سيدة . واذا كنت بين أشجاره أكون شجرة) .

لقد كان « كيتس » فى هذه العبارة على الاقل ، رقيقا متواضعا ... فالذى قتاله لا يعنى عدم الشخصية ولكنه يعنى العبقريه بعينها . . ما يقوله هو الطفولة الخالدة سمة العظماء . فالانسان العظيم هو الذى يملك **قدرة الالتقاء مع الناس** والأشياء ...

ولكن هذا الالتقاء أو القدرة عليه لا تعنى المسيرة الشامة ... أحيانا كثيرة لا يعنى اجماع الناس ، الصواب ... وهنا لا يتعاطفنا الاجماع لنمض فى طريق الحق . أقولها وأنا أعلم أن القابض على دينه كالقابض على الجمر ... قد يسخر الناس من المستمسك بالحق ، وقد يحاربونه ، ولكنه المنتصر فى النهاية . . وقد عاش سقراط خلال القرون ، ومات قضائيه وقتلوه ... نستطيع أن ننقد ، ونقول أقسى المعانى دون أن نسيل جرحا . . كيف ؟ هذه قصة :

تفتت سيدة طفلا . وبعد سنوات رزقت اطفالا .. وبدا لها أن تحدد الموقف . فأخذت الجميع فى رحلة ، خارجا ، فى عملية شرح للنفس قصد بها الطفل المتبنى أولا ... وفى جو متهىء خلت بالطفل وقالت له :

— هل أستطيع أن أثبتك على سر غال ؟
وأشرق وجه الطفل لهذا اللون من الايثار . ونرح بالثقة
والمسئولية . وقال في حماس شديد : نعم .
هنا : انت السيدة في هدوء وحنان وذكاء :

— اخوتك هؤلاء أعطاهم لى الله . وليس لى فضل فيهم ، أو فى
اختيارهم . ولكننى اخترتك أنت من بين ألوف الأطفال ...
وفهم الصغير كل شيء دون أن يدمى قلبه ... بل أكثر من هذا
أنه غدا يعتز بدلالة الاختيار

الدين يعلمنا فن الصداقة حين يقول (لا تستوى الحسنة ولا
السيئة ادفع بالتي هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه
ولى حميم)

دين وذكاء معنا أن نتفادى العداوة ما استطعنا ، فهى تخريب
للفنفس مهما كان الانسان على حق . ولاهون تخريب الخارج من
تخريب الداخل ...

لنزرع الحب ونتعهد لىنمو ، ليس فى نفوس ابنائنا فحسب ، ولكن فى
نفوس الناس أيضا . وليس هذا بالأمر الصعب . فان القلوب
كثيرا ما يلين تنافرها بالكلمة الحلوة ، أو الهدية البسيطة ، أو
السؤال العاطف ، أو الزيارة الحفية ، أو الدعوة الكريمة ، أو
حسن الاستماع ، أو اطراء ذوق الواقف أمامنا اذا رأينا لذلك موضعا .
... وكلها أمور بسيطة لا تكلفنا كثيرا ... وتكليفها على كل حال
أرحم من العداوة ... اننا لانسع الناس بمالنا ولكن يسعهم منا
حسن الخلق ...

أما اذا فرضت العداوة علينا فرضا فنقاوم ما استطعنا الفلو
فيها والمغالاة ... ان الله حين قال باسم الله الرحمن الرحيم

فانما هو تأكيد للرحمة . وكان من الممكن أن يقول الرحمن العظيم
مثلا ، أو المنتقم الجبار ، ولكنه اختار الرحمة دون سائر أسمائه
الحسنى ...

حتى القاسى يستحق الرحمة لأنه محروم من النور ... نور
الحب ... القاسى ليس انسانا كاملا ... انه كسر انسان لانه
موتور مشروخ ... داخله شيء مكسور ... انسان غير سليم ...
لم يتكامل ذاتيا ...

وهل سنى الرحم الا من الرحمة ؟ فالرحمة اساس الاخوة
والقربة ...

والرحمة والمودة اساس الزواج وزاد رحلة الحياة .
انها رحمة أن يضاعف الاسلام الجزاء فى الحسنة ويقصره على
المثل فى السيئة .

لقد كرم الله الانسان حين استهل القرآن الكريم بفاتحة تقتصر
من دون الموضوعات الكبرى على ما بين الله والانسان ، متوجها
هذه العلاقة بالرحمة تظل الانسان بالطمأنينة من لدن (الرحمن
الرحيم) .

ما هو الفن ؟

انه رحمة ورقق وحب . وما أبلغ لغتنا الشعبية حين تسمى
الصبى المبتدىء (غشيا) ، لانه لم يكتسب بعد رفاة الاستاذية .
كتب مارييت عن الفراغة ، أن عاملهم كان يقطع الحجر من الجبل
(وكأنه يقطعه من جلده) . وهى عبارة قد تمر عابرة عند القارئ
العابر . ولكنها عند المتأمل مقياس على عدم الاستخفاف والهدر ...
مقياس وشاهد عميق على الحضارة والرعاية والاحساس ..
الاحساس بالقيمة .. والاحساس بالأشياء .. ومن
هنا نفهم الآية (قوارير من فضة قدرناها تقديرا) .

لماذا تعد الأسرة أصلا من أصول الحضارة كالزراعة ؟ لقد
كسبت هذا الاعتبار بما يشيع فيها من رفق ورحمة ...
ومنذ قديم قدست مصر (الأسرة) حين أحبت أوزوريس وايزيس
وابنهما حورس .

ان بداية الحضارة البيت ... البيت المبني على الرحمة ...
وغاية الحضارة أن يكون العالم كله بيتا .. والبيت بهذا لا يقتل
عن المعبد والكنيسة والمسجد . ولكن **الحضارة الحديثة عدوان على
البيت** بتلويث الجو بالدخان ، وتلويث الاطمئنان بالتنبلة
الذرية والنووية

الحضارة الحديثة خلقت مشاكل عملاقة ثم فشلت في خلق
الانسان العملاق الذى يحل هذه المشاكل .. فهل ننتظر هذا
الانسان من موطن الاديان في محاولة جادة مؤمنة لاعادة بناء
شخصيتنا ؟

لنسمع صوتنا للعالم المتحضر في دعوة كبيرة مصرية لحماية
الأسرة وتقاليدها ...

ان كل وسائل الحضارة الحديثة بقدر ما فيها من ترفيه واسعاد
للانسان بقدر ما فيها من مضار ان لم يقف وراءها وعى كبير
ناضج يميز الفروق بين خيرها وشرها . فان هذه المدنية ما زالت
كما يقول الدكتور احمد زكى (تجرية يمتحن بها أهلها ، كما
يمتحن مقتبسوها . وان أهل الغرب في محنة منها ، بالذى تأتى
به من ضائقات وأزمات ، ومن حروب ، لانها مدنية لم تبلغ بعد الغاية
منها ، وبعض أهدافها قد تحققت ، وسائر أهدافها ينتظر التحقيق ...
على أنها بعد هذا مدنية انسانية عالمية أساسها تحرير الفكر
الانسانى من قيوده ، وغايتها رفاهة الانسان واسعاده) .

وهكذا كما نرى المسألة مسألة تمييز بين الفروق دقيق .
ان مهنتنا شناعة . ومتشعبة .

ان النصوص الدينية تعاني من الحصانة المحوطة بها .

ذهب رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله في أمر
أحلال هو أم حرام فأرشدته . . . ثم ذهب اليه مرة ثانية وثالثة
وهو يجيبه . . ثم توالى سؤال الرجل للرسول عن الحلال والحرام .
فقال بهلء حكمة أصحاب الرسالات كلمته الجامعة :

— استفت قلبك .

وهكذا نرى أن المسألة ليست الحلال والحرام، إنما هي كما يقول
الشيخ شلتوت في تعريفه للمعروف : (هو ما تعارفت عليه الفطر . .)
وبالتالى فإن المنكر هو ما أنكرته الفطر . . .

واذا كان هذا هو رأى ذوى البصيرة من أصحاب الدين رسلا
وعلماء فما بالنا فيما هو دون ذلك مما تواضع عليه الناس من
عادات وتقاليد ، أو مما وضعوه من قوانين ؟

الانسان هو سيد الموقف دائما . . . بإيمانه واقتناعه وقيمه
ومبادئه . . فكم من جرائم ارتكبت باسم الدين مرة وباسم الوطن
تارة ، وباسم القانون طورا ، وباسم التقاليد حيناً آخر .

هل الذين عذبوا في محنة القول (بخلق القرآن) ومنهم رجلنا
« ذو النون » الذى سيق الى (المطيق) فى بغداد . . هل هذا
من الدين فى شىء ؟

هل من الدين أن يحمل « البويطى » فى غل الحديد ويطرح
فى السجن مقيدا الى أنصاف ساقيه مغلولة يده الى عنقه ؟

هل من الدين ما اغترفه بعض البابوات فى القرون الوسطى من

تعذيب « غير المؤمنين » ؟ وهم أتباع رسول السلام والتسامح
والرحمة الذى وضيع فى قلبه حتى « الخاطئة » ؟

أما السياسة فبحر من الدماء صبت فيه الثورة الفرنسية
وعهد الملكة ماري وهنرى الرابع فى إنجلترا ... كما صبت فيه من
قبل الدولة الأموية والعباسية الذى سمي أول خلفائها (السفاح) .

السياسة بحر من الدماء لعل أزكاها جميعا دم الشهيد ابن
الشهيد ، الحسين بن على سبط الرسول .

ومن العادات والتقاليد الأخذبالتأثر فى الصعيد .. ومن العادات
والتقاليد فى الهند دفن المرأة حية اذا مات عنها زوجها وكان من
العادات قبل الاسلام وأد البنات فى الجزيرة العربية .

فلا نجعل للعادات والتقاليد سلطانا علينا بغير حدود ولا نجعل
للقانون سلطانا علينا بغير مصلحة ظاهرة فيه لخير الناس ، فالذى
وضعه انسان يخطئ ويصيب ... بل لانجعل فى الدين وسيطا
بيننا وبين الله ... لنتجه اليه هو .. نستوحيه وحده ... وليكن
تديننا أملا فيه ، وعلمنا به ، وحبا لذاته أكبر كثيرا من الحلال
والحرام ... حبا ينكر فيه الانسان ذاته فيغدو فى شفافية « ابن
الفارض » الذى يقول :

(نفسى فداك عرفت أم لم تعرف) .

الدين سلام فى النفس وسلام مع الناس ... هو الهارموني
الذى ينتظم الأشياء ويستقر فى أعماقها ...

هذا هو الدين .

الفن

ومن الدين : الفن .

وهنا فى هذا المكان من الدنيا ... نشأ من قديم، الوعى الدينى وقام المعبد بفتونه كلها ... فن التشكيل وفن الرسم وفن التلوين . وكأن الفن أو هو كذلك ، تفسير للدين ومقدمة موسيقية له بما يوقظ الروح ويفتح القلب لتلقى رقائق المعانى لتطرح فى النفس وردا ... فالفن هو التقوى الحقيقية حين يفهم عباد النصوص من الدين معنى الخوف من العقاب والرهبنة من الحساب والفزع من النار .

ان الفن يعلم الصمت كتأمل العابد لان متذوقه يترشفه فى سكون واستغراق يسمع فيه صوت اللون ، ونبض الحركة ، وهفئة الفسمة وهى تحرك الغصن المرسوم . يسمع فيه المتذوق صوت نفسه الآتى من داخله والذى يغطيه صخب الكلام وضجيج الحياة .

ولأمر ما لا نجد على المعابد المصرية التى تمثل ذروة حضارة مصر فى عصور زهوها ، مما مفتوحا حين كان خلق الفن وإبداعه يشغلهم عن الكلام، ويعبر عنهم بأصيح من الحروف والكلمات ...

ولعل السر في هذا أن صحراء مصر تعلم الصمت ... صمت التأمل ليعرف المصرى الواعى ذاته ... وينظم حيويتها ... وقد وعى القدماء هذا الدرس من الصحراء ... ولكننا اليوم نريد أن نهرب من ذاتنا فنهرج لعل الضجيج يريحنا من مسئولية معرفة الذات ولوازمها ، ومسئولية العمل معا ...

والفن الذى أقصده ليس ذلك الفن العرضى الذى يحيط الذات بوثارة من لذائذها وأحلامها كالف ليلة وليلة ، وإنما هو الفن الخالد الذى يحيط الذات بأفراح وسعادات بلا حدود لأنها وراء الحدود ... فن معراجى ترقى عليه النفس الى الأفاق العليا .

ان الفن تكريم الحياة بالقيمة .

لقد كان أفلاطون يقول أن الموسيقى منطق الخلق حين يتسق مع الخالق . وهذا هو معنى الفن ... والتدين بتذوق الفن عبادة شغافة . وخير لنا أن نقرأ تفسير القرآن فى متحف الفن الإسلامى لا شرح المفسرين .

فرقائى الحفر فى الخشب أغنية للشجر .

والنافورة صلاة المياه للنور .

وعماره المساجد صلاة تشكيلية .

" مثال هذا جامع اللاؤة فى الهند المشبع بزهرية الأزهار حتى ليكاد يكون زهرة كونية كبيرة فيها أنس وأيناس وشذى ... فيه سكون وسكينة ورفعة .

وجامع برقوق فى القاهرة أنه شعر من حجر ، خف وشف وعبر أبلغ تعبير .. وهو بالرحابة والثبات وإحساس الأمان الذى يعطيه ، أشعبه بالمعبد المصرى .

ان المعمار الجليل فى المساجد تسبيح لله .

ان المسجد فى الهند استشفاف مجسد للمعبد الهندى ارق واجمل
بالخبرة المعمقة للإسلام بما هو خاتم الأديان .

كثيرا ما يكون التشكيل لغة ذات جرس وموسيقى وأوزان . .
الإسلام عبر عنه الفن الإسلامى والتصوف أما الأدب فهو جاهلى
حتى فى إسلاميته . . . الأدب العربى لم يستطع — الا أمثلة
قليلة — أن يسلم . وحين استهدى الإسلام ، سجع !! فأفسد
السجع . ان الأديب الفارسى الإسلامى مسلم فعلا — هذا حين
ملأ الفرس الأدب العربى بالبديع والمحسنات اللفظية على طريقتهم
فى نقش السجاد

حتى أصحاب العربية المحدثين حين راموا التجديد والتحرر من
القافية اتجهوا الى الغرب !

حتى الفكر الإسلامى وجد واحة وراحته عند المتصوفة . . . أما
اللغة فهى عند ابن الفارض ونظرائه أجمل .

على أن التذوق الفنى فحسب هواية مترفين ولكن أكبر منه
تحقيق حياة المشاهد من خلال الفن وترشيدها وإضاءة ضميره
واكتشاف حكمة لا توجد فى الكتب . . .

ان التلقين يقول ان معبد زوسر الذى صممه المهندس الفنان
الطبيب الأديب أمنتب يمر الدالف اليه بممر ضيق طويل ليخرج
منه الى الرحابة الرحبة فى البناء وفى المكان . . . ولكن القراءة
الواعية تقول ان الممر الضيق الصاعد يبسط فى المعابد المصرية
ممثلا مراثى الصعود الى مملكة السماء كما يقول كباريت ، لون
من الأدب المعمارى . . . انه عملية تحضير للدخول . . . وتجبيح
للنفس . . . ودعوة للصمت يفتح بعدها المكان قلبه وذراعيه .

واذ تبهر من فخامة البناء ، وإيقاع التناسب ، وبساطة
الزخرف .

ينشرح الصدر (١٠)

وكان الزائر سليم .

فالمر الضيق طريق الى (المعرفة) الواسعة و (العلم) .
فأصبحت هنا فريضة لأن المعرفة كما يقول الصوفي أبو علي الدقاق ،
توجب السكينة في القلب كما أن العلم يوجب السكون .
وهذه هي أناقة العمارة وأنسها في الفن المصرى .

ان الهندسة المجردة Geometry هي علم قياس الأرض . ولكن
الهندسة المصرية القديمة ترتفع الى صفاء النفس . . . عمارتها
تتحول الى بستان بما فيها من نبض وخفق ودفق ومشاعر ، حتى
المربع والمستطيل يحدوديتهما بينهما حوار ودى يربطهما بالكل بشكل
كامل متنسق تمام الاتساق . . . وهذا الاتساق في الفن المصرى
لا ينبع الا من نفس متبلورة ذات ملكات . فان مناسبة الخطوط
بعضها بعضا ، في رونق أخذ واخراج متوافق يتطلب من المصمم كما
يقول الدكتور العريان في كتابه (مدخل الى الهندسة) : « احساسا
جماليا تغذيه بعض ملكات الفنون الجميلة والتطبيقية ليتكامل
لعمله عناصر الابداع والفنية الى جوار عناصر الفائدة والنفع »

وهذا اللون من الاحساس الجمالى كان وراء الخطوط المصرية .
فان الخط في التصوير المصرى مقعم طائفة . انه تصوير بالنور على
الحجر ولهذا هو ملء بالرؤى . . ان الحجر المصرى محظوظ فلم
المصرى بما فيه يرو حجر مثله من وجدان مترع بالحياة كالوجدان
من رى .

ان العمل الفنى الرائع كلمة خضراء تستوعب رؤى عصر من العصور للكون بصورة مصفاة منمأة . عمل تحس أن صاحبه توضحاً قبل أن يزاوله وكأنه الاستجابة لدعوة امرأة فرعون ... حقاً انه قصر من الجنة .

ان السموق فى عمود المعبد ونخلة الحقل ومئذنة المسجد شوق الى أعلى وتوق الى فوق .

ان الرائعة الفنية خلاصة تجربة الوجدان البشرى فى عصر من العصور ... الوجدان المصفى المودع فى العمل الفنى وكأنه سيفونية بيتهوفن الخامسة .

والفنان رؤية جديدة للحقيقة يفتح لها حوله وفى أعماق نفسه أن من توفيقات العرب تسميتهم صاحب القصيد « شاعرا » وهو تعريف للفنان الذى يستشعر القيمة .. ان كل فنان شاعر وأحسب لو عرفوا فى الجاهلية ألوانا غير فن القول لسموا الرسام شاعرا والموسيقى شاعرا ... أيضا ...

ومن توفيقات ابن البلد عندنا انه يصف الكلام الجميل بأنه (بروق الدم) أو (يرد الروح) . وترويق الدم صحيح حتى طبيا . فعملية « الانشراح » والانفتاح على ما يعجب النفس أو الحس لها أثرها الملموس على الإنسان ... أما قوله « يرد الروح » فعبارة تنتمى بحس بعيد الى معجزة المسيح فى احياء الموتى وليس بلازب أو لازم أن يكون الأحياء فسيولوجيا ، بل أعتقد أنه معنوى كلمسة الرحمن حين يخلق من الطين انسانا .

وبهذا المعنى يجب أن نفهم المسيحية والاسلام .. انهما فى جوهرهما روح وفن ، فالفن يشف الروح . وحين تغدو الروح شفة عفة تقترب من رحاب الدين .

وهنا يكون الفن مدخلا الى الدين .

ومن هنا نفهم أزمة الانسان المعاصر . فهذا الانسان عنيت
التربية بذهنه دون وجدانه ، فعجز عن ايجاد المعادل المعنوي
للتقدم العلمى .

ان البحث العلمى الحقيقى تجربة وتجرد . وعصرنا امتاز فى
الاسلحة ومنها التليفون والبرق ... الخ ولكنه يفتقد القيمة التى
تتركز فى الدين والفن والفضيلة .

ان مقياس النيل بالروضة جهاز علمى ولكنه امتزجت فيه القيمة
الفنية بالعلم . وهذا هو الفرق بين العصر الوسيط والعصر
الحاضر ...

ان الفن اليوم فى المنفى .. اذ ليس له فى المجتمع وظيفة
اساسية . السائد اليوم هو فن الاعلان وفن الترفيه، بينما الحياة
الاصيلة وثيقة الصلة بالفن تعطيه ويعطيها ... بينهما زواج
تسعيد وانجاب رائع ...

لقد ربى وطننا الفن ... فن الحياة وفن الفن ووصل به فى باب
التركيب الى أعلى درجات الغنى ... غنى القيمة ... ولكن
حياتنا الفنية تصفق اليوم لفك الخط الفنى .

ان الانسان اذا حافظ على انسانيته فهو تلقائيا فنان ... ان
الآلية .. الروتين .. العادة الميتة تقف بين الانسان والفنان ...
الروتين أعدى أعداء الفنان كما يقول هربرت ريد .
اليوم ، الفن هو النادر .

وفى مصر القديمة كان الفن هو القاعدة .

والفن غير الفوضى والبوهيمية بل الدقة الدقيقة ... ان الغول
القائل ان من ليس معنا فهو علينا ... هذا القول صادق فنياً فآى

فضول أو لغو تعبيرى ، يسىء الى العمل الفنى فلا يصل الى
(النقاء) الذى هو أمنية الابداع .. أما النسبية فهى حل رخيص .

ان الفنان باحث كأعمق ما يكون البحث وهو يسلك كل خطوات
العلم والعالم .. كل خطوات الدين ... فبالفن ليس فهلة .

ان الصناعة وهى دون الفن ، بما هى (وسيلة) التحقيق ،
تسبقها عملية تحضير وقد تكون غير واعية ... عملية جمع
خبرات وتحليلها .

ان معدة الفنان فى عقله ... فى جهازه العصبى يلتقط ويتغذى
و يتمثل وينمو

حتى الفنان الشعبى دارس فهو لم يولد خزاناً أو زجاناً، ولكنه
سمع ووعى واختزن .. كان (صبياً) ، غفد (معلم) .

وهكذا نرى أن الفن موهبة وجهد وتحصيل وبحث وعطاء ...
والمعنى فى الفن يستلزم نوعية الاداء .

والمتذوق الحقيقى هو الذى يعطى نفسه للأثر الفنى يستطيل
معه ويستدير معه ويتأفق ويتأأس أى يصير أفقياً تارة ورأسياً
تارة أخرى وفقاً لخطوط الفن .

ان فهم الأثر استماع للفنان . وارتباطنا بالاعمال الفنية كسب
لقلوب أصحابها .. والانسان الحساس كالألة الموسيقية يبعث
منها ، حتى الهواء العابر ، الانغام .. والرؤية الحقيقية للفن
هى ابرة الجرامفون تلمس الاثر فتبعث النغم .

قلبى يدعو الله أن يهبنا نعمة البصرة بقدر ما وهبنا نعمة
البصر والعيون الجميلة .. فبالبصرة نتذوق كل ما فى دنيانا من
معان ، لأن البصرة قدرة على النفاذ الى عمق الاعماق ... قدرة
على الحب .. على التعاطف ... المشاركة الوجدانية .. المسكن

الى وجود الآخرين ... ولهذا لا أعد الامتلاك من الحب في شيء ..
ولكن الخروج من الجلد والامتزاج بجوهر الناس والأشياء هو
الحب ... وهذا ما جعل الدزهكسلى في روايته **Bravely World**
ينمى اختفاء الحس الانساني في الفن المعاصر فيخرج مشوهسا
كأطفال أنابيب الاختبار الذين يحلم بهم العلم الحديث حين يرى
الأمومة التي هي قمة الحب ، أعظم الحقائق التي تمس القلب
البشرى .

وهل سمي الرحم الا من الرحمة ؟

ان الرائعة الفنية هي خلاصة تجربة الوجدان البشرى في عصر
من العصور ... ذروة تكامل القيمة فيه .. خلاصة الوجدان
المصفى المودع في العمل الفنى .. وهذا السر المكنون لا تبوح به
الرائعة الفنية الا للبصيرة ... وقد يستسر على البصر ...

وهكذا نرى أن الفن له عمل آخر غير الخبر .. غير الحكاية ...
ان التاريخ لا غنى عنه حصيلة للتجربة البشرية، ولكن يستغنى
عنه حين يبديء ويعيد في ظهور الملوك واختفائهم ونشوب المعارك
والنصر الزائف فيها ...

ان التذوق والثقافة (ادراك) وراء التاريخ الذى هو وقائع ..
ولهذا لم يتوقف عطاء مصر بموت آخر الفراعنة ...

كان الرازى يقول : الفن طويل والعمر قصير .

ولكن هذا القول خيال فردى . فان الفن اذا كان حلم جماعة،
تواكبت الاجيال في عملية تحقيقه فان الاجيال لا تموت اذا مات
صاحب الحلم .

لهذا نعرف العصر الفنى بأنه رؤية معينة .. حلم معين ابتداء
من الاشراق النفسى به الى ميلاد تحقيقه .

وهكذا نرى الثقافة الحقيقية التى لا تأتى من المدرسة ولا الجامعة ، ولكن من وجدان قادر على ادراك رهائف المعنى .

وليس معنى تركيزى على الفن اننى لا اعالى بالعلم ! فان الحياة لا تستقيم اذا اسلمت . زمامها للفن وحده أو العلم وحده ، أو الفلسفة وحدها . ولكنها تسلم ويترد مسارها الصحيح بمجموع هؤلاء ...

اننى حين انشد النفاذ الى عمق الفن فانى فى الحقيقة اطمع أن ننفذ الى الأعماق فى كل شىء . . ومن هنا أرفض أسلوب المدرسة المصرية والعربية فى التلقين . . فقد يحجب المعلم ، المعنى البعيد ويقف حائلا دونه . . ومن يدرى فقد يقطع وجود المعلم ، الاتصال بين المعنى والمتذوق ...

يكفى المعلم أن يعطى المفتاح فحسب ... حتى الصورة الفوتوغرافية محكومة برؤية المصور نفسه ...

إن من التذوق ، كالحب .

هل يدرس الحب ؟

الدين والفن في مفهوم مصر

ان دعوة الدين الى الاخاء يحققها الفن حين يمنح الناس كما يقول (سيدنى فنكلشتين) وعيا بالنسيج الاعرض للمجتمع الذى يعدون هم جزءا منه ، ويبين لهم كيف أن مشكلاتهم انما يشاركون فيها الآخرون مشاركة تتم على مستوى عريض ، ومن ثم فانه يخلق شعورا بالقربى فيما بين الناس الذين لهم حياة ومشكلات مشتركة .

الاخاء الانسانى الذى يسعى الدين جاهدا الى توفيره في المجتمعات الانسانية عبر عنه الفن أجمل تعبير من خلال بتهوفن حين كان يصغى بقوة محاولا اختراق حجب الصمم الى سيمفونيته التاسعة التى ترتفع فيها أصوات المنشدين مترنمة بنشيده للنصر ، مغدقا على الدنيا فيوضا من السعادة . وهو المتالم الذى ثكل أعز حاسة عنده . . . انه في هذا الموقف أقرب الى قلب الانسانية من قديس .

ان الفن وظائف بيولوجية واجتماعية لا يمكن التقليل من أهميتها ، كما يقول هيربرت ريد في تعريفه للفن حتى (نيتشه) ، وهو أحد ثلاثة جئى رأيهم على الفن — الآخران هما فرويد وماركس — جاء

عليه وقت كان يلوذ فيه بموسيقى فاجنر ، وهنا ندرك قول توماس مونرو عن الموسيقى في كتاب (التطور في الفنون) انها لا تقل أهمية عن الفكر فانها بما تقتزن به من الايماءات وتعابير الوجه تصبح وسيلة للتعاطف الذي تفيض به نفوس المتحضرين أكثر مما تفيض به نفوس المتبريرين .

لقد ذكر الأستاذ العقاد في (يومياته) ان أفلاطون كان يقول :
(ان تغيير أغاني أمة يضارع تغيير الشرائع فيها) ..

ولعل من خير ما جاءت به الثورة الفرنسية هو اصرارها ، كما يقول : *Franco Benoit* فيما نقل عنه ارنولد هاوزر في (الفن والمجتمع عبر التاريخ) اصرارها على (ألا يكون الفن مجرد زخرف يزين به البناء الاجتماعي) بل « جزء من دعائم هذا البناء » ..
وهذه الصلة بين الفرد والدين أدركتها مصر بما في داخلها من احساس عميق بالمقدس والجميل فأدخلت الموسيقى المعبد واشتركت الملكة نفرتاري نفسها بألة السيستروم .. وعن المعبد نبعت الموسيقى الكنائسية . وفي الاسلام موسقت مصر الدين حين استن منتدبو القراء في مصر تقليدا (ألا يبدأون قراءاتهم الا من البياتي وبه دائما يختمون) .

وبعد القرآن يأتي الأذان وقد أوضح عمل مصر فيه الشيخ البشري في (قطوفه) ..

يقول الدكتور بشر فارس في كتابه النافذ (سر الزخرفة الاسلامية) .

(على المؤمن أن يتوجه بكيانه الى الله ، فالله مصدر جذبته وغاية سعيه في آن واحد . . وفي القرآن (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) البقرة ١١٥ . وفيه أيضا (ذلك خير

نُفِين بريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون) هذان معنيان لا يفتأ
كتب الإسلام يردد هما

من هنا لدونة الزخرفة الاسلامية وقد آل بها المطاف بين يدي
الإسلام ، أن عتقت من الواقعية الهلينية وخلصت من الصلابة
العارسية . فلا مبتدا لها ولا منتهى ، ولما يجوز لها أن تنطمع في
'حد منها' ، لأنها تسمى وراء الله الذي (هو الاول والآخر)
تحدد ٢ ... منه تبتدىء الاسباب واليه ننتهى المسببات .

وبعض اللدونة نرى « الوحدة » في الزخرفة الاسلامية دوارة
نيرة وتارة متوترة ... وهى ، فى أكثر الحال ، تلتوى وقلما
يعركها البهر ... ووجهتها ، أبدا ، ما لاحد له ، فهى ماضية
ملا ملل ... وهيهات أن تبلغ ما تهدف اليه ، فشانها شأن ايقاع
بشرع متقادا للصبر) ..

وان كنت أرى مع الدكتور زكى حسن أن الوحدة فى الزخرفة
الاسلامية تتوقف أحيانا عن المضى بعد أن زایلها الشعور بالخوف
من الفراغ متأثرة بالفن الصينى .

ونحن الدكتور بشر فبارس أحسن بصعوبة التركيز فنجح الى
تطبيق قائلا : (ان الثقافة المرق بوروده وأوراقه ، وكذلك
تبساط السطوح يفتان فجأة أحيانا ، أو يتكسران حتما على
محواجز ، عند أطراف الساحة التى تستقبل المنق . أترى يرضى
الانكساف والاتبساط بهذه الهزيمة ؟ كلا ! أما العرق فلا تختتم
مداه . وأما السطح فلا تلتحم أضلاعه ... بل كل يصل الى
المدى المقدر له وهو فى دوران نشاطه : أما عند رأس انثناءه ،
وأما فى قلب اشتباك ، كأنها يتأهب لاستئناف الاندفاع ، فيدعوك
فى أن تثب وراءه فى الخلاء ، لعلك ، من طريق التخييل تلاحق
جولاته هدمته قسوة الواقع تلك نشوة مشيت فى الخط
سبك أن أفق الغيب المستغرق دون المؤمن مشغلة دائمة لذوقه .

ان الفن الاسلامى رؤيته رؤية بالاشواق وهو يمتاز بالتنوع
والموحدة معاً . يقول م.س. ديماند فى كتابه «الفنون الاسلامية» .

يمتاز الفن الاسلامى بتنوع عظيم اصاب نواحيه واشكاله
وصناعاته وزخرفته واقاليمة ورجاله ، وهذا التنوع بلغ من الشدة
جدا يصعب فيه كثيرا أن نجد فيه تحفتين متمثلتين ومنع ذلك
يمتاز بوحدة () .

والواحد هو الأصل فى العدد . . وفى الكون . .
والتنوع هو الظاهرة الكبرى فى الطبيعة . . . والفن الاسلامى
لم يعط الصورة انسانا أو شجرا أو نهرا « كينونة » لأنه اعتبرها
ظلالا عابرة فى طريق تطلعه الدائم الى ما وراء الطبيعة . الى الله
الواحد . وان كان الفنانون المسلمون قد أخذوا عن الصين رسوم
الطير يسبح فى الهواء فيكسب الصورة حياة وحركة كما يقول
الدكتور زكى حسن فى كتابه (الصين وفنون الاسلام) . وحين تمثل
الفن الاسلامى هذا المعنى خرج خلاصة مقطرة للحياة والحياة . .
وهنا يتعائق الدين مع الحياة فى ود موصول حين نفهم عنه
فى استشفاف واع معانى كلماته الجامعة . فتجاوز التوحيد النطق
البيغوى بالشهادتين الى توحيد الذات فلا انفصام ولا تشقق ،
وتوحيد المجتمع فيبداً من الشيع والتطاحن ، وتوحيد العالم نحو
القيمة الكبرى أى الله .

الدين قيمة كبرى . . . والفن الاصيل موضوعه : القيمة . . .
بينما العلم الحديث يفسر القيمة لا يتغياها . . . القيمة عند العلم
الحديث خارج الموضوع . . . وهى عند الفن قبلية يتجه اليها كما
يتجه عباد الشمس نحو النور . . .

العلم الحديث آله الذهن وله حدود الذهن وهو بهذه الحدودية
لا يمكن أن يحيط بالحياة أو الدين أو الفن . ولعل قوته فى معرفة
محدوديته بينما الفن أقرب الى التصوف فيه « الحال »
عطاء الله ، و « المقام » درجة يصل اليها السعيد بالمجاهدة . . .

والقلب بين الحال والمقام يترقى بالصفاء من مقام الى مقام حتى يصل الى الملاء الاعلى ...

ان مشكلة مصر اليوم انها ينقصها « الاساتذة » الحقيقيون في كل مجال من هذه المجالات ... ولهذا نقص الوعي من ضبابية الادراك ... ادراك معنى « العلم » و « التكنولوجيا » ... و « الفن » و « الدين » و « الانسان » . ولعلنا بئادراك (نقص الادراك) نكون قد اقتربنا من الهدف . فان ٩٠٪ من الحس في ادراك المشكل ...

ليس اعتباطا أن تنبع الأديان من الشرق وتنشأ فيه لأن « التوحيد » فيها يوافق حب « التكامل » المائل في طبيعة الشرق . لماذا لم تتفوق الملحمة والقصة عندنا كما هو الحال في الغرب ، على الرغم من اننا نحب الحكايات ؟ ذلك لأن طبيعة تفكيرنا التكامل لا التنصارع الذى هو أساس الدراما ... الملحمة مجلى بطولات يبرزها الصراع الثنائى ولكن مصر حتى حين تتصارع تفنى سريعا الى الوحدة . محروب الجنوب والشمال انتهت بوحدة الوادى ولبس « مينا » تاج الوجهين .

وصراع أوزوريس وسيت انتهى الى تحكيم القضاء ونصب ميزان العدل . وهذا الادراك العميق للامور هو في صميمه بطولة فكرية . «

وحين جاء الاسلام حدث في القرن السابع الهجرى أن كثرت الفرق والتحل واشتد الخلاف بينها . فاتفق رأى العلماء على العالم المصرى الشيخ تقى الدين السبكى ليوفق بين المذاهب الأربعة . .

واذا لم يكن هذا الميل الى التوفيق مصرى . فقط في هذا الشاهد ، فانا لنجد كما يقول الأستاذ الخولى (هذا الميل المصرى للتوفيق بل الدعوة اليه يتجه اليها صوفى مصرى بلدى السبكى هو الشعرانى . وهو أصيل فى الفقه فوق كونه صوفيا من الطراز الاول . وقد

حاول التوفيق بين المذاهب الأربعة كمحاولته التوفيق بين أهل
الكشف والعيان وأهل النظر والاستدلال . ويقول الباحثون الغربيون
أنه مصلح يكاد الاسلام لا يعرف له نظيرا (.

أن ملحمة مصر تتمثل في الرائعات الفنية : « الهرم » ..
« أبو الهول » .. « الكرنك » « جامع السلطان حسن » ..
« تائية ابن القارض » . أما « اللياذة و « الأوديسة » ففي اليونان لأن
عندهم « الصراع » حتى بين آلهة الأولياد ... حتى القدر يقابل
الانسان ... فالانسان والقدر يتصارعان ...

أما الاسلام فانه بآيته (قل ان صلاتي ونسكى ومحياي ومماتي
لله رب العالمين) ١٦٢ ك الانعام ٦

الاسلام بآيته هذه فيه اتجاه الى الله وتسليم سلامي ... الله
الذى هو قمة القيمة ...

ولا نجاح هنا بالمنتصر الذى قتل أباه المتوكل ، ومأساة
(المستعين بالله) و « ابن المعتز » .. فهؤلاء تحت جلودهم
جاهلية ... جاهليتهم الأولى التى كانت تكمن وراء الخلافة
وأبقتها ...
انهم دون مستوى الاسلام ...

والاسلام المسالم المصفى طرحه محمد فى عصره . ولكنه بما هو
دين الفطرة السليمة موجود قبل محمد فالأنبياء قبله مسلمون
(فان حاجوك أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وأسلمت مع سليمان
لله رب العالمين) ٤٤ النمل ٢٧ .

(يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) ٤٤ م المائدة .

وابراهيم (قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) . الاسلام
دين الفطرة السليمة . دين العقل الحر والانسانية الكاملة ... فحق

ابن يقظان اهتدى الى الاسلام بلا نصوص أو هكذا يرى ابن طفيل ...

الدين الحقيقي أكبر كثيرا من (الحرفية)؛ حرفة النصوص والطقوس التي نهوى الوقوف عند ظاهرها دون أن نكلف أنفسنا مشقة الغوص فيها واستقراءها ...

ان أعدى أعدائنا اليوم هو السطحية ... اننا نطالب باحترام المسرح ونتأذى من وجود اللب داخله ، وثقافتنا قنصور وحديثنا قزقزة ... فلم نعد نكلف أنفسنا النفاذ الى الأعماق التي انشغلنا عنها بالثرثرة والاستطراد يشيع في كلامنا بل وفي تخطيط مدننا خلاصة في العصر الوسيط . فأنت لا تكاد تأخذ في السير حتى ينعطف بك الشارع الى ممرات جانبية وأزقة تفضى بعد حين الى الطريق الرئيسى ثم يتفرع مرة أخرى وهكذا ... ويتمثل هذا في طرار العمارة الخاصة بالمساكن التي يضمها أصحابها دهاليز و (مسروقة) الخ .

ان الانجليز يسمون ظاهرة الاستطراد عندنا :

The Story of the Merchant

فاننا لانكاد نشرع ، في رأيهم ، في حكاية التاجر حتى نستطرد الى موضوعات وموضوعات ثم نعود الى حكاية التاجر من جديد . وهكذا فلا الحكاية تنتهى ولا استطرادنا يكف ...

نحن نتكلم كثيرا لاننا لا نعرف على وجه التحديد ماذا نريد ان نقول كما يقول امرسون

He did not know what to say, so, he cursed.

مما أحوجنا الى القصد في القول والعمق في التفكير والانفتاح في الايمان لنحب في صدق : الدين والفن والحب ... فننتعاط ونتواد فلا يعد بأسنا بيننا شديدا يحسبنا الناس جميعا وقلوبنا شتى ... ويوم تتحقق وحدتنا يتحقق بها ومعها المعنى الكبير للدين والفن ، ومفهوم مصر لهما .

حين تحرر المصري من الخوف أبدع الحضارة

إذا أردنا كتابة التاريخ لكي نعيد بناء الشخصية المصرية علينا أن نراجع مفاهيمنا للمبادئ التي تقوم عليها الأوطان وفي مقدمة هذه المبادئ «التحرر من الخوف» أن J. A. Wilson يعزو ازدهار الحضارة المصرية الى تحرر المصري القديم من الخوف وإيمانه العميق بوجود رب يحميه . مما أكسبه ثقة في نفسه نجرت فيه قوى الإبداع والخلق . يقول ويلسون (قد تكون الحضارة المصرية حمولة الموقع الجغرافي والأرض السمراء الخصبة المستدفئة بشمس أفريقيا . ولكن السبب الأكبر وراء هذه الحضارة ، عقيدة المصري القديم بأن مصر يحكمها اله هو ابن اله الشمس الذي يمنح مصر الخلود فهم يخاف)

انه اذن الايمان والطمأنينة والثقة .

وهنا مفتاح من مفاتيح الشخصية المصرية يجب أن نبحث عنه فيما ضاع .

لا يمكن أن نعيد بناء الشخصية المصرية الا اذا

خلقنا أولا من أنفسنا مجتمعا ناضجا متحضرا يرفع الحق والجمال والخير ... مجتمعا كل شيء فيه محسوب فلا نغرق في المدح اذا رضىنا أو رهبنا ولا نسرف في الذم اذا عادينا أو غضبنا...مجتمعا لا يداجى ولا يصانع بل يؤمن فيه كل فرد حاكما أو محكوما بأهلية كل فرد ، وحرية الرأى ، والعمل ، والتسامح ، واتخاذ سبيل الاقتناع بدلا من القوة ، والحكمة ... تلك الصفات التى يعدها واينتهيد Alfred North White head من مستلزمات الحضارة .

ومن المبادئ الرئيسية ((الوطنية)) وهى كلمة جامعة تتضاعل عندنا على كثير من الشفاه حتى تغدو هتافا أجوف بلا مضمون . . وفى رأى أن الهتاف وطنية البسطاء . . ومصر لا تحب الهتاف لأنها شبعت منه . . والصادقون فى حبها يعملون فى صمت ويشكلون حبههم انجازات ، تضيف اليها ... وحضارة مصر اضافة الذين احبوها فترجموا حبههم الى عمل دائم . .

فهمصر اسم شرف لا يكتسب بالولادة ولكن بالعمل... بالسلوك . . بادراك القيمة .

ومصر فى الضمير العالى قيمة نفيسة بما هى مجموعة قديم حضارية ومنجزات حضارية .

الوطنية اذن عمل . . ورع وطنى . . تصوف وطنى . . وبهذا تغدو الوطنية ، قيمة . . قيمة انسانية .

وطنية أن نأخذ ما عند الغير ونضيف اليه من ذاتنا لا أن نبهر بكل ما يأتى به الغرب . . اننا لو تأملنا قليلا نجد الغرب عبارة عن تكتيك + فوضى فى القيمة ... والأوربي يحاول تبرير الموقف المعاش حتى يستطيع أن ينام أنه يهدم القيم فى أنحاء العالم بدعوى أن التقدم انما هو التقدم العلمى المادى ... وغير هذا مفهوم العلم فى مصر . . . لقد اشتق اسم العلم من اسمها، «كيميا»

فالكيمياء هى العلم الذى يحول الخسيس الى النفيس حتى ليرى (يونج) فيها ، اشارة ... فتحويل العناصر رمز الى تحويل النفس ، ولأمر ما سمى الغزالى كتابه (كيمياء السعادة) .

ومن هنا ، أتخذ أحد المصريين المحدثين الكيمياء فلسفة وطنيته فاهتم بها درسا وعملا ، تعبيرا عن مصرية واصالة ...

وهكذا مصر .. العلماء والفنانون يخدمونها .. (والهاتفون) يدوشونها ويزعجونها .

ان المادة مرآة الروح اذا عرف الانسان كيف يستشف المعنى من وراء المادة .. فنحن لا نهون من التقدم المادى الذى يزهو به الغرب . فالمادة فى ذاتها ليست رذيلة والشخص السىء ليس المادى ، ولكنه القاصر عن تحرير المادة وكثافتها ، والخروج بها الى شفافية المعنى . وهذا هو ما يفتقده الغرب ...

وطنية أن نعرف عيوبنا فمعرفة النقص خطوة كبيرة نحو الكمال ولكن بلا مبالغة . فمصر بلد الأساسيات جغرافيا وحضاريا وفنبا . ولكن البعض يغفل عن المنبع المتدفق بالخير لينظر الى البالوعة التى تتجمع فيها الشوائب .

وطنية أن نعيش العصر ونفهم ما جاء به من نظريات فى العلم والفن ولكن دون انبهار يفقدنا أنفسنا .. ان الكثير مما يستهوينا قد يكون فى تراثنا ما يعادله أو ما يفوقه لو اننا نعرف ما عندنا

ان التكعيبية والسريالية القائبة على التجريد وتجاوز الشكل بل تجاوز المنطق والتطويع الى ما وراء العقل ، يتفوق عليها الفن المصرى القائم على نقاء الشكل مع الاحتفاظ باللمحات الانسانية .. حقا كثيرا ما يتجاوز الفن المصرى الشكل ولكن الى الاسطورة بشاعريتها وغناها .

ان الصعلوك ليس فقط المشرذ الضائع وانما الصعلوك هو
المبتور من جذوره الثقافية . يقول كاتب انجليزى (العرف بديل
العبقريه) .

ان من يتعزى من الغطاء الاجتماعى المنسوج من قيم امته
وحكمتها وتجاربها ، انسان هشى يتيم معنويا وان حسب نفسه
متحررا حرا . . .

أنا لا أطالب بالمثالية ولكن بالمثال . . أن تنمو من الجذور ثم
تتفرع كما نشاء .

ولأمر ما يعبر أولاد البلد عن طحن انسان أو سحقه بقولهم . .
(يعدمه العافية) . ان التربية الحقيقية . . . غرس التاريخ في
النشء تعطى العافية . . القوة . . الأمل . . الحلم . . . الارهاصات
أى همس الوجدان .

ان أزمة الانسان المعاصر ان وجدانه لا يضاهى تقدمه
التكنولوجى فملك الآلة ولم يملك السلوك وحسن الاستعمال .
انسان العصر الحاضر سباق مدنيا . . فقراء هذا العصر يستضيئون
بالكهرباء وهو ما لم يتيسر ليوليوس قيصر ولكنه معنويا ، معدم
لا يعرف كيف يعيش ، كيف يحب . . كيف يكره ليس عنده (فن
الحياة) اللهم الا اذا كان عبقرى .

انسان العصر محروم من الرعاية المعنوية ثقافته متجولة
كبضاعة الباعة المتجولين . . ثقافة جرائد وأفلام مسطحة .

ولأمر ما تغير وزارة الثقافة عندنا اسمها بين حين وآخر نهى
تارة وزارة الاعلام وطورا وزارة الارشاد وحينا وزارة الثقافة
لائنا نحتفل بالأسماء لا بالضمون . . . لقد عمل الانسان اللغة فلا
يدع اللغة تشكله . . . لو كان لوزارة الثقافة هدف محدد لما

غيرت اسمها مرات .. لو تعمقت مضمون كلمة (مصر) وهو حضارة + مسيحية + اسلام + حرية ... وهذه الحرية ، اى الخط الرابع ، تستقطب هذا كله ...

لو عرفت وزارة الثقافة هذا المضمون لاتخذت منه شعاعا وجعلته محورا لها وهدفا

ان الحرية انتفاء للآلية ونفى للاضطراب يتحقق هذا المعنى فى الانسان بل الجهاد فالخط المستقيم نقطة متحركة فى اتجاه واحد ففيه معنى الآلية اما الخط المتعرج فهو أكثر حرية ولكن الجمال فيه رتيب فيه بعض آلية داخل حريته .. وتزيد الحرية باختلاف الموجه بين ارتفاع وانخفاض .

لقد كان فى الفن الفرعونى خطوط مستقيمة ولكن الى جانبيها خطوط أخرى تتحرك فى حرية تامة وهى بانطلاقتها تؤكد ضرورة الخطوط المستقيمة ليتوازن البناء الفنى كالأعمدة فى البناء الهندسى . حتى (العقد) المغمى به الفنان المصرى حتى ليوفره لصوره ونقوشه كلها ... هذا العقد المستدير رد على دائرة الرأس يدور معه الفكر ليصعد الى الرأس من جديد .

كان عند الفنان المصرى تفتح وانفتاح وانشراح وتهل فى التقبل فاذا رسم أحس احساسا طبيعيا موهوبا بالنسب فيخرج الأثر الفنى وكأنه منظوم فى بحور رياضية فهو كشاعر موهوب يجيد النظم ولو لم يكن يعرف العروض .

وحين نسال السؤال التقليدى هل الانسان مسير أم مخير فان معنى مسير ضد الحرية .. **انما الحر هو المخير** . مثل هذا الانسان اذا فعل فقد اختار ان التصميم هو الوضع باختيار ...

الحرية نمو على مستوى الفرد والمجموع .. ان عز الانسان

الأول اعتمد على ذاكرته وقد بدأ مرحلة التحضر عندما بدأ يحرر
رجليه الأماميتين أى يديه ... ولما تفرغت اليدان وبدأت تعملان
في حرية بدأ المخ ينمو ... **والثقافة نمو النفس المتحررة من الخوف**
والعقد بحيث يكون لديها من الإدراكات والمنجزات والطرح ما يمكن
أن يتاح للنفس الانسانية الراقية .

ومن الحرية بل من الوطنية أن نحب الحرية لغيرنا ... ان
وطنية المستعمرين (أنانية قومية) ... لهم الغنى والديمقراطية
والحرية... وللشعوب المغلوبة الفقر والاستعباد والذل... ولا يستحوون
بعد هذا أن يتشدقوا بحقوق الفرد وحرية الرأي واحترام انسانية
الانسان - وهم يعنون الانسان الأبيض بالطبع - أما احترام
انسانية الشعوب فهو موضوع آخر .

قتل امرئ في غابة * جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن * مسألة فيها نظر

وطنية إن نحترم أوطان الآخرين كما نحترم وطننا ... لقد
دعا جمال الدين الأفغانى الى الحرية في غير وطنه ، وثار تومبين
على الاستعباد في كل مكان حتى لقد لب الأمريكيين على الاستعمار
البريطاني ، وهو الانجليزى مولدا وهوية لانه كما يقول هلد جارد
هوثرن :

(الدنيا وطنه والحرية رايته) .

وما دمنا نحب الحرية للآخرين ونحترم أوطانهم فلا يستكثر علينا
احد ولا ينكر علينا احد أن نعلی راية (المصرية) دون أن يتعارض
هذا مع القومية العربية . فالعرب في سائر بلادهم ينتمون أولا
الى الوطن الأم ثم ينتسبون الى العروبة بحكم الدين واللغة ومسار
التاريخ في الاربعة عشر قرنا الأخيرة .

ونحن في مصر لا نطلب أكثر من هذا لا سيما وأننا نحمل أسرا
عرفته الدنيا قبل الديانات واللغات والقوميات فنحن مصريون أولا
ونحن مسيحيون ونحن مسلمون ونحن عربيو اللسان والهدف
والمصير ..

ان الأستاذ ساطع الحمري في كتابه الكبير عن (القومية العربية،
يسمىها « رابطة » ونحن لا ننكر هذه الرابطة ، ولا نستطيع ..
وليس في مصلحتنا ان استطعنا ولكن « الرابطة » مهما عزت ،
لا تبلغ الأصل المرتبط والمربوط بل ان وجودها رهن بوجوده .

انها لماسة ان تحتاج الحقائق الثابتة الى اثبات .

من هنا ندعو الى اعادة قراءة التاريخ حفاظا على الاصل ،
واتخاذ منطلقا للتجديد والخلق حتى تكون لنا شخصية متميزة
ثم نتمسك بها .

لقد أخذت اليابان بأسباب العلم الحديث بل أضافت الى علوم
العصر ، ولكنها تمسكت بأسلوبها في الحياة ونظامها في العيش .
انى ارى الهنود في مصر ورايتهم في بلاد أخرى عربية وأوربية
فلم تخطئهم العين بزيهم الخاص مهما تطوحت الموضة حولهم وفي
عقارها .

ان الانسان يولد في العصر الحجري ، والتربية هي التي تصل
به الى العصر الحديث .. في ادراك القيمة لا في ارتداء الموضة
فان من يرتدى الموضة فحسب لا يزيد على شهاعة خشبية انمسا
المقصود رحلة في النفس .. معاناة حقيقية ..

الشخصية قبة الوجود الانسانى ... تكامل الكيان البشرى
نحو قيمة جديدة وهى بالنسبة للأمم خلق حضارى كالذى فعلته
مصر والهند والصين في العالَم القديم .

وهى بهذا ولادة ثانية والقيمة ثراء للذات واثراء .

فرق بين (الشخصية) Personality وبين الفردية

ووزارة الداخلية حين تعمل للمجرم (فيش وتشبيه) وتسمى هذا تحقيق شخصية ليس في الحقيقة الا تحقيق فردية Individuality

الوطنية وعى بالماضى ومحافظة عليه باتخاذها منطلقا نحو التجديد ... ان القبة هي الترجمة الاسلامية للهرم .

القبة هرم ترفق المصرى المسلم في بنائه فاستدار الخط بعد صلابه وثبات ...

وكالقبة ، المئذنة ... ان داخل كل مئذنة ، بسلة في الشكل والروح ... المئذنة قدمها على الارض وقلبها معلق بالمحل الارفع كما يقول الغزالي في الواصلين انها Sermon in Stone

والفنان المصرى الاسلامى كان يجمع الى قوته الموروثة سماحة الدين الجديد ورحمته فانطبع هذا في فنه حنيات واستدارة فابواب المساجد يزركش المصرى المسلم اعلامها وكأنه يحزن المستطيل ويعشق الخشب ويستنطق السطح بالفتش والنممة ...

كم هى بليغة لغة ابن البلد في لفظة (يعشق) . الخشب في مفهومه ارواح تتحاب وتتعانق وتعشق ... ان لغة ابن البلد في هذه (الحقة) ابلغ من التعبير الانجليزى Made with love على جماله ورقته ...

حتى المفاهيم العقائدية تلتقى فيها عصور مصر مع تجديدها ..
فلو تأملنا الآثار المصرية لرأينا (الجناح) يسيطر على خيال المصرى الذى رمز به الى الرحمة .. الى الانطلاق .. الى السيطرة .

ولهذا شاع في الفن المصرى القديم (القرص المجنح) حباً في
النور والحرية ، وتحسيناً بالشمس والجثاق ...

والقرص المجنح يقابل في الاسلام (بسم الله الرحمن الرحيم)
نفس الـ Sentiment وتسرب هذا عبر الاجيال الى نفس ابن
البلد فأصبح يقول ويؤمن (بمصر المحروسة) .

وهكذا نرى الحفاظ غير الجمود .. لقد أدرك المصريون برؤية
داخلية بصيرة ان الحضارة تحتاج الى زمن .. استمرار ...
حفاظ .. ان الحضارة لا تبني في جيل ... هنا اخترعوا
الكتابة .. العمارة .. التحنيط حفاظاً على الجسم من الزوال ...
وقد لاحظ شبنجلر في كتابه Decline of the West

ان الهنوكى يحرق الجثة والمصرى يحافظ عليها ويحفظها ..
وفي لغتنا اليومية لفظ « قيد » بمعنى اكتب واحصر حتى لا يهرب
المعنى .

والفكر المصرى من طبعه الحفاظ فهو يحافظ على قديمه ولو كان
Out of Modern لقد ظلوا يقولون ملك الوجهين حتى
بعد ان توحدت مصر وصارت كلا واحدا ... وفي المعبد مقاصير
الشمال تقابلها في الجانب الآخر ، مقاصير الجنوب انها الوحدة
المصرية يعبر عنها الحجر بالشعر الموزون .

ومع هذا كله ، مصر قادرة على التطور والتكيف فاعتنقت
المسيحية ثم الاسلام وكانت في هذا تصدر عن طبيعتها لا سيما وان
المسيحية والاسلام فيهما منها الكثير حتى ليصف جاك مارتان ،
الفن الفرعونى بأنه مسيحى النزعة والامل Christian in hope
كما اجمع اساتذة الفنون ، شرقيين وغربيين ، الذين راوا جامع
السلطان حسن على انه فن فرعونى ولو انه اثر اسلامى .

اعتنقت مصر المسيحية والاسلام بما فيهما منها . ان مصر حين
رمزت الى الخير والعدل والحق بـ (معات) كانت بطريقتها تقول
من خلال (معات) : (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه) .
لقد اعتبرت المسيحية مصر (الارض المقدسة) لوجود آباء
الصحراء فيها ... وعندما جاء الاسلام شربته مصر ونمت به ،
ونمت فلم يمح شخصيتها بل **أضاف اليها عمقا جديدا** وأضاف لها
فضلا جديدا يوم حملت مسئوليتها في **السلم والحرب** فدافعت عنه
في مواقفه الكبرى، وحمت حضارته التي تهددها هولاكو والصليبيون
نوق ما عملته له على أرضها برصيدها الكبير في صناعة الحضارة
مما لا يستوعبه كتاب محدود .

ان مصر قادرة على التكيف والتطور .. لقد أحبت مصر القديمة
الحياة حتى أنكرت الموت ولكن مصر المسيحية حين وجب الفساد
أحبت الموت حتى أنكرت الحياة واستشهد في سبيل المسيحية أبرار
سبقى شهادتهم رمزا للإيمان .

فمصر قادرة على التكيف والتطور حتى لتبلغ به أقصى المسمى
الذى يبدو للظاهر متناقضا وهى فى الحالى تنبع عن أصل واحد
هو طبيعتها السمحة القابلة للتطور . انه التوازن بين الثبات
والحركة ، الذى يقول عنه جوستاف ليون فى حديثه عن
« الحضارات الاولى » ، (ان قليلا من التسعوب من نجح فى
تحقيقه بل نادرا .. وأندر منه من احتفظ به ..)

وتختلف الأديان والعصور والمصرى يجمع فى كيانه هؤلاء كلهم ..
ان دنيا المصرى كمملكة الثبات عالم رائع له عقيل كلى كما
يقول اخوان الصفاء .

مصر خلقت نفسها كاله الشمس الذى خلق نفسه فى الاسطورة
المعروفة ...

وجودها شاهد على القيمة وانجازها دليل عليها ... والقيمة الأولى في تاريخها ، الفن .. الفن المصرى القديم فهو انجاز حضارى رائد .

أما القيمة الثانية في تاريخ الشخصية المصرية فهي الفن الإسلامى .

ان الشخصية المصرية = حضارة + ارتفاع فوق الاحداث كارتفاع المآذن فوق الطوابق + وعى بالقدس بوجود الله

مصر القديمة خلقت نفسها حضاريا

ومصر الإسلامية نهت نفسها

هناك خلق وهنا تحقيق نمو .

وميزة حضارة مصر ، الاستمرار وفى تكامل .

ان الحفاظ الحقيقى تنمية وتكامل .

مصر الإسلامية كانت القلب الرائع والنابض للطائر الذى يمتد جناحيه من جنوب الصين الى جنوب أسبانيا ..

ان رؤية مصر ، تختلف باختلاف الأفراد . فمن همم الطعام والشراب يرى مصر ، الوادى .. ومن يبحث عن ، المعنى فى مصر يخرج الى الصحراء .. أما مصر « الطموح » فهي ما بعد الصحراء حين تفرد جناحيها ويمتد نشاطها فيصل الى الشام شمالا ، والسودان جنوبا ، وليبيا غربا ، والبحر الأحمر شرقا ..

مصر هذه لعبت بالحجر والذهب .. صاغت الحجر وثقافته بالنقش واللون ، وشكلت الذهب وجملته بالثمينة والفن .

كم وشوشت مصر الحجر وأترعته أسراراً ومشاعراً فكان عملها لون من التطعيم الذى نحسبه قاصراً على الصدف

ان القاهرة أحظى عواصم العالم معماريا بأهراماتها ومعابدها
وكنائسها ومساجدها وفنونها التشكيلية .. وهى من الناحية
الحضارية أروع العواصم .

لقد عرف (جوته) العبارة بأنها موسيقى فى الحجر ... ان
عاصمتنا — من هذه الناحية — لحن رائع .

... ...

هذه هى شخصية مصر التى دخلت بها التاريخ ووضعت
بصمتها عليه شخصيتها التى هى وجود متميز معدود ومحسوب
وله قيم وثقافة بعينها ...

شخصية مصر كالعمود فى العمارة الاسلامية فاستقامة العمود
يترجم عن الخط الصابر الصامد ثم يلين فى انحناءة يستجمع بها
نفسه ويستمد العزم فى طريقه الى قمة .

ولا يرمز الى شخصية مصر كالنيل والمقطم انها حوار بين
الصخر والماء من يلاينها تعذب وترق كماء النيل ومن يتحداهما
تصلب كالصخر ... صخر المقطم . هكذا خلقت ... انها لقاء
خلاق وحوار الاق بين الصخر والماء ... حوار يدور فى النور .

ولا ينال من شخص مصر أو شخصيتها أخذها بمنطق الأحداث
... لقد تكلمت مصر العربية لأن الاسلام كان ينطلق فى المنطقة
من « كلية » معينة ... كان (وحدة) تريد أن تأخذ دورها فى
المنطقة .. وفى .. التاريخ .. ومصر قلب هذه المنطقة بلا ادعاء
أو تواضع ... قلب المنطقة فى العصور القديمة ، وفى المسيحية
... وما كان للقلب أن يغير مكانه فى الاسلام ... لقد أخذت
مصر دوراً منذ عهد عثمان ... ومن لا يغيب عن المسرح لا بد
أن يتكلم لغة الرواية التى تدور على خشبته .

لقد تمسكت فارس بلغتها بعد الاسلام وما ذلك الا لانها بموقعها بعيدة عن الأحداث وعن العيون الا أن تكون مصدر فتنة أو مؤامرة .

وهذه (الكلية) في الحضارات نادى بها أخيرا في العصر الحديث « سمطس » . . . فمصر حين تكلمت العربية لم يحدث فيها (انقطاعية) في حضارتها كما يقول الأستاذ الدكتور جمال حمدان في كتابه العظيم (شخصية مصر) مؤيدا رأى توينبى في المصريين المحدثين ومغايرتهم للتقدماء .

ان لغة الحروف ليست كل الصلة بالماضى .
هناك لغة التشكيل التى امتدت عبر العصور موحدة الاسلوب والنمط والاداء فى المعبد والكنيسة والمسجد . . . فى النقش والحفر والنسيج والنجارة . بل عادات ونظام الحياة .

اليس هذا كله امتدادا واستمرارا ؟

هذه هى مصر وليست كما يقول رينان فيما رواه عنه الدكتور حسين فوزى، فى حديث له عن أحياء البحر الأحمر والبحر الأبيض، ومضمونه ان مصر حينما يتعين عليها أن تلعب دورا يتصل بالنفع الانسانى العام تكون الضحية الدائمة . . . حيادها للنفع غيرها والروح الوطنى مقضى عليه فيها وسوف تحكم مصر بمجموعة دول متحضرة وبلاستغلال العلمى المنظم للعالم سوف توجه الانتظار الطموح الى وداى النيل !!

لا رد لنا على رينان فالعالم مملوء بعقول رينانية . كان النغز الى يقول : ان القلم على روعته ، أروع منه اليد التى تمسك به . . . وأروع منه الشخص المحرك الذى يملأ عليه . . . وانطلاقا من هذا المنطق الحكيم للإمام ، نقول ان أروع ما شيدته مصر :

« الشخصية المصرية » . التى استوعبت النصر والهزيمة ..
والازدهار والانحلال والصلابة والتسيب ، والعزة والقهر ...
عرفت مصر هذا كله ... واستقطبت مصر هذا كله وتحدثت مصر
هذا كله ... وتخطت مصر هذا كله .. ولم تكف عن البناء
والتشيد والعمل ...

العمل لا فى داخل حدودها فحسب بل خارجها اذا كانت
شخصيتها فى كل العصور تفرض عليها الامتداد فى اتجاهين :

* اتجاه رأسى أى الى أفريقيا والجنوب .

* اتجاه افقى أى الى آسيا شرقا وليبيا غربا .

ومن هنا يجب أن تكون دعايتنا فى الوقت نفسه دعوة لاقضية
... ان من يكتف باعلان انه مظلوم ، متسول انصاف لكن قيمتنا
فى استيعاب قيمتنا الحضارية .. فى فهم دورنا المعطاء .. وكثسه
العطاء الجديد الذى سيضيفه .

واستيعاب الماضى تحضير للعب الدور الجديد فى عملية صعود
الى المسرح ثانية استيعاب الماضى بوصلة قومية ترشد
بها الخطى وتعصمها من الضلال ...

كان قديمائنا يحرصون على تجليد المعبد أى اقامة سور من
الطين حوله حتى لا ترهق رهبته النفس أو تذهب الالة ، بهذه
الرغبة . ويبدو ان سور الطين نقلناه نحن حول قلوبنا فلم نعد
نرى فى الهرم والمعبد الا مكانا للنزهة لا للمعنى .

لقد ولدت مصر معبدا فلا تحولوها الى ملهى ... حرام ..

وقف عند الدولة العصرية

في محاولة كتابة التاريخ من جديد نقف وقفة عند الدولة العصرية التي نتنادى بها . . . وهذا النداء يتضمن الاتجاه الى الغرب باعتباره السابق ونحن نريد اللحاق به . . . ومن الطبيعي الاخذ بأحسن ما عند الآخرين . ولكن يجب أن نقف وقفة خاصة عند هذا الموضوع . فان الشباب يعيش في وهم كبير اسمه أوروبا ، حتى اذا أتيج لهم أن يذهبوا اليها ، وأن يعيشوا فيها ، شهورا وأعواما ، انسلخ البعض عن قومه ، ومزق الصراع البعض الآخر . ذلك الصراع الذي صورته الأديب يحيى حقي في قصته (قنديل أم هاشم) .

وغير الشباب لا تزال المجتمعات الشرقية من رواسب الاستعمار عندها (عقدة الخوافة) يقابلها عند رجال الدين المحافظة الشديدة التي تصل عند البعض الى حد التزمّت .

وفي صراع الدعوات والشعارات والآراء يعلو صوت الواقعية المادية والعلمية . ولست أرى من وراء هذا الحديث التهوين من قيمة الصناعة أو العلم الذي غزا الفضاء وترك بصمته على القمر . . أبدا ولكنني أريد وسط هذه التيارات الزاخرة ، أن

نتفاعل مع الحياة والحضارة الحديثة في تماسك يحفظ علينا
شخصيتنا المصرية العربية الشرقية حتى لا يجرفها التيار فتضيع...
ونكون كذلك الغراب الذى تحكى القصة على سبيل الرمز أو
الحقيقة ، انه استهواه مشية العصفور وقفزاته الرشيقية ،
فأراد أن يقلده بدون تفكير ، فأنتهى أمره الى مشية مضحكة
ذهبت مثلاً ...

كما أن المحافظة التى أعنيها لا تتعارض مع رغبتنا المخلصة
فى أن ننمى شخصيتنا ، وأن نطورها ، وأن ننفض عنها غبار
القرون والاحداث ...

لقد ظل الادب الانجليزى فترة طويلة من الزمن ، وعلى الاخص
فى عصر (بـوب) و(درين) متأثراً بالادب الفرنسى ، وكان
سوينبرن Swinburne شديد التأثر بالشعر الفرنسى كما
كان كارليل Carlyle متأثراً بأدب ألمانيا .

ولكن تأثر هؤلاء بأداب غيرهم لم يفقد أدبهم قوميتهم وذاتيتهم ،
بل زادت ثراء وعمقا .

وكان جوته شاعر ألمانيا العظيم يجيد اللغة الفرنسية الى حد
الافتقان — هذا الى اتقانه اليونانية واللاتينية — حتى قيل انه
تردد يوماً هل يكتب بالألمانية أو الفرنسية ، ثم أخذ يدرس
الادب العربى والفارسى . وفى السبعين من عمره طرح ثمرة
عظيمة هى كتابه الفريد الذى سماه (ديوان الشرق والغرب) .
وترجم القرآن الكريم ، بل لبس العمامة وارتدى القفطان ، وفى
أوروبا ، تشبهاً بحافظ الشيرازى الذى كان يحبه ويعجب به . ومع
هذا ظل جوته شاعراً ألمانيا صميماً يستلهم الشرق والغرب
فى آن . . . الصور شرقية والاحساس غربى . . . توغل كما
يقول أحد الذين ترجموا له ، فى هذا العالم الشرقى دون أن

يفقد شخصيته . فهو يتبع القافلة وهي تسعى على مهل في الصحراء ، ويسمع صوت الليل ونغماته الحزينة ، حول الغدران والينابيع ، ويصغى لهذا بانتباه ، بل قرأ ترجمة المعلقات في الانجليزية ثم حاول هو ترجمتها من تأثره بها وحاول فيما حاول من معطيات الشرق ، الكتابة العربية ليتغنى بالقلم العربى المسنون من القصب في مقطوعته (القلم) .

كان جوته خير رد وأبلغه على رد يارد كسيلنج الذى قال (الشرق شرق والغرب غرب وهيهات يلتقيان) .

لقد التقى الشرق والغرب بقيمهما في جوته ... في فكره وفي سلوكه في ديوانه الذى يقول فيه :

من حماقة الانسان في دنياه
أن يتعصب كل منا لما يراه
وإذا الاسلام كان معناه التسليم لله
فاننا أجمعين نحيا ونموت مسلمين .

فلذا أضيف هذا كله الى أدبه وثقافته الغربية ، نشأ من ذلك ازدواج موثق غاية التوفيق ، وكان بمثابة عهد جديد في الادب الالماني ، فان الشعراء المعاصرين من الالمان لم يلبثوا ان أخذوا يقتفون أثره ، وانصرفوا عن أناشيد الحرب والقتال ، لينشدوا أغاريد الشرق ، وكان أشدهم تأثرا بجوته ، أو (ديوان الشرق والغرب) الشاعران : ركر وبلاتين .

ومتى ظهر (ديوان الشرق والغرب) ؟ لقد كان هذا ما بين ١٨١٤ — ١٨١٩ في وقت كانت ألمانيا تتسعر فيه حماسة ووطنية كرد فعل لغزو نابليون لها .

هذه ألمانيا .. أما إيطاليا فان بعض الباحثين الغربيين يلمح

اثر العقيدة الاسلامية في البعث والاخرة ، في تصيدة دانتي :
الكوميديا الالهية .

التقى الشرق والغرب في الحضارة الحديثة التي يعزوها «وايتهد»
الى : اليونان وفلسطين ومصر . من اليونان فلسفة ، ومن فلسطين
المسيحية ، ومن مصر العلم والصناعة . أو قبل أوروبا تجمع هذا كله في
مدرسة الاسكندرية التي انتقل اليها مركز الثقافة من أثينا ، فمزجته
بتراث مصر الدينى والعلمى والصناعى حتى غدت « الهلينية » أى
فلسفة اليونان ، « هلنستية » ، بعد أن احتوتها الاسكندرية ،
وأضافت اليها ، لتؤثر بعد هذا فى الفلسفة الاسلامية ثم فى
الحضارة الاوربية .

كما استفاد الغرب فى مطلع نهضتهم من ايران ومصر والهند
وما وراء الهند واليونان . والواقع كما تقول الدكتورة سيجريد
هونكة فى كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) ، —
(ان التعصب الدينى وعدم التسامح كانا دائبا من أعدى أعداء
الشعوب فالعزلة عدو الحياة والتمو والتطور . ثم ان تبادل
الثقافة بين الشرق والغرب الى جانب الاحترام المتبادل الى التعاون
والتصافى أدى جميع هذا الى تفتق العبقريات . واذا تفاضينا عن
بعض حالات التشاحن والبغضاء التى وقعت بين العرب والاوربيين
احيانا ، فان تعاون الشرق والغرب سيكون خيرا وبركة للعالم
أجمع)

انى لا اميل الى تقسيم الأمم الذى ذهب اليه من الغرب
« ليون جوتيه » فى كتابه (تمهيد لدراسة الفلسفة الاسلامية)
و « دنكان ماكدونالد » فى كتابه (تطور الفقه ونظرية الحكم
عند المسلمين) ... ومن الشرق ، « الشهرستانى » .
ان الطبيعة البشرية واحدة فى عمومها على الاقل ... واذا كان
الشرق بحكم حضارته القديمة ، يتعامل مع القدم والقيم بطبعه

وطبيعته ، فان الغرب بعقليته التى تهوى التحليل والتعليل يتعامل مع الحسوسات ليصل عن طريق المقدمات الى النتائج ...

الشرق كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود ، فنان .

والغرب عالم .

والعلم كما نعرف وسيلى . . والفن غايى قيميى . .

وحين أقول هذا ، لا أنفى أن العلم قيمه بما يهذب من نفس الانسان الى حد تجريدها الى أفق الموضوعية .

وهو غايى بما يحرر الانسان من الجهل .

العلم يهذب ويجرد . . والفن يصفى ويقطر وجود الانسان لاستخلاص القيمة .

كان عالم الطبيعة « أدنجتون » يقول : المتصوف والفنان لا يقل موضوعية في تعريف الحقيقة عن العالم الطبيعى . . كما كان « اينشتاين » يقول : رؤية النبى والفيلسوف والعالم ، للحقيقة واحدة من زوايا مختلفة .

وهكذا لا تعنى المحافظة التى نحرص عليها أن الغرب شر كله ، فنحن أصدقاء الانسان في كل مكان . . ولكن الانسان المعطاء الذى يعلى الخير والحق والجمال . . . فبتهوفن بموسيقاه أنبل وأكرم ، وأسمى ، وأطهر ، وأشرف من تجار الحروب باسم الحرية تارة ، وباسم مناهضة الشيوعية تارة ، أخرى . . . تلك الخدعة التى كشفها شبابهم نفسه فثار ، عليها فى أوروبا وأمريكا ثورة عارمة أعلن عنها فى ملبسه وسلوكه وأسلوب حياته . وألف من بينه الجماعات المختلفة التى تمثل صرخته واحتجاجه ، كجماعات الهييز وجماعة (الكريشنا) التى تؤمن بالفلسفات الشرقية القديمة بعامة والهندية بخاصة ، وتدعو الى العودة الى روحانية

الشرق بعد أن أعمت الغرب أطماعه وأفقدته حب السيطرة بشريته ، وأورثته مجتمعاته تعاسة مرة على الرغم من الأضرار التي يضط عليها كلما أراد شيئاً فيتحقق بسرعة ، كأن كل زر منها خاتم سليمان الذي يعيش أمنية في خيال الظلماء والمحرومين في أساطيرنا القديمة .

هذه الأضرار التي جعلت الإنسان الأوربي في مجتمعه كأنه ترس في آلة ضخمة يدور معها معطل التفكير ، مسلوب الشعور ، ففقد في النهاية متعته وحيويته وسعادته ، إذ فقد الإحساس بقيمته وغناؤه عندما حلت الآلة محله في كل شيء ، وحرمته متعة الخلق الكامل .

وحين وجد الشباب الأوربي والأمريكي اليوم نفسه ضائعاً في مجتمعه يسير معه في طريق مسدود ، وقع فريسة للمخدرات والعقاقير هروبا من واقع مزير وحياة عقيمة ، إلى حالة من الاستغراق والاحلام آملاً أن تعوضه عن الإيمان الروحي الذي افتقده في ظل الشيوعية والرأسمالية على السواء .

وقد عقد كتاب (عصفور من الشرق) مقارنات طسوية بين الشرق والغرب في أكثر من ناحية .. وفي أكثر من اتجاه من اتجاهات التفكير والسلوك لا بأس من تأملها في هذا الوقت بالذات خاصة الشباب فالكتاب عصارة سنوات في أوروبا حين ذهب إليها مؤلفه شاباً للدراسة فحديثه هنا ليس انطباع اللحظة العابرة أو الملاحظة السائرة ولكنه حصيلة الدراسة والوعى المتأمل والمقارنة الحساسة .

والاستاذ توفيق الحكيم يستهل كتابه بحديثه مع صديقه الفرنسي (أندريه) عن الفرق بين الشرقى والغربى في النظر الى المعبود .
ان الغربى يدخل الكنيسة كما يقول أندريه كما يدخل القهوة

« هناك محل عام وهنا محل عام ... هناك الأرغن وهنا
(الأوركسترا) » ص ١٥

أما الشرقي فانه يعد نفسه لدخول المعبد كنيسة أو مسجدا
نهما في عينه « السماء » وليس من السهل كما يقول
« محسن » — الذى هو الكاتب نفسه — الصعود فى كل لحظة .
انه لجهود ...

شرق وغرب فى الحب الذى يعلنه الغرب فى أى مكان وإمام
أى عين حين يغالى به الشرق ويأبى (أن تعرض العواطف هذا
العرض ، فى الشوارع والطرق فتبتذل ، وهى التى ينبغى لها
أن تحفظ فى الصدور كما تحفظ اللآلىء فى الأصداف) ص ٤٨ — ٤٩
الحب فى الغرب على ككل شىء ولكنه فى نظر محسن
(احساسات عليا) وخفقة قلب ، ولهفة روح ، وتطلع عين ، وظمأ
شوق ، وتمن ورجاء ... ويأس ولقاء أو لا لقاء ... أهل كالنجم
يبدو حيناً قريباً وهو جد بعيد ... هذا العذاب يراه (محسن)
أحلى وأشهى ما فى الحياة .

فرق بين الشرق الذى يؤمن بالاديان وروحانيتهما وبين الغرب
الذى يؤمن بالعلم والمال وحدهما ...

ان ايمان الشرق العميق بالدين يمثله شهداء المسيحية وأصحاب
بدر ... وحين تسلم الغرب من الشرق الاديان (البسها أردية
موشاة بالذهب ، ووضع على رؤوسها التيجان المرصعة بالماس ،
واقبضها صولجانات الجاه والجبروت الأرضى ! ان الكنيسة فى
أوريا كانت — فى يوم ما — أعظم مؤسسة مالية ، وان نظامها
الرأسمالى لادق نظام . وأن ثروتها الطائلة لتسند ظهر أقوى البيوت
المالية ، وتقوضها اذا شاعت فى طرفة عين ، فأين ذهبت كلبة
المسيح ؟) ص ١٦٥ .

ان أوربا هى الوحيدة التى أعدمت فى يوم علماءها حرقاً ،
واتهمتهم بالسحر والجنون ، وخفقت حرية الرأى حتى فى شئون
الأدب والفن ، وجعلت من المسيحية التى تبشر بالمحبة والسلام ،
سلاحاً للفتك أمام محاكم التفتيش .

عرفت حضارات الشرق (العلم) و (العلم التطبيقي) الحضارة
التي تشيد الأهرام لا يمكن أن تجهل العلوم النظرية والتطبيقية ،
ومع ذلك فان ذلك العلم لم يفسد من الرؤوس زجاجات الصور
التي تمثل الحياة الأخرى ...

ان حضارات الشرق التى عملت للدنيا والآخرة حضارات
« كاملة » . أما الحضارة الأوربية بكل غرورها فقد قدمت للناس
بعض الراحة فى أمور معاشهم ولكنها أخرجت البشرية وسلبتها
طبيعتها الحقيقية وشاعريتها وصفاء روحها ... اننا بالقطارات
والطيارات كسبنا السرعة ولكننا خسرنا ثروة النفس التى تنمو
باتصالها المباشر بالطبيعة ...

* * *

والكتاب يعنى أن انسان الغرب عنده نزعة تحطيمية وهى عدم
الايان بقيمة أى قيمة ...

ان حضارة الغرب تدرس الاشياء لا الانسان ولهذا لم يكتشف
الانسان الى اليوم ...

ان مجرد وجود علم النفس دليل على أزمة الانسان المعاصر
المتشقق نفسياً .

تسود الغرب روح نهلستك أى روح عدمية .

وأوربا وأمريكا فى الحديث تقابلان التعبير التاريخى القديم
جريكو رومان .. أوربا تقابل الشق الاول : جريكو ، وأمريكا

تقابل « رومان » . فالأمريكان رومان العصر الحديث قوة وعضلات
وغشامة ... الأمريكى أمامه طريق طويل لكى يتحضر .. أنه
يملك المسال والنفوذ ولكنه لا يملك التراث أو الحضارة .. حتى
المسيحية التى جاءت من عندنا كانت أكبر منه فلم يهضمها ولم
يعرف قيمها العليا من محبة وسلام ...

نحن فى الشرق ومصر عندنا قدرة على التكامل تعادل قدرة
الإنسان الغربى على التجريد وهو عاجز عن التكامل ... عاجز
عن الرضا .. الطمأنينة ... السعادة الداخلية ...

الغربى عنده علم ووسائل .

ولكن ليس عنده غايات .

ولذلك يجدر بنا عندما نتكلم عن (روح العصر) أن ندرك أن
روح العصر هذه لها **بعدان فى الزمان والمكان** فروح العصر فى الغرب
عدمية تحطيمية ولكن روح العصر فى الشرق شئ آخر .. تفاؤل
وايمان واحساس بالتاريخ وبالقيمة ...

إنسان الغرب فى حاجة الى روح وهو ما أراد يونج أن يقوله
فى كتابه : **Modern man in search for a soul**

والكاتب فى (عصفور من الشرق) ينتقد النظام الصناعى الذى
أوجد النظام الرأسمالى وينقد أسلوب التفتيت فى الصناعة الذى
ذهب بمتعة الخلق الكامل وأورث العاملين ملالة التكرار واستشهد
بنقد أبناء الحضارة الاوربية أنفسهم لها مثل الكاتب الانجليزى
(الدوس هكسلى) الذى يصف حضارة أوربا بأنهاكم لا كيف ...

كما نقد الكاتب (الشيوعية) على لسان صديقه الروسى الذى
يقطع بأن جنة الفقراء لن تكون على هذه الأرض .. وأن
المساواة لا يمكن أن تقوم على هذه الأرض ... لقد عرفت أديان

الشرق النفس الانسانية ففتحت لها ابواب السماء التى بشر بها
انبياء الشرق .. جزاء للصابرين ومن حسنت أعمالهم .

ولكن « الغرب » أراد هو أيضا أن يكون له انبياءه ، الذين
يعالجون المشكلة على ضوء جديد ، وكان هذا الضوء منبعثا هذه
المرّة من باطن الارض ، لا آتيا من أعالي السماء ... هو ضوء
العلم الحديث ... فجاء « كارل ماركس » ومعه أنجيله الارضى
« رأس المال » وأراد أن يحقق العدل على هذه الارض فقسم
« الارض » وحدها بين الناس ونسى (السماء) فماذا حدث ؟
حدث أن أمسك الناس بعضهم برقاب بعض ، ووقعت المجزرة
بين الطبقات تهافتا على هذه الارض .

وكأنه لقي تفاحة بين أطفال يتلمظون !

وكأنه هذا الكارل ماركس لقي قنبلة المادية والبغضاء واللهفة
والعجلة بين الناس ...

أما انبياء الشرق فقد ألقوا زهرة (الصبر والامل) فى النفوس .

ان روح (المسيحية) كما نبتت فى الشرق : هى المحبة والمثل
الاعلى ... وروح (الاسلام) الايمان والنظام .. ومسيحية اليوم
فى الغرب هى : (الماركسية) .. أما اسلام العصر الحديث فى
الغرب فهو (النازية) .

تلك هى الديانات التى استطاع الغرب أن يخرجها للناس يوم
أراد أن يزاحم الشرق ويخرج للعالم أديانا .

فى كتاب (عصفور من الشرق) روح اشتراكية خيرة فى غير
عنف ، عادلة فى غير تعسف أو تخريب . فهو يحلم بالسلام والحب
والرخاء للجميع وينفر من رق رأس المال وتحكمه ...

(ان الغرب يستكشف الارض ، والشرق يستكشف السماء ...
اننا نجد ذلك الذى اسكن الانسانية (قارة جديدة) لكننا لانرى
مجد ذلك الذى اصعد الانسانية واسكن الانسانية « السماء » .

ولا يعنى هذا تفضيل الكاتب الشرق على غلاته فقد احاط
بضعفه حين استسلم للاستعمار كما أنه لم يتردد فى الاشادة
بالغرب كلما وجد موصفا ...

فالمسرح فى الغرب ليس كذلك الذى وصفه عفدنا المويلحى فى
حديث عيسى بن هشام ، ولكنه مسرح يخيم عليه سكون قدسى
كسكون المعابد .

وموسيقى بيتهوفن ان هى الا (وحى السماء يتكلم بمختلف
المشاعر العظيمة التى رفعت الانسانية الى هذه المرتبة) . ويؤمن
على كلمة « نيتشه » فيه (كل العواطف البشرية السامية فى
السيفونية الخامسة) .

وهناك عصفور من الغرب يجب أن يقرأه الشباب ليستردوا
ثقتهم بأمتهم . أعنى كتاب (شمس الله تشرق على الغرب)
للدكتورة سيجريد هونكه وهو كتاب عالى لو لم يكن علمى المنهج
والتفكير والأسلوب لما استقبلته اللغات والشعوب هذا
الاستقبال .

ما هى دلالة المظاهرات الصاخبة التى تقوم فى أشد بلاد أوربا
تقدما ورقيا ، ان هذه الظاهرة تعنى افتقاد هذه البلاد للروح ...
لا أعنى ان هذه العبارة تنسحب على كل من فيها ... ان الانصاف
يقتضينا أن نقول أن طغيان المادة فى أوربا لم يطمس كل شئ
فيها كما ان الايمان فى الشرق باعتباره مهبط الاديان السماوية
كلها لا يسرى فى كل قلب ولا يلهم كل نفس حتى وان أدت

الفرائض في ميكانيكية آلية فكم من صائم بيننا ليس له من صيامه
الا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من صلاته الا القيام
والقعود .

ان الدين حسن الخلق وأن الاعمال بالنيات وأن أنفع الناس
أنفعهم للناس وأن العمل عبادة وأن التفكير فريضة اسلامية لانها
فريضة انسانيه وان الانسان اكرم المخلوقات وان احترام العقل
الانساني واجب ديني فهل ندرك هذه المفاهيم ونقدرها حق
قدرها ؟ هل نطبقها في حياتنا على المستوى الفردي والمستوى
العام ؟

اننا نبسمل كثيرا ونحوقل ونشيع العبارات الدينية في حديثنا
حتى ليخيل الى من يرانا أن اطرافنا تقطر تقوى ولكننا في بلاد
القبليين والمسجدين والانبياء والرسالات نجد أن الاعم الاكثر من
المستشفيات والملاجئ والمدارس من عمل الحكومات لا الافراد
الخيرين . . ان أعظم عمل يقوم به الفرد الغنى منا في نظر نفسه
اذا هزته اريحية أن يبني مسجدا والمساجد كثيرة والاسلام لم
يحصر العبادة بين جدران أربعة .

ولو فتشت في التاريخ لوجدت أن عصر بناء المساجد الكثيرة هو
اشد عصور التاريخ الاسلامي ظلما وعسفا واستبدادا
فأكثر مخلفات الممالك في مصر كانت المساجد ، والممالك
هم من هم ، كما نعرف ، في الجور والنهب ، والسلب ،
واستباحة الأنفس والأموال فبنأؤهم المساجد ما هو الا تغطية
أو تكفير عن الذنب .

فنحن في سبيل الاحتفاظ بال نظرة الموضوعية وتوازن الشخصية
الفكرية يجب الا نعمم الآراء بغير استثناء والا نطلقها اطلاقا
مسطحا يحجب الاعماق ويحجب معها حقائق كثيرة .

نحن نشكو اليوم من أمية العقل ونففل عن أمية أخرى لا تقل عنها خطرا وهي أمية الشعور .. حين تعمر أوقافنا بالأمس القريب والبعيد بلفتات إنسانية مضيئة فهناك وقف على الخدم الذين يكسرون بدون عمد آنية مخدمهم وهناك وقف على الحيوان لأنه أعجم لا يبين وكثير غير هذا مما ينم على رهافة الشعور وشغافية النفس .

أقول هذا حتى لا نستقيم الى القول بأن الشرق روح والغرب مادة ففى ذلك الغرب أمثال اللورد نافيلد الذى أنفق الملايين حقيقة لا مجازا على إقامة المستشفيات والملاجىء ووجوه البر الايجابية .

وفى الغرب المادى أمثال العالم الفرنسى جان رويستان الذى أثبت فى أبحاثه وجود عالم الروح وأعلن عن وجود قوة خفية تسير الكون .

وفى الغرب المادى متصوفة مثل سويدنبرج يلتقون بالحلاج ورابعة العدوية .. وفى الغرب المادى زهاد كابى العتاهية يصلح شعرهم الروحى غذاء للنفوس كالشاعر الانجليزى وليم بليك .

وفى الغرب المادى أسر كبيرة وكثيرة تحافظ على أداء الفرائض الدينية محافظة دقيقة بل فى الغرب أسر تنذر أحد ابنائها لله فتجد قسسا ورهبانا ينحدرون من آباء ذوى مراكز مدنية مرموقة .

وأسر أخرى محافظة لا تسمح بالاختلاط المفتوح على مصراعيه ولا تبيح الجلسة أو الرؤية الا فى نطاق الاسرة أو وجود أحد المحارم . وقصة اقتران لويس هاستور بزوجه خير شاهد على هذا .

ان ستيفان زنجيج فى مذكراته يعزو رقى العلم فى فرنسا الى

الزوجة الفرنسية فهي بما تبذله من ذات نفسها لتوفير الراحة
لزوجها انها تمنحه السلام النفسى الذى يعينه على الانتاج والعطاء.

ولكننا ننسى هذا كله أو نتناساه ولا نذكر للمجتمع الغربى الا
الخلاعة المحصورة هناك فى مناطق معينة والا نظام التسرى الذى
مكن له هناك استحالة الطلاق حين نفعل أخطاءنا وأحيانا عن عمد
بدعوى الوطنية مع أن المرء مرآة أخيه

اليسست النظافة فى ديننا مقرونة بالإيمان بل هى منه حتى ليخيل
الى من يقرأ النصوص والتعاليم أن الدين سدها ولحمته النظافة
والحياء فهل نحن حريصون على مظاهر النظافة حتى فى أنفسنا ؟
هل من الحياء فضولنا غير النافع الذى يدس أنفه فى ثقب كل باب
وينفق من وقته فى جمع الاخبار الصغيرة ما لو أتفقه فى تحصيل
علم أو جنى معرفة لأثرى شخصياتنا فتغير الكثير من أساليبها فى
الحياة وتعديل تبعا لهذا التغير الكثير من مفاهيم مجتمعاتنا وأختنى
الكثير من أمراضنا الاجتماعية وتقدمنا خطوات نحو حياة أفضل ؟

ان تقديس العمل واجب ، كما أن تقدير العاملين واجب أيضا
فهل نحن وذوو المرتبات منا خاصة يلتزمون الامانة الواجبة فى
تأدية أعمالهم ؟ وهل عندنا نظام الحوافز الذى يكافئ الجهود
المخلصة ويستحث الجهود التى على الطريق ؟

ان الذين رأوا منا الغرب على الطبيعة وتعمقوا الاشياء
والدلالات عرفوا كيف يميزون الحدود . الفاصلة بين الخير فيه والشر
وعرفوا كيف يأخذون أحسن ما عنده ويضيفونه الى أحسن ما عند
الشرق لينصلح أمره . ويبصر طريقه فى غير تثبط أو تضليل من
دعاوى استعلاء أو غرور .

ومن هنا قامت نهضة الشرق على اكتاف رفاعة الطهطاوى وجمال
الدين الافغانى ومحمد عبده ثم على اكتاف تلاميذهم من بعدهم .

بل أن الشيخ محمد عبده كان يقول بعد أن عاش في الغرب حين كان يحرر (العروة الوثقى) في باريس :

(إن أهل أوروبا هم مسلمو هذا العصر .. أما نحن فكفرتهم) ..

قد نكون معذورين في نظرنا إلى الغرب بمنظور أسود فان الاستخراب ولا أقول الاستعمار قد لوث فكرتنا عنه وأورثنا البغض الشديد لكل ما هو غربي — وإن كان بعضنا يقف في الطرف الآخر متحمسا لكل ما هو غربي كرد فعل ، أو لون من الجمع بين الشيء ونقيضه ، أو لاعتبارات شتى من نوعية الثقافة أو النشأة . قد نكون معذورين ولكننا في مقام تقويم أنفسنا وتمييز ذاتيتنا يجب أن نحرر أرواحنا وعقلنا من أسر النظريات الشائعة والأقوال السائدة ونعيد النظر في كل شيء في موضوعية وتجريد علمي نزيه .

إن ابن البلد عندنا فلسفته أن يتعامل مع الوجود بغير بحث مكتوب .. أسلوب حياة ... وهو يكره التعقيد والتقليد ويجمع هذا قوله لحدثه إذا تقعر أو تشدق : بلاش فلسفة وهو يعني بلاش بغبة ...

إن داخل كل إنسان مبدأ للحياة ، قد يولد إنسان ويموت دون أن يكشفه ، ولكن هذا لا يعني أنه غير موجود ... وواجبنا أن نعين النشء على الانبعاث السلوكي على مستوى الأفراد ، ونعين الأمة على الانبعاث السلوكي على مستوى الجماعة ...

ومن هنا يتحدد موقفنا من حضارة الغرب ... بمعنى أننا نستطيع أن نبتعين بعلوم الغرب وفلسفاته وبالوسائل الحضارية دون أن نفقد ذاتيتنا . فرجلهم (يونج) يقول (لا يمكن للإنسان أن يصير غنيا بالاستجداء) ...

إن التعارض بين الشرق والغرب ، فات وقته كما يقول الأستاذ مريت غالي (لأن تعارضا أخطر قد برز في مقدمة المشاكل العالمية)

هو الناتج عن مسافة الخلف بين البلاد الشمالية المتقدمة والثرية، والبلاد الجنوبية المتخلفة والفقيرة ، وما التعارض بين شرقنا وغربنا في حوض المتوسط سوى جزء من ذلك التعارض العالمى بين الشمال والجنوب ، الذى يتوقف على حله مستقبل الجنس البشرى وانى اوافق تهما على أن ثنائية الشرق والغرب قد فات وقتها ، ونحن على أبواب القرن الحادى والعشرين) .



نريد أن ننظر الى الحياة نظرة مستقبلية لا تجذبها الى الخلف والتخلف سلاسل' الاوهام . . وذلك من أجل مصلحتنا نحن قبل الآخرين . . .

لنسال انفسنا : كيف نعيش ؟

ليس من عيش كمن يحيا

كيف نعيش ؟ نحن في طريقنا الى تصحيح وضعنا السياسى من دول الاستعمار ، وتثبيت وجودنا الحضارى بين دول المدنية الحديثة في حاجة الى تصحيح كثير من الاوضاع الاخرى واعادة تقييم كثير من المفاهيم والعادات والتصرفات في حياتنا ..

نحن لا نحيا حياتنا كما يحيا الناس .. ان كثيرين منا لا يعرفون معالم بلادنا كما خلقت للسياح وحدهم ... وذلك ان الفرد العادى يتبع عقله عينه فهو لا يفكر الى ابعد مما تنظره تلك العين ... انه يؤدي عمله المائل امامه في رتابة مملة لا تجديد فيها ولا ابتكار ولا فن فاذا فرغ منه عاد الى بيته مكدودا من الخمول لا من التعب ، او انحط على كرسى في مقهى يحتسى الشاي ويلعب الورق ... ولو انتشرت في مدننا الحدائق العامة والنوادي الخاصة والمسابقات الرياضية والفنية ، والندوات الادبية واللقاءات العلمية لتغيرت نظرنا الى اوقات الفراغ وتغير اسلوبنا في العمل ايضا .. ان الاصحاء في البدن والعقل يجدون ويلعبون ويضحكون ويتمتعون باطياب الحياة التى اخلقها الله .

ان الرياضة لعب .. وركوب الخيل لعب ، والسباحة لعب ،

وان الضحك يجدد شباب القلب ويلون الحياة بلون وردى فينشط
الانسان بعده للعمل .. والعمل الجاد اذ وجدت عنده الطاقة له
والقدرة عليه ..

ان السفر والرحلات متعة وثقافة معا .. كم من الاسر عندنا
يعيشون حياتهم على هذا النمط .. بل كم من الاسر يخرج افرادها
معا ويتساوون في الحقوق والواجبات ، ويتعاونون داخل بيتهم
الواجد !

كم بيتا من بيوتنا فيه مكتبة للقراءة وفيه آلة موسيقية يعرف
عليها هاو من افراد الأسرة ؟

لقد رأيت أيام الاحاد في البلاد الاوربية اياما مقدسة فيها الصلاة
في الكنائس وفيها الصلاة في محراب الطبيعة .. مهرجانات ورحلات
بالزوارق في البحيرات وقطارات تغدو وقروح بهواة الصعود الى
قمم الجبال .. والمطاعم ليس فيها مكان خال لان الكل يريد تغييرا
شاملا .. يريد أن يقضى يوم الاحد كاملا في الخارج ينتقل من متعة
الى متعة .

كيف نقضى نحن يوم الجمعة ؟

اننا لاينقصنا الصناعات بأنواعها من خفيفة وثقيلة بل ينقصنا
وفي المقام الاول أن نعرف كيف نعيش .

واذا لم يكن في استطاعتنا أن نطيل أعمارنا أكثر مما قدر لها ففى
مقدورنا أن نجعلها أغنى ، وأعمق ، وأجمل ، وأهنأ ، وأبقى
أى نعيشها بالعرض ... أن نملا كل دقيقة من حياتنا بالبهجة ،

الضحك من القلب بهجة ، وادخال السرور على الناس بهجة ،
والعطاء ماديا وفنيا بهجة ، والخلق بهجة ، وتذوق الجمال والفن بهجة ،
ومنح الحب بهجة ، واقالة العثرة بهجة ، والقراءة بهجة ، والرحلة

فى الارض بهجة وكذلك الرحلة فى النفس والرحلة فى الزمن ،
والرحلة فى الماضى .

الانتصار للحق بهجة ، واقرار العدل بهجة ولو انها غالية
التمن ...

كم من مباهج تزخر بها الحياة ولا يراها بعض الناس .
ولكن هذه المباهج غذاء للروح فماذا عن الجسم؟ ما هو اسلوبنا
فى الطعام ؟

لقد قلت ان المطبخ المصرى آفة من آفات الشخصية المصرية
فماذا نأكل وكيف نأكل ؟

وليس المقصود بالاكل ملء البطون بالطعام والشراب فذلك
لا فنى فيه ولا خير منه .. ولكنى أقصد بالاكل نوعيته لاحجمه ...
الكيف لا الكم .

ان المقصود بالطعام ان يكون غذاء اى يحتوى على عدد معين
من السعرات الحرارية ويحتوى على نسب معينة من النشويات
والسكريات والدهنيات بحيث تمد الجسم بالطاقة المطلوبة له .
فهل يخطر ببالتا هذا كله ونحن نعد طعامنا ثم نتناوله ؟ أم اننا
ننشد أولا حسن المذاق ؟ ولذة الطعام ؟ هل نأكل مثلاً فى مواعيد
ثابتة لا تتداخل ولا تختلط ؟ هل نتبع نظاما معيناً ؟ هل نلقن صغارنا
آداب المائدة وأسلوب المؤكلة وكيفية استعمال الأدوات المختلفة؟

لقد جنى علينا فى سائر البلاد العربية تقريبا المطبخ التركى
بدسمه ولذائذه التى تحمل فى ثناياها كثيرا من امراض المعدة
والكبد ونحن نعلم جيدا قول النبى صلى الله عليه وسلم (المعدة
بيت الداء والحمية رأس الدواء) وقال فيما يتصل بقواعد الطعام
(نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا اكلنا لانشبع) وهى قاعدة

صحيحة لا تخيب .. ومن العجيب ان علماء التغذية لم يزدوا عليها شيئاً بعد بحوث طويلة حصيلتها في النهاية عدم انزال طعام على طعام وعدم الامتلاء ..

ان امراضنا كلها لو حللتها ترجع الى : افراط التغذية أو ضعف التغذية أو سوء التغذية وما يتصل بهذا كله من عادات سيئة تتفشى فينا .

لقد رأيت في سويسرا عددا كبيرا من المسنين الذين يتجاوزون السبعين وهم منتصبو القامة . منتظمو المشية ، نشيطو الحركة .. لا يزالون متفتحين للحياة ولهم فيها مشاركة ايجابية . بل اننا في احدى الرحلات الليلية على البحيرة اخترنا نحن أن نأخذ مكائننا داخل الباخرة حين كان رجال ونساء في سن آبائنا بل أجدادنا يجلسون على السطح في الهواء الطلق كما يقولون ... ومن الطريف أن هذا الهواء الطلق كنا نسميه نحن بردا قارسا .

ان هذه الصحة سرها كله في نظام طعامهم الصحي الذي يعتمد على الخضروات الطازجة والفواكه والمسلوق ...

تري هل نأخذ عبرة ؟ مع أننا نعيش في جو حار ، وأرضنا تجود فيها الخضر والفاكهة على مدار السنة ؟

* * *

هذا عن أنفسنا . ونعود الى السؤال مرة أخرى متصلا بأولادنا . كيف نعيش في أطفالنا ؟ أي ماذا نعطي لأطفالنا ؟

هناك يعطون للطفل الكتاب المصور ، والصور الملونة ، واللعب الموجهة التي يجد متعته كلها في فكها وإعادة تركيبها ... يعطونه الطعام الصحي لا الدسم ... يعطونه الحنان الرشيد لا الضار الذي يفسد شخصيته ويجعلها اتكالية وشديدة الحساسية من فرط ما ألف من التدليل والاستجابة العمياء التي هيئات أن يعثر عليها في الحياة العامة عندها يصبح رجلا أو امرأة ..

هناك يعطون الطفل البرامج الجميلة والافلام الخاصة ويعطونه العلم مدروسا ومشوقا .. هناك القواميس الملونة الخاصة بالاطفال ودوائر المعارف الخاصة بالاطفال ودوائر المعارف للزهور والنباتات .. كل شيء هناك مدروس من أجل الطفولة ...

أمامي منهج المحفوظات الانجليزية الموضوعة لاطفال السنة الثالثة بالمرحلة الابتدائية ... وجدت فيها مثلا هذه القطعة عن (عبور الطريق) وترجمتها :

قف وانظر واسمع
قبل أن تعبر الطريق
استعمل عينيك وأذنيك
ثم استعمل قدمك .
انظر يسارا ويمينا
عندما يكون الضوء أحمر قف
عندما يكون الضوء أصفر استعد
عندما يكون الضوء أخضر سر آمنا
وقطعة أخرى تقول تحت عنوان : (بذرة البرتقال)
لا ترم أبدا بذرة البرتقالة
على الأرض أرجوك
ان قطعة منها تحت كعب
قد تكسر قدما

بدون تعقيد .

هكذا يعلمونهم الحياة والسلوك بدون خطابية :.. وفي سهولة
وفي كتاب آخر خاص باللغة رأيت فيه كيف يعلمون الكلمات
الانجليزية بالشعر الخفيف مثل : ضع حرف كذا مع كذا فيصبح
عندك قطا .

وضع حرف كذا مع كذا فيصبح عندك كرة .

ومع هذه المسميات صورها ملونة وفي أوضاع مضحكة تسر
الطفل وتسليه .

هكذا يعلمون لغتهم حين نبدأ نحن تعليم لغتنا لأطفالنا بالنحو
ونلقنهم في جدية صارمة أن الكلمة تنقسم إلى اسم وفعل وحرف
فإذا وصلنا إلى (الجملة) فلا نجد في لغتنا التي نطنطن بغناها
ووفرة مفرداتها إلا هذه الجملة التي لا تتغير كأنها تحفة :
(ضرب زيد عمرا) !!

وهي سيئة لفظا ومدلولا وأثرا في نفوس طفلة سهلة الالتقاط
والانطباع .

ثم نلوم أولادنا ، كبارا ، على تصرفاتهم ثم على نفورهم من
دروس اللغة العربية !!

لخص الاستاذ سامح الخالدي عيوب التعليم في مؤتمر الدراسات
العربية سنة ١٩٥١ فإذا بهذه العيوب لا تزال مُموسة اليوم أي
بعد ربع قرن تقريبا . وما قاله عن مدارسنا في البلاد العربية بعامة
أن (التدريس فيها ميكانيكي يعتمد على ذاكرة الطالب في الدرجة
الأولى . والاعتماد على الحفظ هذا من ميراث عصور الانحطاط
خاصة . كما أن الفرد فيها مهمل ، فشخصية الطلاب مضغوط
عليها ، ولهذا تؤلف وحدات مكبوتة ، وقد شل فيها ابتكار الطالب
وتفكيره الحر الطليق وخياله . والروح الرياضية الحقّة معدومة
فيها ، فاللاعب تلعب للقلبة ، وما زال الفرد فيها هو المهم ،
وما زال الجمهور يصفق للفرد اللاعب فيها لا للمجموع . كما أن
التربية الدينية الحقّة المثلثة في المثل العليا لا وجود لها . فالدين
مفهومه الحقيقي لا يؤثر تأثيرا فعالا في حياة الطلاب من الناحية

الخلقية . والتدريس الدينى سطحى ، والروح الدينية التى تدعو الى مكارم الاخلاق ، والى انصاف الناس والتزه عن الصغائر مفقودة . وكتب الدين سقيمة لا تفى بالمراد ، ولا تنمى هذه الانظمة الشعور الوطنى ، اى شعور التمسك بالوطن والاستعداد للتضحية من اجله ... الخ) .

واضيف ان من عيوبنا التركيز على الكلمة وحدها واهمال الصورة ... والصورة المقصودة الـ Image بعد ربع قرن تقريبا اى الصورة المحسوبة ثقافيا .

يجب ان نتجه الى التعليم الموضوعى للطفل بالصورة ... بلغة المنظر . فنعرض له بالصورة الطبيعية الملونة ، **الحيوان** (كموضوع) فى جميع العصور والمناطق : فالحيوان هو (الحياة) والله يسمى الدار الآخرة (الحيوان) اشارة الى الحياة الاخرى .

يجب ان ننفض عن اطفالنا تراب العادة والمفاهيم الثابتة .

موضوع **العمارة** فى جميع العصور والمناطق (معبد ، كنيسة ، مسجد ، ملعب ، متحف ، مدرسة ... الخ) .

والعمارة رمز المدنية والمدينة لانها تساوى الاستقرار .

العمارة مسرحية متعددة الشخص والارواح .

موضوع **الآلة** اى **العلم والصناعة** فى الفن والحياة مثل ظهور السينما — الكاميرا — التلفزيون — الآلة .

التعليم الموضوعى للطفل نقسمه الى ثلاثة اقسام :

١ — **ما قبل الحضارة** — ويمثله عالم الحيوان .

٢ — **اكتشاف الحضارة** — وتمثله العمارة .

٣ — **الحضارة فى خطر** — وتمثله الآلة .

يكفى أن يعرف الطفل بعد عرض الكثير ، أن هذا جزء من الممكن
ليصير عنده احساس بالندم على يخرج منه تولستوى آخر أو
غزالي آخر . أن الفن أسلوب في رؤية الوجود وليس (فورم) .

أما المعلم فيجب أن يكون موجها فالمعلم الملحن يحجب العمل
الفنى كما أثرت . وخير وسيلة للتعليم كما يقول تولستوى هي :
العمل .

هناك يلجأون الى طريقة الحفز في التكليف بالواجبات كأن يقول
المدرس لتلاميذه : كل منكم يعمل في المساء ساعة في الحساب في
باب كذا .. ولا يحدد عدد المسائل ، فالذى يحدث عادة أن كل
طالب يحل عددا من المسائل أكثر كثيرا مما يملأ ساعة ، اظهرا
لقدراته وتسابقا مع زملائه ، وارضاء للمدرس .. يفعل هذا
الطالب وهو راض ، بل مزهو ، لأنه يشعر أنه يعمل بمحض
اختياره وهو في الحقيقة مدفوع دفعا غير منظور ..

السنا بحاجة في سائر المجالات الى أسلوب الحوافز بدلا من
أسلوب الامر والنهى الذى نهواه جميعا ، ونبارسه بمجرد أن
تسنع فرصة ، وليته يجدى فنان الذى يقرأ مذكرات النابيين منا ،
أو من غيرنا يروعه أن الاوامر والنواهى التى وقفت في طريق
هواياتهم ، سواء في الاسرة أو في المدرسة أو حتى في الحياة العامة ،
لم تنههم عن عزمهم بل زادتهم اصرارا ، واشعلت رغبتهم . فتوفيق
الحكيم أراد أبوه أن يكون قانونيا ، لا أدبيا فنانا . وتوفيق الحكيم
بدوره أراد لابنه اسماعيل أن يكون مهندسا ، فاذا به اليوم عازف
جيتار وقائد فرقة موسيقية . والموسيقار القصبجى أراد له
أبوه أن يكون عالما في الازهر لا موسيقيا .. والدكتور طه حسين
أراد له أبوه أن يكون عالما في الازهر ، فاذا به يشور على نظم
التعليم فيه في ذلك الوقت ، ويتجه الى الجامعة المصرية ويتعلق
بها طالبا فاستاذا فعميدا ..

لقد وصل هؤلاء حقا الى بغيتهم ، ولكن بعد تبديد طاقات كثيرة في المقاومة ، ومحاولة الملازمة والمواظبة بينهم وبين مجتمعاتهم الصغيرة والكبيرة ، لو وفرت هذه الطاقات لتسير في طريقها الاثير عندها ، لبكر عطاؤها وتضاعف .

ولكن تغيير اسلوبنا لا يأتى عفوا ، بل يجب أن يبدأ من البداية أى من البيت والمدرسة ، فإن مفاهيمنا في التربية ، ومفاهيمنا في التعليم ، آفة من آفات الشخصية المصرية .

ان الطفل هو الانسان الجديد الذى لم يزيغه الكبار . والنظرية التى تقول ان كل انسان يحتوى كيانه فضلا من أى نوع ، نظرية صخيخة تربويا وديمقراطيا . . فلماذا نصر على القاء التعليمات ونسرف فيها ؟ لماذا حين تستبد بنا شهوة تغيير شىء في الطفل ، لا نسأل انفسنا كما يقول « يونج » عملا اذا كنا نحن في حاجة الى التغيير لا هو ؟

ان الإنسان صغيرا أو كبيرا في حاجة الى « السيادة » . . ان يكون سيد نفسه أى قادرا على العطاء محققا لذاته . . . حتى للقرآن والانجيل يجب حين نقرأهما أن نسمعهما من « الداخل » ، في عملية تجديد الفكر الدينى كما يقول « اقبال » ، فان توكيد الروح الذى سعت اليه المسيحية يتحقق لا باستبعاد القوى الخارجية التى تخترقها أنوار الروح بالفعل ، وانما يتحقق بتنظيم علاقته الإنسان بهذه القوى الخارجية ، على هدى النور المنبعث من العالم الموجود في أعماق نفسه . . بمثل هذا الأسلوب تربى المدرسة ، شخصية الطفل حين تثبت فيه وعيا خلاقا للقيمة والا أخرجت منه فردا مكررا ضائعا في الزحام . . وفسرق بين الفردية والشخصية .

الشخصية تولد طفلة ثم تنمو ، غداؤها العلم والتجربة
والحياة ... وهى قابلة للنمو الى غير حد ...
أما أسلوب التلقين المتبع فى مدارسنا فانه يصنع قوالب
لا شخصيات . واذا كان ناقل الكفر ليس بكافر ، فان ناقل العلم
ليس بعالم ... وانما العالم هو الخلاق المبتكر .

الشخصية هى الذات الساعية الى تحقيق ذاتها بالخلق .
الشخصية تكامل لامكانات البشر أى . غريزة + فكر + روح
أى بشرية محققة .

يقول الدكتور أحمد زكي فى مؤتمر الدراسات العربية الذى عقد
ببيروت سنة ١٩٥١ والذى طبع فى كتاب العرب والحضارة
الحديثة .

(ان التعليم عندى مفتاح كل مفلق من مغلق الحياة ، فى شرقنا
هذا العربى . ولو ائنى خريت بين أشياء كثيرة يعطاها العرب ،
با اخترت المال ، ولا اخترت الاستقلال ، ولكن اختار التعليم
يشمل ويعم ، فهو الوسيلة الى المال ، وهو الوسيلة الى
الاستقلال ، وهو الوسيلة الى فتح كل باب مفلق يتدفق منه
الخير كثيرا وفيرا ...) .

ولكن أى تعليم ؟

هل تعلم المدرسة المصرية والعربية ، الطفل حب الطبيعة
باعتبارها **الأم الكبرى** التى تتطلب منا نحن معشر الابناء أن نبحت
وندرس ونتأمل ونتحرك ساعين فى الارض ، متحدين للعوائق فى
اعتماد على النفس ؟
الطبيعة أم ومعلم ومرب ...

أم لا تفطم وليدها ، لانه لا وجود له خارج رحابها ، فالشاعر

العربى حين صور الشمول ، لم يجد الا مظهرا من مظاهرها فقال
لمدوحه القادر عليه :

فمايك كالليل الذى هو مدركى وان خلت أن الفتأى عنك واسع
ليت المدرسة تعلم الطفل أن الطبيعة كتاب الله الصامت ،
كما أن القرآن كتاب الله المقروء .

والقراءة فى الحالىن أو الكتابين ، تتطلب النور الماسدى لرؤية
الحروف . وتتطلب أكثر النور المعنوى لرؤية ما وراء الحروف .
لرؤية المعانى الحقيقية . والنور المعنوى هو الرغبة والشوق
والحماسة ... انها كالزواج قبول وإيجاب ... كثيرون يقرأون
ولا يستفيدون كأولئك الذين يتزوجون ولا يسعدون ... نحن
نزور القبول فى القراءة ، وفى الحياة بشكليات . تصفح النص
من الخارج دون الفوص فيه والامتزاج به ، كسؤال العروس بينما
يجب أن تقبل أولا ... أن تختار ... ترضى ثم يأتى عقد
القران ... وكم من نساء يتزوجن ويلدن ويعشن فى الحرام على
الرغم من عقود الزواج ... وكذلك الكتاب الذى يقرؤه عجلا ، مع أن
القراءة الحقيقية تأمل وتودد وصبر يكون كالرافعة الوجدانية تنقل
القارئ من حالة عادية الى مرتقى عال .

هل تعلم المدرسة البنات كيف تلبس وكيف تجلس وكيف تتحدث
وكيف تتزين وكيف تتصرف ومتى تتكلم ومتى تصمت ؟ هل
تعلمها أن الجهال الغالى (تركيه) صعبة من هذه السمات
جميعا ؟

هل تعلمها أن الحب ليس الفارس والحصان الأبيض ... الخ
تهويمات القصص والاساطير التى يكتبها أصحابها لتزجية الوقت ،
أو تسلية الفراغ عند الحالىن والحامات ؟ وأن الف ليلة
وليلة قد يكون فيها الكثير من حياة عصرها ولكن عصرنا لا ،

هل تعلم المدرسة ، البنت ، أن مجنون ليلى أو تيس ولبنى ،
أو جميل بثينة أو كثير عزة ، أو العباس بن الاحنف و « فوز » أو
ولادة وابن زيدون قصص شعرية ، شاعرة وأنها مع هذا صحيحة ،
وفيها لمسات انسانية الا أن عصرنا له طبيعة أخرى ؟

هل تعلم المدرسة البنت أن عصرها قطع أشواطاً بعيدة بعد
(آلام فرتر) و (رفائيل) و (حياة لا مرتين) و (رورميو وجوليت)
و (كليوبطرة) ؟

في سائر اللغات قصص لا تحصى عن الحب .. ومع هذا فالحب
لا يصلح للاقتباس كفنون الادب ، أو التقليد كالآزياء .

وليست اللغات وحدها فالتاريخ زاخر بقصص الحب ... لم
ينج منه أحد حتى رجال الاديان .. من عفا عنهم كقصة سلامة ،
ومن أسف ، كراسبوتين ...

ومع هذا فالحب ، الحقيقي ، في سائر ألوانه نعمة وعطاء
وحنان ... والذي يحنو يمنح ولا يسلب ، ويسمو ولا يقسو ،
ويلين ولا يجفو ، ويتسمح ولا يشتط .

هل تعلم المدرسة أو تسلم بالجنس تطرحه في موضوعية علمية
مستولة ، بدلا من أن يدور الهمس بين رفقاء العمر وتتخافت
الاصوات ، ويعلو الضحك المكتوم ، وتتقارب العروس ، ويطل
الفضول كله من العيون ، وتدمى الشفافة من العض عليها من
الخلج المصطنع أو الحقيقي ؟ مما يلقي في السروع أن الجنس على
اطلاقه عيب وفاضح وفادح ؟

ان العيب هو امتهان الجنس والاباحية .

هل تعلم المدرسة البنت والولد على السواء كيف يختار شريك
الحياة ؟ على أساس من التقاء الشعور والفكر معا ؟ فانه لا يطفىء

القلب مثل تفاوت المستوى الفكرى بين زوجين يكون أحدهما فى واد ، والآخر فى واد آخر ... انها الوحدة القاتلة وان رآهما الناس ، وسقف البيت ، اثنين .

لا يكفى أن يعيش الإنسان بل لا بد أن يحيا .

وعندما يتحول الزواج مع الشيخوخة الى الفة قوية ، وصداقة عميقة تكون مواهب الروح خير بديل عن متعة الجسم التى يكون الزمن قد فرغ من التهامها .. ولكن الزمن نفسه لا يستطيع ممارسة هوايته المفتونة بحفر التجاعيد ، مع الروح الخضراء المتجددة النضرة .

ولكن ليس معنى هذا عبادة العقل وحده فهو أحيانا عند بعض الناس يتسبد على حساب جهود العاطفة أو نضوبها ... وهذا الطراز لا تسعد صحبته .. ان رحلة العمر تحتاج الى القلب والعقل معا .. الى الجسم والروح معا ... وافتقاد عنصر من هذه العناصر يسلم الى الشقاء الذى يستعصى على العبادات النفسية .

لابد من هزة عنيفة للمدرسة المصرية فغيها بعد البيت ، يعباد اليوم بناء الشخصية المصرية .

أى يعاد كتابة التاريخ .

وبعد : بعد كل السلبيات التى ذكرت بعضا ولايزال فى النفس حاجات ..

ماذا أقول ؟

ليس عندنا قصد فى القول ، أو تحديد للعبارة . مما يفسد علينا ذكاء الهدف وغايته الكبرى ... والا فهل يعقل أن ننزل (بالعبور) الذى وقفت وراءه وراثات أمة وصبرها وتقديرها وتحضرها

وقدرتها القديمة في الادارة ، ثم عذابها بالهزيمة والقهر ولهفتها على الارض والنصر ... هل يعقل أن ننزل (بالعبور) الذي يمثل ويمثل هذا كله الى ما نسمعه في وسائل الاعلام من التشديق بالعبور بمناسبة وبغير مناسبة ؟ وما درت أن البغبغة تقتل من الحدث التاريخي التحولى ، وتهبط به الى مادة دعائية أو اعلان ميلامين . ليس عندنا حلم ثقافى ... أو حلم فنى على الرغم من وجود الجامعات وتعددتها .. حتى التراث ، حفظه في مفهومنا ، معناه تجميعه وتشوينه مع أن الحفاظ عليه يعنى تفهمه وذكره واستلهامه .. ان حياة العلم مذكركه .. يروى الغزالي أن أحد الصحابة قال يوم مات عمر : اليوم مات العلم . ولم يكتب عبر كتابا ، ولم يكن أستاذًا في جامعة ، ولكن العلم قرى قلبه ، جوهره .. حين كانت عنده الرؤية الاسلامية الحقيقية .

وبعض التراث ، التقاليد . والتقاليد ليست التقليد ولا هى منه .. وليست الجهود كما يفهمها العامة .. والعامه هنا هم فقراء الفكر ولكن التقاليد عند الخاصة ، وهم هنا أثرياء الفكر لا المال ... وثبات الاجيال وعطاؤها .. انها منطلق لكل جيل متطور نام .

اننا اليوم نتكلم كثيرا عن السياحة ونعنى بالطبع السياحة الخارجية بشقيها أو بشطريها أى زيارة الغرباء لنا وزيارتنا للبلاد الاجنبية .. ولكننا نحتاج الى سياحة أخرى قد لا تدر مالا ولكنها تضيف اليها ثراء لا يقدر ببال أعنى السياحة فى تراثنا فانها مولد جديد لنا ...

يقول الدكتور فؤاد زكريا من مقال «الى متى نغترب عن حاضرنا» الاهرام ٧٣/١١/٢٨ (فى رأى أن ماضى الامة لا يمكن أن يكون له تأثير حقيقى فى حاضرنا الا اذا كان الخط بينهما متصلا . فقيمة أى اتجاه فكرى ينتهى الى الماضى ، من حيث قدرته على تشكيل الحاضر ، انما تظهر أوضح ما تكون حين يصبح ذلك الاتجاه جزءا

من تاريخ متصل ومن حركة تطور مستمرة تتجاوز نفسها وتصحيح أخطائها خلال مسارها الطويل ، دون أن تتوقف خلال ذلك أو تنقطع ... والتراث الحقيقى فى اعتقادى ، هو ذلك الذى يندمج فى التاريخ التالى ويصبح جزءا منه بحيث يظل الماضى حيا فى الحاضر حتى بعد أن يكون الحاضر قد تخطاه وتجاوز به مراحل . .)

كتب الدكتور حسين مؤنس قصة رمزية سماها (ادارة عموم الزير) ويبدو أن عندنا ادارات عموم الزير ، ووزارات عموم الزير وكأنها أنشئت لتخلق وظائف لموظفين أو تكون مسرحا أو مفرحا . تتفرخ فيه القوى العاملة ، الخريجين ، كل عام من باب تغطية البطالة أو البطانة المقنعة . . . ولناخذ مثلا وزارة السياحة لو أن هذه الوزارة تحررت من الروتين وفهمت السياحة على أنها فن وعلم وصناعة لعرفت كيف تستفيد من كنوز هذا البلد أو على الأقل لتعلمت من بلاد لا تملك من فيوض الطبيعة ومسار التاريخ وآثار الاديان الثلاثة ، ما نملك وأصبحت السياحة فيها مورد مورد رزق ومصدر غنى . . .

* * *

عندما كتبت عن المازنى كتابا ، صورت البيئة المصرية فى طفولة المازنى حين كان الشعب يئن من قهر الاجنبى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين . . . وحين أكتب عن العشرين الاولى من النصف الثانى للقرن العشرين أجدنى فى الموقف نفسه أى ما كتبتة هناك ينطبق هنا : قلت فى كتابى « أدب المازنى » .

(ولما كان نظام الحكم فى مصر فردينا فى كل عصورها قبل أن يضع لها دستورا ، ومثل هذا الوضع لا يستقر فيه الحالة الاقتصادية لأنها لاتخضع للتداول الطبيعى وانما تخضع للرغبة التحكيمية المفضة . . . فإذا كان الحاكم حازما جادا ضرب على أيدى العابثين واستقر الامر له . . وإذا كان ذا نظر عملى بعيد

يدرك شيئاً من حال البلاد المحكومة من الناحية الاقتصادية عاداً ذلك بالخير على الحياة .. فالحكومة قوامها شخصية الحاكم إذا صلح استقامت الحياة وإذا استبد كان وبالا على المحكومين .. وهذا يفسر شعور المصريين بأن مفاجآت الدهر لا حد لها ، ولا عجب فيهم مهذبون ليس عندهم من الضمان ما يجعلهم يمضون في عملهم ليجنوا الثمرة أو يجنيها بنوهم . ومثل هذه الحالة تؤدي الى شيء من النهم في الحياة الاقتصادية والخلقية .. وتغري بالكسب بأي وسيلة مشروعة كانت أم غير مشروعة ما دامت المسألة غلاباً فلا توازن بين الفرص وانما الغرض هو الوصول من أقصر الطرق . والنتيجة الحتمية لذلك هي إيجاد فروق غير مهيبة .. إيجاد نظام الطبقات .. إيجاد طبقة غالبية وطبقة مغلوبية . والاثار الطبيعية لهذا كله أن تنقطع الصلة بين طبقات المجتمع وتتلوث الحالة النفسية للشعب فلا ثقة نفسية تقرب بعضه الى بعض أو تشيع فيه التعاطف النفسي فيتدافع الى شيء من تواد أو تراحم يخفف من جدة غرائز التملك والافتناء والسيطرة السائدة فيه .

وهذا الوضع المادي أثر للوضع السياسي .. وكلاهما أثر في الوضع الادبي .. ومثل هذه الحياة التي نلقى ظلالاً من الشك في العدالة ، تلقى في الروح أن الارض ليست مجالاً لحق يسود لان الثقة في كل نظام ذاهبة ، وتوهم ان الحياة الدنيا شقاء ومحنة والفرار منها أمنية ، والنقص فيها محتوم .. ولهذا الشك والياس اثره العقلي والعقلي والتفسي والوجداني .

اما الاثر العقلي فيبدو في ذلك الطابع الغيبي في التفكير والذي يتمثل في مثل قولهم عقب كل شيء ... هكذا أراد الله .

اما الاثر العملي فيبدو في الخفاء والاحتيايل الذي كان يسود الحياة في مصر ، فالمهارة في التخفي كانت الطريق الى النجاح في الحياة العملية . والرغبة في التخفي لها انعكاسات في الاثاث المصري

والابنية المصرية الى عهد ليس ببعيد ففى الاراتك والاصونة سراديب متداخلة ، وفى البيوت القديمة لاترى شرفات ظاهرة بل «مشربيات حاجبة» فالحياة المصرية كلها كانت قائمة على التخفى بل ان طائفة الاخفاء التى يتردد ذكرها فى اقصيصنا هى انعكاس لهذه الرغبة فى التخفى .

والقرية المصرية تتجمع بيوتها وتتساند حتى ليسهل الوثب من سطح بيت الى آخر ، بينما القرية الغربية متناثرة ، وتجمع بيوت القرية المصرية حتى لتبدو قطعة واحدة انما هو انعكاس للخوف حتى اذا استنجد أحدهم لىبى الجميع ...

أما الاثر النفسى فيبدو فى النفوس التى لوثها الشك والياس والحيرة ... يبدو فى النفوس التى سلبت الطمأنينة والراحة ففقدت بذلك كل شىء وأصبحت حياتها جحيماً لا يطاق .

أما الاثر الوجدانى فيبدو فى الادب الذى أسف فكذب حين مدح الظالم وهو ينتقم عليه .

هذه الحياة العقلية والنفسية والوجدانية حدثت الى اضطهاد الفلاسفة والعلماء لمحض التفكير مع أن الفلسفة الاسلامية قوامها التوفيق بين الدين والعلم ولكن الناس ليس فى نفوسهم ما يوحى الثقة بهذا ... هم لا يؤمنون بأن الحياة تجرى وفق نواميس ثابتة بل كل شىء عندهم قابل للتغيير ، والكون على حد تعبيرهم بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء والفن قائم على هذا وفيه منه أصداء فما نراه من شكوى الزمان ومدح الحاكم المذنب فى الادب الكاذب ، والاغاني المهرجة ، وترديد الشعب لمثل هذه الامثلة (تبقى نار تصبح رماد) و (ان حلى زادك كله كله) فالادب العامى الذى هو أدب الشعب وظل نفسه ينم عن حيرة وقلق نفسى ينتهى الى التفويض والتسليم بقضاء الله ومهاكان الله ليقتضى بهذا . واغلبنا لا يفهم المعنى الدينى فهما قريباً ... فان قرأت عليهم :

(ليس للانسان الا ما سعى) فهموها الى جانب غيرها من آيات التوكل فتغلب عليها .. والمحافظون من أهل الاديان يميلون الى افكار السببية فالآية الكريمة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها) « سورة فاطر » الباء في رأيهم للالصاق لا للسببية ... وهم يفسرون كل شيء يجرى تحت عيونهم بوحى هذه الغيبية التى يعتنقونها ...

حتى شكوى الزمان كانت صورة لفهمهم الخاطيء للحياة فهم يتوهمون أنه لا يدوم سرور أو حزن ... ولهذا ظل وأثر عالق فينا الى اليوم...يضحك المسرور منا ثم يقول: اللهم اجعله خيرا كأنه يتوقع الشر ما دام سر حيناً ، وكأن الشر فى أعقاب الخير ! لماذا ؟ ومن سوء فهمهم حملهم معنى (أن شاء الله) على التواكل ... ان هذه المشيئة ان هى الا تأكيد للعزم فأننا سوف أفعل كذا ثم هناك صهام لمن لما يطرأ مما لاقدرة لنا عليه ... ولكن قائلنا يقولها حين ينوى الا يفعل متهريا ... وفى مشيئة الله عن الكذب منتدح ...

حين دهمنا الاستعمار أوهمنا مصريين وشرقيين اننا لاشيء ولا نستحق شيئا فتعددت ظواهر الاتهام فينا ... فان رأوا ناجحنا لا يعدون نجاحه عملا أو ذا أسباب معقولة بل هو عندهم طفرة ووثبة واعجوبة وأثر محاباة ومحسوبة أو حظ ، ونسينا ان الحظ توحيق من الله ... واذا رأوا فاشلا لا يردون فشله الى سبب ...

والى هذا الطابع يرجع اكثر عيوبنا فى الحياة والتصرف ... فنحن لا نثق فى الديمقراطية لان الديمقراطية أساسها ثقة الفرد بنفسه وبكيانه وبحقه، وقد عجزنا أو عجز الكثيرون منا عن فهم هذه المعانى . فتطلعوا الى الآخرة تهريبا من الدنيا ... ولما كان الزهد أقرب طريق الى الاستعلاء فقد تعددت أسبابه وكثرت مظاهره من مخرقة وحرمان وعجز . وكان لهذه الغيبية أصداء فظهرت

مذاهب وفرق وطرق للصوفية وأشائير ... وزاد الاقبال على
الاضرحة وتسرب الخطأ فى المفاهيم الى مفهومنا للولاية والاولياء...
مع أن الولى قيمة معنوية تجسد كل ما فى عالم الانسان الاعلى
من نيل وسبو وتضحية وفداء ...

لقد وصفت بهذه السطور ، الفترة من أواخر القرن التاسع
عشر وأوائل القرن العشرين فهل اختلف واقع الحال عن هذا ؟
قاس أن يضيع من عمر أمة سنين .

والآن :

لا وقت للتحسر

اعيدوا تشكيل الحاضر

واختصارا للوقت والجهد

انفتحوا على العالم المتحضر

خذوا خير ما عند الناس بدون عقد

بلا استخذاء فقد أعطينا الغرب ، يوما .

وبلا استعلاء فنحن بشر قد نخطيء حين يصيب غيرنا .

نتفحص أنفسنا

ونواجه الحقيقة

نعيد كتابة التاريخ ،

من جديد ..

هذا الكتاب كتبته بعد أن عشت .. بعضه كان الما وبعضه كان
املا ، وبعض كان معنى يلوح في خاطر ثم يعز على التحقيق .

ولكنى بالوراثة والدراسة لم أياس فتاريخنا ملئ بالحن
المتى ارتفعنا عليها ، والأشواك التى تحدينها ، والدموع التى
جففناها ثم تصالحنا مع الفرح ، وسامحنا الجرح وصافحنا النعمة
كما تصفو السماء غب المطر .

الدين .. والفن .. والحضارة .. والعصرية .. والتراث ،
والدراسة واسلوب التعليم .. كلها موضوعات عشتها وشربتها من
الدراسة والتأمل والتفكير . وعرفت من الحياة والكتاب والبيت
والجامعة واقعا فيها بتجاربه وأخطائه ومسئوليته ورؤاه .

وانصهر فى نفسى هذا كله فغمست قلمى فيه بالصدق كله ،
وبهصريتى كلها أسجل الاسباب والعلل وأرسم المثل والامل وأتمثل
اليوم والغد لنا ولأبنائنا .. أما الماضى فقد حمل جيلنا أوزاره وآثاره
لانه لم يقو على التيار فجرفه التيار .

لقد سميت الكتاب (أعيدوا كتابة التاريخ) وقلبت الصفحات
كلها ، وعرضت نماذج من الأخطاء الكبيرة التى يفتح ثمنها
الشعوب .. وقد بتورط فى هذا الثمن الفادح أكثر من جيل . يغرمون
ليغفم الآخرون فى الخارج أو الداخل .

وصبر الشعوب طويل ولكن حسابها عندما يحين ، عسير . ولم يعرف الصبر بعد الزمن الطويل ، شعبا كاظما عافيا وان يكن غير معاف ، كشعبنا ... ولكن الحليم اذا غضب ، يتغير التاريخ في محاولة جديدة للكتابة ترشد عليها الأحكام وأصحابها ، ويستقيم ميزان العدل استجابة لأمنية قديمة نادى بها في مصر ، يوما ، الفلاح الفصيح ...

ولكن يبقى بعد هذا أكثر من خط وضعت تحته خطا في هذا الكتاب للتميز والتفكير : **ولكن المعالجة الكاملة سافرد لها كتابا قائما بذاته أتحدث فيه عن :**

(**الانفتاح الذى لم يذكره أحد**) أين ومتى ولماذا ؟ والذى لم ننفتح عليه ولم نذكره ، كبير خطر لو انتبهنا اليه وأخذنا به سيتغير التاريخ على هذه الأرض ، بل ، ربما ، فى العالم .

ما زالت هناك فى تاريخنا القريب والبعيد علامات استفهام حائرة لو قدر لها **الاسراء والانراء لغدت علامات طريق ...**

حين أختتم هذا الكتاب ، أعاهد الله والنيل أن **أبدأ كتابا** يليه على طريق الشخصية المصرية وما يمكن أن تحققه لو انفسح الطريق وانفتح الأمل والعمل أمام قدراتها وحرقاتها ووسائلها :

انه موضوعى الكبير وهمى الشاغل الى أعطيه ايامى حتى يعود الانسان المصرى عزيزا كما بدأ .. فبدأ به التاريخ ؟

بكتورة نعمات أحمد فؤاد

في هذا الكتاب

٥	...	...	...	...	...	...	...	مقدمة
٩	...	...	...	...	...	...	...	أعيدوا كتابة التاريخ
٤١	...	...	...	...	...	...	...	كيف يصنع الديكتاتور
٤٦	...	...	...	...	...	...	...	محكمة التاريخ
								المفاهيم الثابتة وكتابة التاريخ
٥٧	...	...	...	...	...	...	...	١ - الأهرام والسخرة
٦٥	...	...	...	...	...	...	...	٢ - أسماء وراءها مواقف
٧٠	...	...	...	...	...	...	...	٣ - مصر والغزاة
٨٢	...	...	...	...	...	...	...	الأتباط والمسلمون
٩٩	...	...	...	...	...	...	...	الدين
١٢٨	...	...	...	...	...	...	...	الفن
١٣٧	...	...	...	...	...	...	...	الدين والفن في مفهوم مصر
١٤٤	...	...	...	...	...	...	...	حين تحرر المصرى من الخوف أبدع الحضارة
١٥٨	...	...	...	...	...	...	...	وقفه عند الدولة العصرية
١٧٤	...	...	...	...	...	...	...	ليس من يعيش كمن يحيا
١٩٣	...	...	...	...	...	...	...	من جديد

دار الشروق

مطابع منكور وأولاده

رقم الايداع بدار الكتب ٤٥٧٦/٧٩٧٤

هذا الكتاب

دعوة كبيرة رائدة الى اعادة كتابة التاريخ في عملية تنقية ، وتعربية ، وتصحيح من الزيف والتضليل والتحريف . وبهذا اضاف الكتاب الى المكتبة العربية ، القضايا التي غابت عنها من تهيب الكاتبين أو تخرجهم ، أو ضبابية الرؤية ، أو خوف المصير .

يقدم هذا الكتاب برؤية جديدة وأسلوب جديد معمق ومكتنز ، على الغوص في تاريخ مصر : ماذا فيه من أخطاء وخطايا ، ومن هم الجناة الذين أرادوا أمة التاريخ بلا تاريخ .. ؟ .. كيف يصنع الديكتاتور ؟ في عملية تشريح للماضي والحاضر ، صادقة وأمانة وموضوعية ...

ناقش الكتاب : المفاهيم الثابتة في التاريخ بأبعادها التاريخية محددًا نصيبها من الصدق أو اللوهم .
تناول الكتاب في روح علمية إنسانية مفهوم مصر للدين والفن ..

كما واجه الكتاب في دراسة نزيهة :

الانقياد والمسلمين
التحرر من الخوف وإبداع الحضارة
الدولة العصرية

كيف نعيش .. ماذا تعلم مدارسنا ؟

هذه بعض القضايا التي أثارها الكتاب في انطلاقة رائدة وجراة متحررة من الخوف والعقد والتقليدية ، والنفاق

طبع الغلاف ببطابع الاهرام التجارية